عبد الله رُشد



المغرب و الجلادون

صفحات من تاريخ الاستبداد

إسـم الكتــاب: المغــــرب والجَــــلاَّدون

صفحات من تاريخ الاستبداد

المؤلــف: عبـد اللّه رُشــد
التصفيف ومراجعة النصوص وتركيب الصفحات: حبيبـة التيوتـي
تصميم الغلاف: عبداللّه رشد
الطبعـة الأولـى: يونيو 2012
رقـم الإيـدا ع القانونـي:
الطبــع:

Dédicace

A vous, fils et petits-fils des collaborateurs et des traîtres à l'époque du colonialisme, et à vous, enfants des tortionnaires sanguinaires durant l'ére de l'indépendance; dans l'espoir de réveiller vos consciences pour que vous rachetiez les crimes commis par vos grands-pères, vos pères à l'encontre des combattants pour la liberté et la dignité du peuple.

الإهـــــداء:

إليكم ياأبناء وأحفاد العُملاء والخونة في زمان الإستعمار، إليكم يا أولاد الجَلّادين سفّاكي الدِّماءِ في عهد الإستقلال:

عسى أن تستيقظ ضمائرُكم وتُكفِّروا عن الجرائم التي اقترفها أجدادُكم وآباؤُكم في حق المكافحين من أجل حرية وكرامة الشعب.



مقدمــة

نُخبة الزَّبَّالَة في خدمة الإستبداد

هذا الكتاب يمثل شذرات من دراسة شاملة تطلّبَ مني إنجازها الكثير من الوقت والجُهد، ونظرا لعجزي عن إيجاد مصاريف الطبع الباهظة، فقد اضطررت إلى تقديم مُلخص لها لا يشكل إلا عشرين في المائة من مجموع الصفحات التي يحتويها النص الأصلي.

فالكاتب الذي لا يملك رأيه المستقل ليس حرا ولا رسالة له، إذ لا يمكن لأسير العبودية المالية التعبير عن الحقيقة بنزاهة فكرية صادقة.

إن السلطة الإستبدادية التي جثمت على صدور المغاربة أنتَجَت خلال مئات السنين، وتعيد إنتاج، المثقفين الإنتهازيين الفاشلين، والفقهاء المنافقين المداهنين، والسياسيين والنقابيين المتاجرين بكفاح وعذابات الجماهير الكادحة.

والصفحات التالية تهدف إلى كشف الحقائق التاريخية المطموسة، وفضح وتعرية مروجي خطاب التدليس من المؤرخين المأجورين والكتّاب المرتزقة والإعلاميين المرتشين، والفنانين المداحين، والطائفة المبتذلة من اليساريين المرتدين عن المبادئ الثورية.

إن أقلام التزييف وأصوات التملق والمديح تتسابق للإصطفاف أمام المذياع الرسمي والتلفاز الحكومي، وتتنافس على إظهار كفاءتها في طمس الماضي المليئ بالجرائم والخيانات، وتظهر براعتها في الرقص على نغمة أزَليِّة الدولة التي تأسست قبل ألف ومائتي سنة (788م)، وتسكت عن الأسباب التي أدت بها إلى السقوط في حفرة التخلف والإنحطاط الحضاري والإنساني.

فالضرورة تفرض اليوم على حاملي الأقلام النزيهة والأفكار النظيفة العمل على كشف أكاذيب المتزلفين، وصياغة برنامج بديل يساعد الجيل الناشئ على إدراك الوعي بالتاريخ الصحيح،

ويُمكِّنه من النظر بوضوح في الوجه القبيح للإستبداد المادي والروحي الذي أغرق البلاد والعباد في حروب ظالمة وفظاعات شنيعة وتخلف دائم.

فإذا كان المؤرخون التقليديون قد مجَّدُوا بطولة السلاطين في سحق القبائل الجاهلية التي كانت تدافع عن حقها في الحياة الكريمة، فإن الكُتّاب المخادعين يعملون في وقتنا الراهن على إخفاء الحقائق وإلغاء الذاكرة الوطنية الجماعية. وبالأمس القريب باع عدد منهم ضمائرهم للطاغوت، وشاركوا في سفك الدماء بالتجسس على المناضلين الأوفياء لقضية الشعب، وقاموا بدور مخزي في التعتيم على عمليات الخطف والتعذيب والقتل في زمن الجلادين أوفقير والدليمي وإدريس البصري وغيرهم من ركائز الإستبداد والطغيان.

إن هؤلاء الجواسيس الوصوليين لطخوا سيرتهم المِهنية بالعار والشنار، ولا يزالون يتقمّصون ببلادة نادرة، دور المثقفين الجادين، ويعتقدون أن شباب اليوم لا يعرف حقيقتهم. وليس بعيدا ذلك اليوم الذي سيُرفعُ فيه الستار عن وثائق الشرطة السرية التي تدينهم وتكشف أفعالهم الإجرامية.

وهذه الدراسة المختصرة لا ترغب في تحريك المشاعر وصَدم العواطف، ودعوة المظلومين لتصفية الحساب مع الظالمين، بل فإنَ هدفها يتجلى في إثارة إنتباه الشباب الناهض لكي يستوعب الحقائق التي غيَّبتها الثقافة المخزنية، ويساهم في تكسير أغلال التعتيم والتضليل التي تُكبّل العقول والنفوس.

وإن تقديم نماذج مؤلِمة عن بشاعة الجرائم التي اقترفها طغاة جبارون،يرقد اليوم عدد منهم في قبورهم، سيساعد المهتمين بالبحث في حقيقة الأسباب والمُسبّبَات التي نتجت عنها الأوضاع المزرية التي تتخبط فيها المملكة المغربية منذ قرون خلت.

ويبقى على المثقفين الصادقين بذل مجهودات مُضنيّة للإنتصار للحقيقة وتحرير التاريخ من أضاليل «نُخبَةِ الزَّبَّالَة» التي ما فتئت تعمل على خلط الأوراق، وإضفاء رداء البراءة والطهارة على الظالمين، والإبقاء على المواطنين في كهوف الظلام والضلال.

الفصل الأول

في 36 هجرية 656 ميلادية

تكَسَّرتْ «بيضة الإسلام» في المشرق وفاضت على المغرب

السيدة عائشة رضي الله عنها قادت أول حرب أهلية بين المسلمين.

مع اتساع الأراضي المفتوحة خارج الجزيرة العربية، كان الفاتحون العرب حسب إبن خلدون « يعانون من البداوة وشظف العيش وخشونته. فزحفوا إلى أمم فارس والروم، فابتزوا مُلكهم واستباحوا دنياهم، فزخرت بحار الرَّفه لدَيهم حتى كان الفارس الواحدُ يُقسم له في بعض الغزوات ثلاثون ألف من الذهب أو نحوها، فاستولوا من ذلك علَى ما لا يأخذه الحصر.»

وكان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه لا يسمح لمهاجري قريش بالإنتقال إلى الأقاليم البعيدة خوفا من انسياقهم مع مباهج الحياة والميل إلى المال والثروة، ولما تولى عثمان بن عفان الخلافة سمح لهم بذلك. وفي ظرف وجيز تغيرت الأحوال الإقتصادية والإجتماعية لعدد من قادة الجيش الإسلامي.

فقد اقتنى الزبير بن العوام الضيّاع وشيد دُورا بالبصرة والكوفة في العراق وبالإسكندرية في مصر، وَترك «**بعد وفاته خمسين ألف دينار، وألف فرس، وألف عبد وأمة**» بينما إبتنى طلحة بن عبيد اللّه التيمي «دارا بالكوفة وأخرى بالمدينة بناها بالآجر والجصّ وخشب الساج... وكانت غلته من العراق تدرّ عليه كل يوم ألف دينَار.»

وخلف زيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يُكسر بالفؤوس إضافة

إلى الأموال والضياع بمائة ألف دينار. [1]

أما **عبد الرحمان بن عوف الزهري** فكان على مربطه مائة فرس، وألف بعير، وعشرة آلاف رأس من الغنم وبلغ ماله بعد وفاته أربعة وثمانين ألف...

وشيد سعد بن أبي وقاص «**داره بالعقيق ورفع سقفها ووسع فضاءها، وجعل أعلاها شرفات.**» [2]

وبأمر من الخليفة عثمان زحف **عبد الله بن سعد** على بلاد المغرب سنة 27هـ 647م في عشرين ألف محارب «**وقتل المسلمون من البربر خلقا كثيرا ... وأسَرُوا وغنموا غنائم جمّة وأموالا كثيرة وسبيًا عظيما.**». [3]

ووزع الغنيمة على الجيش، فأعطى الفارس ثلاثة آلاف دينار، والراجل ألف دينار. [4]

وحينما قتل الخليفة عثمان بن عفان (644 - 656م) «**كان له عند خازنه ثلاثون ألف ألف (30.000.000) درهم وخمسمائة ألف درهم، وخمسون ومائة ألف دينار وترك ألف بعير في الربذة** ». [5]

ومن حالة الفقر والضيق وسَّعَت مغانمُ الحروب قاعدةَ الأغنياء الإجتماعية، وحولت الثورة المضادة الإسلام الذي كان ثوريا في مرحلته الأولى إلى إسلام طبقي. [6]

ومن نتائج تراكم الثروات والأموال حدوث انقلاب في قيم الإسلام المثالية إلى نقيضها. وكانت معركة «**الجمل» 36 ه - 656 م أول حرب أهلية في تاريخ الإسلام تزعمتها السيدة عائشة زوجة النبي عليه الصلاة والسلام. وكانت حربا دموية ضد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب سقط فيها بالقرب من البصرة اثنان وثلاثون ألف قتيل من المسلمين**

1 - عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ص 183 و216، بيروت 1965.

2 - المسعودي أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج 2. ص 332. بيروت 1965.

3 - بن كثير إسماعيل الدمشقي، البداية والنهاية، المجلد 1، ص 1431، دار بن حزم، بيروت 2005.

4 - ن. م. ص 1430.

5 - ن. م. ص 1445.

6 - عبد الله إبراهيم، الإسلام في أفاق ألفين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ط 1. 1979 ص 17.

المتناحرين.[7] **ودقت مسمار الإنقسام في صفوف الأمة الإسلامية إلى سنة وشيعة وطوائف متعددة كثيرة.**

والواقع أن السيدة عائشة عندما امتطت ظهر الجمل، ورفعت المصحف الشريف وقميص عثمان الملطخ بالدم، كانت تسعى إلى تصفية حساب شخصي مع علي بن أبي طالب الذي أشار على الرسول (ص) بطلاقها أثناء واقعة «الإفك» المشهورة.[8] وقال له. «**يا رسول اللّه إن النساء لكثير وإنك لقادر على أن تستخلف.**»[9]

وبعد انهزام جيش السيدة عائشة، كان معاوية بن أبي سفيان والي الشام، يرغب في السيطرة على الحكم. فحمل قميص عثمان والمصحف الشريف وأعلن التمرد على الخليفة علي بن أبي طالب. وأسفرت الحرب، خلال ثلاثة أشهر عن مقتل سبعين ألفا من المسلمين في حرب «صفين» على حدود الشام عام 37هـ 657م وكان من بين القتلى صحابة أجلاء في مقدمتهم **عمار بن ياسر** الذي قال عنه النبي (ص): «**ستقتل عمارا الفئة الباغية.**»، والزبير بن العوام وعبد اللّه بن الزبير، وطلحة بن عبد اللّه وغيرهم. وقبل ذلك تم التنكيل بالصحابي الزاهد **(أبو ذر الغفاري)** لأنه ناقش معاوية في : «**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل اللّه فبشرهم بعذاب أليم.**»[10] وكان عقابه النفي إلى الربدة حيث مات في فقر مدقع، ولقي نفس المصير الصحابي الجليل **عبد اللّه بن مسعود** الذي لم يفارق النبي طيلة حياته.

وبالأموال الغفيرة اشترى معاوية ضمائر الطامعين في الدنيا، وسخرهم في اغتصاب السلطة بالسيف والخديعة، وجعل حدا لحكم الشورى في الإسلام كما كان في زمان الخلفاء الراشدين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي. ودشن عهد الحكم الوراثي وكان يتباهى بقوله: «**أنا أول الملوك وآخر خليفة.**»[11]

7 – أحمد بن يعقوب، تاريخ اليعقوبي، ج 2. ص 183، بيروت.

8 – سورة النور، الآية 11 و 12.

9 – بن كثير، البداية والنهاية، م 1 – ص 766.

10 – سورة التوبة، الآية 34.

11 – بن كثير، ن. م. ص 1643.

وانتهت «**الخلافة الراشدة**» التي لم يتجاوز عمرها ثلاثين سنة.[12]

في سنة 40ه قتل الخليفة علي بن أبي طالب في الكوفة. وبعد مرور بضع سنين أجهز حكام بني أمية على إبنه الحسين، وقتلوه في كربلاء ومعه جماعة من آل البيت، ورفعوا رؤوسهم المقطوعة على الرماح لعرضها على أنظار الخليفة المستبد بدمشق.

لقد تكسرت «**بيضة الإسلام**» في معركة «**الجمل**» وحرب «**صفين**» وطارت قشورها في مهب الريح، وانقسم المسلمون إلى أحزاب وشيع ودول متناحرة.

فإذا كانت جميع أمم الدنيا قد عرفت حروبا عرقية ودينية في حقبة من تاريخها ودخلت بعزيمة عصر التطور والتقدم، فإن المسلمين في المشرق والمغرب لا يزالون يقتلون بعضهم بعضا، باسم الإسلام، منذ حوالي ألف وأربعمائة سنة.



إذا تقابل المسلمان بسيفيهما
فالقاتل والمقتول في النار (حديث شريف)

12 - تولى أبو بكر الصديق الخلافة سنتين وأربعة أشهر (11 -13ه) ومدة خلافة عمر بن الخطاب عشر سنوات وستة أشهر (13 - 23ه) وعثمان بن عفان إثني عشرة عاما (24 -35ه)، وعلي بن أبي طالب أربع سنوات وسبعة أشهر (35 -40ه). وأمتد عصر الخلفاء الراشدين من سنة 11 إلى 40 هجرية.

حروب السلاطين أنتَجَتْ طاعون الإستبداد

لن تتناول الصفحات التالية بطولات السلاطين الحربية، وبراعة بعضهم في قطع رؤوس المعارضين وتعليقها على أبواب المدن. ولن تقوم بتبجيل ما شيدوه من قصور فارهة وقلاع شاهقة وصومعات شامخة.

فالموضوع هنا يقتصر على تقديم نظرة مختصرة عن الأساليب المنافية لحكم الشورى التي استعملتها كل أسرة لانتزاع السلطة من غيرها. وكيف أرسى السلاطين عروشهم على جماجم الفقراء باسم الحق الإلهي وخلافة الله في الأرض.

لقد انتقلت مؤسسة الحكم الوراثي من المشرق إلى المغرب على يد إدريس بن عبد الله العلوي الهارب من العباسيين بعد معركة «فخ» بالقرب من مكة عام 169ه 785م. وفي ظروف غير واضحة إلتحق بقبيلة أَوَرْبَا الأمازيغية التي جعلت منه أميرا لها[1] وعليها إعتمد في محاربة القبائل التي وقفت ضده.

ومنذ سنة 172ه 788م خضع المغاربة في عدة مناطق لحكم ملكي مطلق تجسد في سبع سلالات (**الأدارسة، المرابطون، الموحدون، المرينيون، الوطاسيون، السعديون، العلويون**). وكل عائلة لم تصل إلى كرسي الحكم إلا بعد أن أسقطت العائلة التي قبلها في حروب دموية إستغرق بعضها عشرات السنين، ولم يكن موجودا أي قانون ينظم مسألة وراثة العرش. فكان النافذون من رؤساء الجيش والإقطاعيون وكبار التجار والأعيان يمثلون فئة «**الخاصة**» وبيدهم «**الحل والعقد**»، وإليهم يرجع القرار في أمر الوراثة. ويدفعون الفقهاء لتزكية إختيارهم

---

1 – عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطَان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت 2006 – ج6. ص 174.

بإصدار الفتوى الدينية وقراءتها على «**العامة**» بالمساجد. وغالبا ما كانوا يختلفون وتقوم كل جهة بإعلان «**البيعة**» للسلطان الذي يضمن مصالحها، وتشتعل الحرب مع ما ينتج عنها من تقتيل للإنسان وتدمير للإقتصاد والعمران. *

فالتاريخ سجل وجود عدة كيانات أمازيغية رفضت مبايعة إدريس الأول وشهر عليها الحرب بواسطة قبيلة أَوَرْبَا. وقاومته مغراوة وزناتة، وبني يفرن وغمارة ومصمودة. أما إمارة برغواطة التي كانت بالساحل الأطلسي بين وادي أم الربيع ووادي سبو على إمتداد الشريط الرابط بين أسفي وسلا، فقد خاضت حروبا طويلة ضد الأدارسة والأمويين والفاطميين والمرابطين ولم تنقرض إلا في عهد الموحدين.

وكان للثقافة دورها في الصراع على السلطة. فقد تشبتت برغواطة وغمارة بأداء الشعائر الدينية باللغة الأمازيغية، واتهمهم الفقهاء بالإنحراف وتأسيس ديانة جديدة. فإذا كانت المالكية منعت القراءة بغير العربية فإن الحنفية أجازتها لمن لا يحسن العربية. واعتبر أحد الكُتَّاب أن «**تلك الإنحرافات من وجهة نظر المسلم تعتبر نوعا من الردّة، وفي نظر السوسيولوجيا التاريخية تعتبر ردود فعل ثقافية صادرة عن غريزة الحفاظ على الكيان الذاتي.**» [2]

وبإنفصال إمارة قرطبة الأموية بالأندلس عن الخلافة العباسية، وإزدياد التطاحن بين الأدارسة والفاطميين، وبين الشيعة والأمويين السنة وانتشار دعوات الخوارج، أصبح المغرب ميدانا للحروب السياسية والإقتصادية تحت غطاء الطائفية الدينية. وتمكن الخليفة العباسي هارون الرشيد (786 – 809م) بواسطة عملائه من دَسّ السم في الطعام لإدريس الأول بمدينة وليلي (791م). وقضى إبنه

* تفاصيل أخرى في كتاب : مصطفى الشابي، النخبة المخزنية في مغرب القرن 19. مطبعة فضالة، طبعة 1، 1995.

2 – محمد شفيق، لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين. دار الكلام للنشر والتوزيع، الرباط 1989، ص 87..

إدريس الثاني من بعده في ظروف غامضة. وانقسم المغرب إلى عشر إمارات، وعمّت التمردات جميع الجهات، وشاعت أساليب الإستبداد من تقتيل وتعذيب، إلى أن أصبحت سلوكا يوميا يطبع عقلية الحاكمين والمجتمع والأسرة.

وما لبث أن برز على رأس قبيلة لمتونة المرابطون الذين إغتنوا من تجارة الذهب وغنائم الحروب، وفتحت لهم الثروة باب السلطة. فنسفوا ما تبقى من دولة الأدارسة، وأعلنوا دولتهم وعاصمتها مراكش التي شيدها **القائد التاريخي يوسف بن تاشفين** سنة 1062م.

ووجد المهدي بن تومرت (1079 – 1132م) وسط قبائل صنهاجة مجالا خصبا لنشر أفكاره الدينية المتشددة التي تلقاها أثناء دراسته في المشرق العربي. وقاد تحالفا لمجموعة من القبائل إنطلقت من الأطلس الكبير في إتجاه مراكش عاصمة المرابطين. وتحت راية تطهير الدين من الزنادقة، شن حربا دامية إستغرقت عشرات السنين، وانتهت بسقوط المرابطين وقيام دولة الموحدين (1130م).

ونتج عن هزيمة الموحدين في الأندلس عام (609ه – 1212م) إنقسام البلاد إلى عدة إمارات دامت فيها الحروب الداخلية سنوات طويلة. وفي خضَمّها ظهر **بنو مرين** الذين إنتقلوا من تربية الجمال بين فكيك وملوية إَلى محاربين خاضوا معارك طاحنة ضد حكم الموحدين المتفكك. وأعلنوا دولتهم سنة 1258م، وهاجموا بني عبد الواد حكام تلمسان وبني حفص في تونس. وحكموا طيلة مائتي سنة. غير أن نصف مدة حكمهم أي مائة سنة، كانت كلها حروب داخلية. فبعد مقتل السلطان أبي عنان المريني عام 1358م، غاص عشرة سلاطين من المطالبين بالعرش في مستنقع الإنقلابات وسفك الدماء وتخريب العمران واعتمد كل واحد منهم على «**الخاصة**» من أتباعه الأغنياء والفقهاء ليسوقوا «**العامة**» إلى الموت بالآلاف.

وفي وقت كانت فيه الفوضى شاملة ومعظم الشواطئ المغربية محتلة من طرف البرتغال وإسبانيا، جاء **بنو وطّاس** سنة 1471 م

وسيطروا على بعض الجهات، ولم يجدوا لدولتهم المهزوزة سندا إلا في التنازل للمحتلين عن المزيد من الموانئ مقابل مساعدتهم على الإحتفاظ بالسلطة في مناطق محدودة ودامت الإضطرابات والقتال في جميع أنحاء المغرب أكثر من ثمانين سنة (1471 – 1553م).



معركة واد المخازن بريشة رسام أوروبي.

وباسم الجهاد ضد الإحتلال الأجنبي، إستعانت **الأسرة السعدية** بالزوايا الدينية، وخاضت حروبا طويلة ضد **بني وطّاس** وغيرهم، ولم يتم لها النصر إلا بعد أربعين سنة من القتال. وحققت الأسرة السعدية مجدها في الإنتصار التاريخي على البرتغال في معركة وادي المخازن (1578م) التي قضى فيها ثلاثة ملوك : الملك البرتغالي (**دوم سيباستيان**) والمغربي **المتوكل** الذي استعان بالأجانب، والسلطان الشرعي **عبد المالك**.

وإثر وفاة السلطان **المنصور السعدي** (1603م) إندلعت حرب ضارية بين أبنائه الثلاثة : **زيدان وأبو فارس ومحمد الشيخ المامون** دامت ستين سنة، جرّوا إليها سكان البوادي والمدن من فاس إلى تادلة مرورا

بمراكش، وكان من نتائجها سقوط آلاف الضحايا وتدمير كل ما تم بناؤه خلال ربع قرن.

وعلى أنقاض دولة السعديين خرج العشرات من عدة مناطق يسعون للفوز بالسلطة، وأصبحت البلاد سائبة يفعل فيها المسلحون ما شاؤوا.

وفي غمرة الإضطرابات والفتن برز **العلويون**، وخاضوا القتال في عدة جهات. وبمجرد ما تولى **مولاي امحمد بن مولاي علي الشريف** الحكم وجد نفسه في نزاع مع أخيه الأصغر **مولاي رشيد**. وفي أول معركة بينهما سقط **مولاي امحمد** قتيلا.

وحينما جلس السلطان **مولاي إسماعيل** على العرش (1671 – 1728) قام إبن أخيه أحمد بن محرز بتنصيب نفسه سلطانا على مدينة تارودانت. ودامت الحرب بينهما أربع عشرة سنة سالت فيها دماء كثيرة، قبل أن يموت أحمد بن محرز في الأطلس الصغير.

وكانت وفاة السلطان مولاي إسماعيل إيذانا بنشوب حرب ضروس بين خمسة من أبنائه، كل منهم يدعي أنه الأجدر بالتربع على العرش. وطالت مدة الحرب ستين سنة سقط خلالها آلاف المجندين الفقراء، وانتشرت الفوضى وشمل الدمار جميع أرجاء البلاد.[3]

كان مدار الصراع على الدوام يتمثل في السيطرة على السلطة بهدف الإستحواذ على الإقتصاد والثروة. فكل قبيلة أو أسرة شعرت بقوتها إلا وسعت لبسط نفوذها وتوسيع دائرتها الجغرافية والبشرية. ولتحقيق غايتها تضطر إلى الدخول في حلف مع قبيلة واحدة أو مجموعة قبائل غنية، وتلجأ إلى تجييش آلاف الفلاحين الفقراء وتجعل منهم حطبا في حروبها المشتعلة.

إن كتابات المؤرخين التقليديين زاخرة بأخبار الحروب التي خاضها السلاطين تارة ضد بعضهم البعض، وطورا ضد القبائل التي ترفض

---

3 – تاريخ الضُّعيّف الرباطي، تحقيق محمد البوزيدي الشيخي، دار الثقافة، الدار البيضاء 1988، ج1. ص 292.

الخضوع للقهر والظلم.

ومن خلال تصفح بعض المُصَنّفات المتعلقة بالفترة الممتدة من عهد الأدارسة (788م) إلى حكم **السلطان عبد الحفيظ** الذي فقد فيه المغرب إستقلاله (1912)، **يتبين أن القتال من أجل السيطرة على الحكم إندلع مائة وثمانين مرة، وشارك فيه بشكل مباشر أو غير مباشر ثمانية وستون سلطانا، وخمسة وعشرون أميرا.** واستغرقت الحروب عشرات السنين وغطت مآسيها الإنسانية وكوارثها الإقتصادية والإجتماعية مساحات شاسعة من تاريخ المغرب.[4]

لما إستولى معاوية على السلطة بالسيف وأقام عرشه على الدماء، كان بفعله المشؤوم قد دشن عهد التقاليد الهمجية التي سار على نهجها الحكام الظالمون، وحالوا بتصرفاتهم الطاغية دون قيام نظام شوري ديمقراطي بلغة العصر.

ومن المؤلم أن شعوب الدنيا لا تزال في القرن الواحد والعشرين تضحك من حال المسلمين، وهي ترى رؤساءَهم يعضون بالأسنان على الكرسي السلطوي ويطلقون النار على كل من يطالب بالعدالة والحرية.

4 – الإحصائية استخرجناها من كتب المؤرخين : أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا. وعبد الرحمان بن زيدان، اتحاف أعلام الناس. وتاريخ الضعيف الرباطي، ومحمد الكنسوسي، الجيش العرمرم الخماسي...

المخزن قطع الرؤوس وموظفوه شربوا الدماء

منذ النصف الأول من القرن السابع عشر اندلع عنف دموي سيال لا يعرف التوقف بين المخزن والسكان في معظم الحواضر والبوادي، ونتجت عنه فوضى سياسية واجتماعية عامة، لعب فيها الإستبداد وأزمة الوعي لدى الحكام والمحكومين دورا مركزيا، وفتحت أبواب المغرب أمام الإحتلال الأوربي.

ولإلقاء نظرة موجزة عن العقليات التي كانت سائدة في مجتمع لم تكن تُفصَل فيه الخلافات إلا بواسطة السيف والبندقية، أنقل هنا بعض الأحداث المأساوية كما دوَّنها الكتاب السالفون دون أن ألتزم بالتسلسل التاريخي.

قامت سياسة الحكم على تركيع الشعب وذلك بتفقير السكان في المدن والبوادي وإثقال كاهلهم بالضرائب والغرامات المالية والعينية. وأُسند إلى الموظفين والأعوان مهمة الإستحواذ على أرزاق المواطنين ونتفَ أجسادهم كما تُنتف الطيور. وهذه عينة من الضرائب والرسوم المتنوعة التي كان يفرضها المخزن.[1]

المَكس..............يُفرض على السلع في الأبواب والأسواق.
الصَّنْك ....ضريبة تُؤدَّى على البضائع الواردة من مدينة إلى أخرى أو من البادية إلى المدينة.
الحافر ....ضريبة عامة على البهائم المباعة في الأسواق.
النايبة ....تؤديها القبائل التي لا تقدم جنودا في حالة الحرب.
المؤنة..............تؤدّى على شكل تغذية للجيش المخزني أثناء مروره بأرض القبيلة.
النزالة.............تدفعها القبائل التي ينزل أو يبيت بأرضها موكب حكومي.
السخرة...........يدفعها السكان لموظفي الدولة عند تنقلهم للقيام بمهمة.

1 – «المخزن» كان يعني مكانا لخزن المال وإرساله إلى بغداد. وفي عهد الموحدين (1130 – 1269) كان يعني نظاما لجمع الضرائب، وجهازا لفرض سلطة الحكم. وفي العهد المريني (1269 – 1465) أصبح «**المخزن**» مؤسسة وأداة من أدوات القهر والتسلط. وفي القرن التاسع عشر وردت كلمة «**المخزن المغربي**» في إتفاقيات وقعها السلطان مع دول أجنبية.

الهدية ....تؤدى بمناسبة الأعياد والحفلات الرسمية إلى السلطان ويجمعها الموظفون المحليون.
الغرامة............تفرض على القبائل التي تقع في أرضها جريمة أو عصيان لأوامر المخزن.
الزكاة.............من أركان الإسلام يخضع أداؤها لتقديرات الموظفين الذين يتلاعبون فيها.
العشر ....جزء من عشرة يُقتطع من إنتاج الأرض ويُدفع ضريبة.
الترتيب...........ضريبة على المنتوج الفلاحي والماشية والأشجار المثمرة.

وتواصل النزيف المادي والبشري على طول تاريخ المغرب، وأرهق **المخزن** المواطنين بالضرائب، وأطلق موظفيه واعوانه من قياد وشيوخ ومقدمين لينهبوا الأموال ويستبيحوا الأعراض ويعثوا فسادا في المدينة والبادية. ولعل أصدق شهادة على التصرفات الإجرامية لموظفي الدولة، تتجسد في رسالة العلامة **الفقيه الحسن اليوسي** (1630 – 1691م) إلى السلطان **مولاي إسماعيل** (1672 – 1727م) ومما جاء فيها : «**....فلينظر سيدنا فإن جُباة مملكته قد جرّوا ذيول الظلم على الرعية، فأكلوا اللحم وشربوا الدم وامتشّوا العظم وامتصّوا المخ ولم يتركوا للناس دينا ولا دنيا...**» [2]

ومن نتائج مجتمع الإستبداد، أن بعض رؤساء القبائل كانوا يتدخلون في الصراعات بين الأمراء المتنازعين على العرش، ويساندون الواحد ضد الآخر وتشتعل حروب وخيمة يدفع الفقراء ثمنها من أجسادهم وقوتهم اليومي. وهذا ما حصل عام 1662م حينما هجم السلطان **مولاي محمد بن مولاي علي الشريف** على أراضي قبائل الحياينة في أحواز فاس. «**وانتسف زرعهم وأفسده ووقعت مجاعة عظيمة أكل فيها الناس الجيّف والدواب والآدمي.**» [3]

وكان على السلطان **مولاي إسماعيل** أن يؤسس **(جيش العبيد)** وهم مغاربة من أصول إفريقية. وبواسطتهم فرض الإستقرار، وجرد

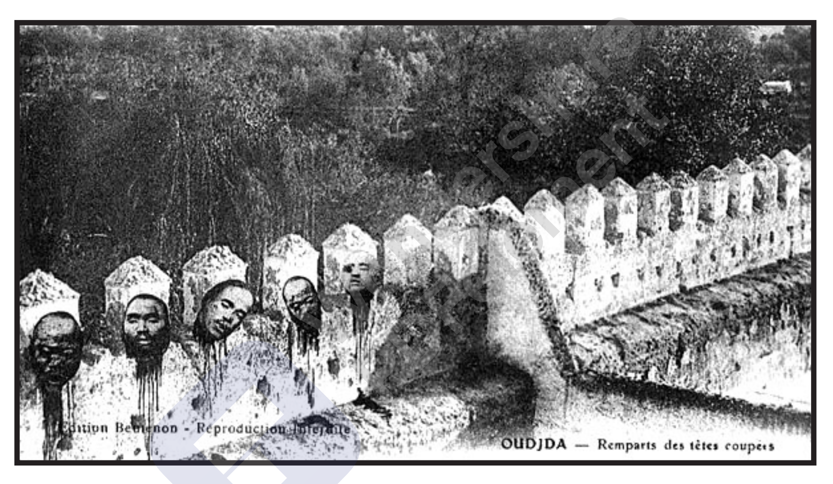
---

2 – أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1956، ج7. ص 83.

3 – ن. م. ص 28.

بعض القبائل من سلاحها وخيولها وحاصرها في أماكن سكناها بقوة مسلحة دائمة. وفي إحدى غاراته على بني يزناسن «**... انتسف زروعهم وضروعهم وأحرق قراهم وقتل رجالهم وسَبَى دراريهم... وأعطاهم الأمان مقابل أن يسلموا الخيل والسلاح.**» (4)

وفي سنة 1692م هاجم قبائل فازاز(5)، وجنّد ضدها مجموعة من القبائل «**وكان عدد رؤوس القتلى ينيف عن عشرة آلاف، وعدد البنادق يزيد على ثلاثين ألفا.**» (6)



رؤوس معلقة فوق سور المدينة

وفي عام 1744م قصد السلطان مولاي عبد اللّه بن إسماعيل (1728 – 1757م) قبائل دكالة التي كان رؤساؤها يساندون أخاه المرتضي وبقي هناك سنة كاملة «**يُخرّب القرى ويقطع الأشجار ويستخرج الدفائن**» ولم يغادر أرض دكالة إلا بعد أن تركها «**أنقى**

4 – ن. م. ص 62.

5 – فازاز قبائل زناتية كانت قديما تمتهن الحرب وتقطن تادلة وما حولها إلى مكناس وملوية وواد العبيد. أنظر الصديق بن العربي، كتاب المغرب، الدار البيضاء، دار الثقافة 1984 ص 207.

6 – الإستقصا ج7 ص 81.

من الراحة ليس بها ما يأكله الطائر ويتظلل الحائر.» [7]

وسلك السلطان **سيدي محمد بن عبد الله** (1757 – 1790م) طريقا آخر لتصفية رؤساء القبيلة المعاندين. فاستدعى عام 1761م مائة وخمسين من أعيان ورؤساء قبيلة مسفيوة إلى مدينة مراكش للتشاور معهم، فاعتقلهم وأمر بقتلهم. وبعد ذلك إكتسح أرضهم بالخيول «**وانتسفوها وأبلغوا في النكاية فاستقامت طاعتهم وصلحت أحوالهم.**» [8]

ومن أسباب تمردات القبائل في مسفيوة وغيرها معاناة الناس من الجفاف وقساوة موظفي المخزن. ففي سنوات 1776 – 1782م أصابت المواطنين كارثة الجفاف دامت سبع سنوات متتابعة وصاحبتها مصائب الطاعون والموت والخراب واضطر الآلاف إلى الهجرة من الجنوب نحو الشمال. واستغل الإقطاعيون نكبة الفلاحين وجوعهم وسيطروا بمختلف الوسائل على الأراضي وجعلوها ضيعات كبيرة واتخذوا من ملاكيها الفقراء عبيدا حقيقيين. [9]

كانت دائما بطانة السوء المحيطة بالملك تدافع عن مصالح الفئات الإجتماعية الأكثر جشعا وقساوة وجهلا. وكثيرا ما تسبب المستشارون المنافقون في إشتعال نيران الحروب بأخبار كاذبة خدمة لمصالحهم. ففي عام 1234ه 1818م دفعوا بنصائحهم الماكرة السلطان الورع **مولاي سليمان** (1792 – 1822م) إلى شن الحرب على آيت أمالو من أمازيغ صنهاجة، وكان معه إبنه **مولاي إبراهيم**، وسارا على رأس جيش جرّار من قبائل الحوز والأوداية وشراكة وأولاد جامع. وعندما وصلوا إلى جبال فازاز، «**أتى سكان آيت أمالو بالنساء والولدان طلبا للمسامحة وأظهروا الطاعة والتوبة.**» فرفضت حاشية السلطان الصلح، واندلع القتال، وانسحب المقاتلون من قبائل زمور من جيش

7 – ن. م. ص 169.

8 – ن. م. ج8، ص 18.

9 – Histoire du Maroc, ouvrage collectif, Hatier, Paris 1982, P. 263

السلطان، وتضامنوا مع إخوانهم آيت أمالو. وكانت النتيجة إنهزام السلطان ووقوعه في الأسر، وسقوط إبنه **مولاي إبراهيم** قتيلا.[10]

وفي السنة الموالية أفتى المستشارون الحاقدون باستعمال الحيلة للقضاء على القبائل التي كانت في محيط مكناس. فقدّم السلطان مساعدات مالية لبعضهم، وجاءه الباقون طمعا في أخذ نصيبهم وكان عددهم يفوق سبعمائة رجل، فألقى عليهم القبض وجردهم من الخيل والسلاح، وامتدت الإعتقالات إلى صفرو، وكان من بين المعتقلين مائة شخص ينتمون إلى آيت يوسي. فكان ذلك سببا في إنتفاضة شعبية في جميع جهات الغرب[11] وأمر السلطان «**بنهب جميع ديار البربر بفاس، فتعدّى الناسُ الحد في ذلك، ونهبوا كل من فيه رائحة البربرية... وكان في ذلك فساد كبير.**»[12]

وكان من شأن تلك التصرفات الخاطئة أن «**اجتمع البربر على معاداة كل من يتكلم بالعربية**»[13]

وتحفل بطون الكتب المغربية بمآت الوقائع التي سالت فيها الدماء بيد حكام طاغين ظالمين. وهذا ما أشار إليه الفقيه الحسن اليوسي في رسالته إلى السلطان : «**إن العمال وخدّامهم هم المشتغلون بظلم الناس ... ومن ذهب يشتكي سبقوه إلى الباب فزادوا عليه، فلا يقدر أحد أن يشتكي. فليتّق اللّه سيدنا وليتّق دعوة المظلوم فليس بينها وبين اللّه حجاب.**» [14]

---

10 – محمد بن أحمد الكنسوسي، الجيش العرمرم الخماسي في دولة اولاد مولانا على السجلماسي تقديم وتحقيق أحمد بن يوسف الكنسوسي. ج1 ص 304. المطبعة الوطنية – مراكش 1994.

11 – الغرب : يُطلق على المنطقة الممتدة حول ضفتي واد سبو بين مثلث طنجة – فاس – القنيطرة وتُعدّ من أخصب الأراضي الزراعية وأكثر كثافة سكانية.

12 – أكنسوس، ن. م. ص 304.

13 – ن. م. ص 306.

14 – الإستقصا، م. س. ج7، ص 83.

فالمغاربة لم يكونوا يطلبون من **المخزن** أن يوفر لهم الشغل والتعليم والسكنى والعلاج لأن فاقد الشيء لا يعطيه، فكل ما كانوا يطالبون به هو عزل عامل أو قائد ظالم. وكان معظم السلاطين يرفضون فصل موظفيهم أو معاقبتهم رغم كثرة الشكاوى منهم. وأدت تلك المواقف في عهد السلطان **مولاي عبد الرحمان** (1822 - 1859م) إلى قيام إنتفاضات شعبية في خمس عمالات من مجموع ثمانية. وقامت في نهاية حكمه تمردات مسلحة ضد الموظفين والحكام المحليين. [15]

وكان الموظفون المكلفون بجمع الضرائب يخصمون عشرة بالمائة لحسابهم الخاص مما يدفعهم إلى المغالاة في تقدير مبلغ الضرائب، وكان «**المخزن**» لا يتساهل مع من يمتنع عن تأديتها. فحينما إمتنعت آيت حلي وهم فريق من آيت يوسي عن دفع الضرائب التي اعتبروها مجحفة «**أوْقعت بهم الجيوش المخزنية وقعة شنعاء، وقطعوا منهم رؤوسا عديدة عُلّقت على أسوار فاس إرهابا للعصاة أمثالهم، وزجرا لهم عن العودة لخلع رداء الطاعة.**» [16]

وطبق بعض موظفي المخزن قانون الغاب الوحشي على المواطنين. ففي عام 1903 خصص عامل تطوان قدور بن الغازي خمس ريالات نقدا لكل من يأتيه برأس مقطوع من سكان قبيلة جبالة. فاندفع القتلة إلى مداشر بني يدّر يقطعون رؤوس رجالها، ويدفع لهم العامل الثمن ثم يعلق تلك الرؤوس على أسوار مدينة تطوان إنتقاما وترهيبا لجميع الرافضين لأداء الضرائب المجحفة المفروضة على بضائعهم في باب المدينة. [17]

---

15 - Abdallah Laroui, les origines sociales et culturelle du nationalisme marocain Paris, 1977, P. 158

16 - عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس. الرباط 1931، ج2. ص 196.

17 - المريني العياشي، النضال الجبلي، ج2. ص 11، تطوان 1983.



5 ريالات لكل رأس مقطوع

وكانت الضرائب والغرامات الفادحة سيفا مسلطا على رقاب القبائل بهدف تركيعها. فقد روى كاتب إسباني رافق السلطان **مولاي الحسن** (1873 – 1894م) في إحدى جولاته أن الغرامات المفروضة على القبائل في منطقة الغرب بلغت ثلاثين أوقيّة على كل شخص، وكل أوقيّة تساوي أربع موزونات من عُملة ذلك الزمان. وبذلك تكون الغرامة على كل شخص مائة وعشرين موزونة مع العلم أن أجرة الجندي الشهرية لم تكن تتجاوز ثماني موزونات.[18]

وحسب الكاتب الإسباني فإن تلك الغرامة ثقيلة جدا نظرا لكون عدد السكان المفروضة عليهم ناهز خمسين ألف نسمة.[19]

وفي عام 1896م فرض **المخزن** غرامة أربعمائة ألف أوقية على قبيلة الرحامنة تدفعها في أجل لا يتعدى أسبوعين.[20]

وتؤكد وقائع تاريخية أن ضراوة القمع كانت تتجاوز جمع الضرائب

18 – فرناندو بِلْديراما مارثينيت، كاتيل خواكين رحالّة المغرب، تطوان 1954، ص 63.

19 – ن. م. ص 63.

20 –Abdallah Laroui, les origines, op. cit. P. 115.

إلى إضعاف القبائل المتوفرة على خيرات الأرض من منتوجات ومواشي وقادرة على تطوير أدوات إنتاجها ومراكمة الثروة لأن القبائل الغنية هي التي كانت الأساس في قيام وسقوط الأسر الحاكمة في تاريخ المغرب. ولذا كان المخزن يرى فيها خطرا على وجوده إذا تركها تغتني وتُنمّي قاعدتها المادية.

ومن هذا المنطلق يجب البحث عن تفسير الأسباب الإقتصادية لأصل التمردات الفلاحية التي يقابلها القمع المخزني. فالقمع هو الذي أعاق تطور القوى المنتجة داخل القبيلة وأخّر تعميق وتوسيع التمايز الإجتماعي بشكل أكثر وضوحا.[21]

وعندما توفي السلطان **مولاي الحسن الأول** (1894م) قامت في مناطق عبدة والشاوية وتادلة حركات جماهيرية مسلحة ضد موظفي المخزن من قياد وشيوخ ومقدمين وقتلت عددا منهم. ودفع الفقر وطغيان الحكام أعدادا غفيرة من سكان البوادي إلى الهجوم على المدن. وهاجمت قبائل بني مطير مدينة فاس، واكتسحت قبائل كروان مكناس، واندفعت بني عمير في إتجاه سلا، وداهمت غياثة مدينة تازة، وزحفت الرحامنة على مراكش، وطوقت الشياظمة مدينة الصويرة. وكانت الفوضى أو «السيبة» بمعناها الشعبي شاملة في وقت كان فيه سفراء وقناصل الدول الإستعمارية في مكاتبهم بطنجة يخططون للإجهاز على حكم مخزني دخل مرحلة الغيبوبة.

وفي عام 1903 تطورت الإنتفاضات المسلحة بظهور جماعات في منطقة الشاوية خاصة في قبائل أولاد بوزيري وأولاد احريز وأولاد سعيد، وامتدت لتشمل باقي الجهات. وكانت جماعات الفقراء تتكون من عشرين إلى ثلاثين مسلحا يختارون واحدا من بينهم لقيادتهم. وهجموا على قصور الموظفين والأعيان في برشيد وسطات وأحرقوها وصادروا الأموال وفرضوا الغرامات على المقبوض عليهم من الأغنياء.[22]

21 – Paul Pascon, Le Hauz de Marrakech, T. 1, P. 150, Rabat 1983.

22 – Edmund Burke III, mouvements sociaux et mouvements de résistance au Maroc. La grande Siba de la Chaouia 1903 –1907. Pp. 149–163 Hespèris Tamuda, Vol. XVII. Rabat 1976 –1977.

وفي جهة سوس قامت إنتفاضة الفقراء ودمّرت قصور وأملاك القياد ونهبت محتوياتها، وشاركت فيها قبائل ويجّان ومجاطة إيغير ملولن، وأخصاص أمريغت – وثارت القبائل ضد القياد الذين كانوا يقهرونها في شتوكة والمعدر وماسّة والساحل وأكلو. وترأس الثائرين محمد بن الحسن بن هاشم. وحطمت قبائل آيت باعمران قصر القائد السيموري والقائد العبدلاوي. [23]

إن الباحث في تاريخ الإستبداد بالمغرب ليقف متعجبا من السهولة التي كان يقطع بها الحكام الرؤوس البشرية ويعلقونها على أبواب المدن. فالطغاة كانوا يهدفون إلى فرض صمت القبور على المظلومين إلا أنهم ما لبثوا بأعمالهم الوحشية أن أغرقوا الأرض والسكان في مستنقعات الجمود والإنحطاط والتخلف، وأبعدوا البلاد مسافة مئات السنين عن موكب الحضارة الإنسانية.

23 – المختار السوسي، المعسول ج4. ص 206. وطاقة ريحان ج9..







الفصل الثاني

شيوخ الزوايا قاتلوا الملوك واغتصبوا السلطة

نشأت الصوفية مع طائفة من المتزهدين جعلوا منها مذهبا دينيا روحيا فلسفيا كرد فعل على انحراف الحكام وانغماسهم في اللذات والشهوات أثناء حكم بني أمية (661 – 750م). وكان مجال ظهورهم في الكوفة والبصرة، ومن بين الرواد الأوائل إشتهرت **رابعة العدوية** توفيت سنة (185ه 801م) **وذو النون المصري** (245ه 859م). **وأبو زيد البسطامي** (260هـ 873م) صاحب نظرية الفناء والإتحاد، إتحاد الناسوت (الطبيعة الإنسانية) باللاهوت (الطبيعة الإلهية). **والحسين أبو منصور الحلاج** الذي طوّر نظرية حلول اللّه في مخلوقاته، وتعرض للقتل في بغداد عام 309ه – 921م. وكذلك كان مصير **السهرودي** القائل بأن العالم صدر من إشراق اللّه، وقتل في حلب بسوريا سنة 586ه – 1190م. وفي القرن السابع الهجري ذاعت شهرة **إبن عربي** مؤسس مذهب وحدة الوجود، **وإبن سبعين** وغيرهم من مفكري الصوفية أصحاب الإجتهادات الدينية والمعرفية.

انتهى عصر الصوفية الإشراقي وبدأت مرحلة التدجيل والشعوذة الدينية. فشيوخ الزوايا يقولون بثنائية الشريعة ولها «**ظاهر وباطن، والظاهر منهما للعامة والباطن للخاصة**» ومعنى ذلك أن الشيوخ غير ملزمين بتطبيق الفرائض الدينية الواجبة على جميع الناس بدعوى أنهم أرباب أحوال وأصحاب أذواق وسرّهم لا يطلع عليه غيرهم. [1]

---

1 – أحمد الناصري، تعظيم المِنّة بنصرة السنة. مخطوط رقم 5906 ص 280 بالخزانة الصبيحية.

فالصوفيون الأوائل بالمغرب كانوا على قدر من الثقافة الدينية، وشيدوا زواياهم في الجبال والمناطق النائية التي أهملها المخزن. ولعل أشهرها الزاوية الناصرية في درعة وسط قرية تمكروت على بعد عشرين كيلومترا من زاكورة. وقامت زوايا أخرى في الأوقات التي عجز فيها الحكم عن حماية التراب الوطني بتأسيس جيوش على شكل «رباطات» لحراسة الشواطئ من هجومات النصارى. ثم كونت جهازها الإداري والقضائي، وقامت بتأطير القبيلة في البادية وعملت على حل النزاعات وحماية المراعي والسهر على توزيع المياه، وتأمين سلامة الأسواق والقوافل التجارية. وازداد نفوذها بتطور قاعدتها الإقتصادية وتكوين جيوشها المسلحة ودخولها في تحالفات مع رؤساء القبائل المحاربة.

الطرقيون غطسوا في دماء الفقراء

ومنذ بداية القرن الخامس عشر الميلادي لجأ شيوخ الزوايا إلى ممارسة العنف تحت راية «**الجهاد**» وساعد بعضهم الأسرة السعدية للسيطرة على الحكم (1554 - 1659م).

وحينما شعر الصوفي **أحمد أبو محلي** بقوة أنصاره دفعهم إلى القتال ضد السلطان **زيدان إبن المنصور الذهبي** (1603 - 1627م). وطرده من مراكش، وأعلن نفسه سلطانا مكانه، وسكّ النقود الخاصة به، وأقام شارات ومراسيم المُلك. واستولى على درعة وسجلماسة. وبعد ثلاث سنوات تحالف السلطان زيدان مع الصوفي **أبو زكريا الحاحي** القادم من شمال تارودانت، ودفعا بآلاف الفلاحين إلى حرب مفجعة انتهت بالقضاء على أبي محلي بالقرب من مراكش سنة 1022ه - 1613م.

إلا أن الشيخ **أبو زكريا الحاحي** غير رأيه وأنشأ «إمارة»

خاصة به في تارودانت وأعلن «**الجهاد**» ضد السلطان زيدان سنة 1614م. وكانت بينهما حروب دموية في أكثر من مكان.

وفي تازروالت بسوس أسس **أبو حسون** رئيس الزاوية السملالية «إمارة» في إيليغ، وجعل منها مركزا تجاريا هاما قصدته البعثات التجارية من مختلف البلدان الأوربية. وبسط سلطته على تارودانت وكل الصحراء ودرعة وتافيلالت وسجلماسة والساقية الحمراء، واستولى على مناجم الذهب في تغازي ومالي وكانت جيوشه تبادل الملح بالذهب وغيره من المواد، واحتكر التجارة مع مالي والسنيغال وغينيا وكان يصدر البضائع على يد التجار الأوربيين في ميناء اكادير. ودامت «الإمارة» خمسين سنة كلها حروب ضد السلاطين وضد زوايا أخرى منافسة.

وأسس الشيخ **أبو بكر الدلائي** الزاوية الدلائية سنة 1612م وسط قبيلة آيت إسحاق بمنطقة خنيفرة. ودخل في الحرب ضد أبي حسون شيخ الزاوية السملالية. وتذابح فقراء الزاويتين بإسم «الجهاد». وفرضت الدلائية سلطتها على الأطلس المتوسط وعدة مناطق أخرى. وبفضل قوتها الإقتصادية والعسكرية ألحقت الهزيمة بجيش الدولة السعدية. ونشبت معارك كثيرة في سلا بين الدلائيين والشيخ **محمد العياشي** الذي كان بمساعدة نائبه **غيلان الخضر** يسيطر على الشواطئ من سلا إلى تطوان وجمعا ثروة كبيرة من خلال السماح للبواخر الأجنبية بالإتجار في عدد من الموانئ.[2] وسقط الشيخ العياشي تحت خناجر

2 – للمزيد من التفاصيل أنظر : شوقي عطا الله الجمل، العلاقات الإنجليزية المغربية في النصف الأول من القرن 16 و 17م في ضوء وثائق مكتبة المتحف البريطاني بلندن. مجلة «**المشاهد**» عدد 3 – 4 – الرباط 1975.

الدلائيين الذين نصبوا له كمينا عام 1641م.

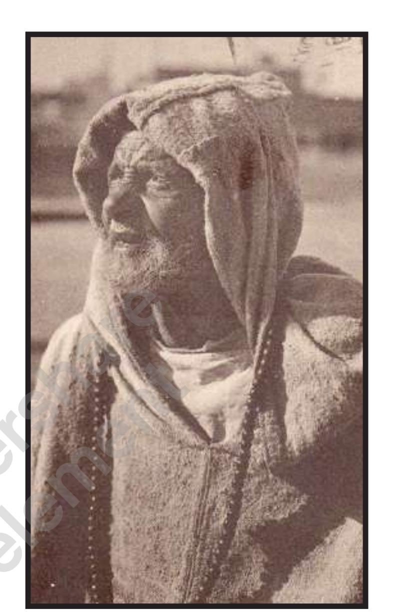
ودخلت الزاوية الدلائية في حرب طويلة ضد العلويين، وخربت سجلماسة سنة 1646م، وسيطرت على فاس ومكناس وسلا. وبعد مرور عشرين سنة إستطاع السلطان **مولاي رشيد** أن يقضي على وجودها في فاس. وهرب رئيسها بالأموال والأولاد إلى تلمسان حيث احتمى بالأتراك العثمانيين الذين إحتلوا الجزائر عام 1518م.

وفي سنة 1677م عادت الدلائية برآسة الشيخ **أحمد بن عبد اللّٰه الدلائي** إلى إعلان العصيان في منطقة تادلة، وهزم قوات السلطان في أكثر من واقعة. وقصده السلطان **مولاي إسماعيل** في جيش ضخم سلاحه المدافع والبنادق الحديثة، وحسب المؤرخين سقط في المعارك آلاف الفقراء قتلى، وكانت النهاية الحتمية للدلائية.

وفي سهل تادلة قامت **الزاوية الحنصالية** بتمرد مسلح ضد السلطان **العلوي مولاي عبد اللّٰه** (1728 – 1757م)، إنتهى بإنتصار الجيش الحكومي وبإعدام **الشيخ يوسف** رئيس الحنصالية عام 1733م.

وفي أواخر القرن السابع عشر أعلنت زاوية (**سيدي أحمد بن موسى**) تمردها على المخزن وجعلت عاصمتها في «إلغْ» بسوس. واشتهرت بمجموعات من المقاتلين المتخصصين في الرياضات الحربية مثل الرماية والمصارعة والقفز البهلواني. وسيطرت على جميع الأراضي الممتدة من الصويرة إلى آيت باعمران مرورا بسوس والساحل، واحتكرت التجارة مع افريقيا السوداء. وتطاحن فقراؤها مع الجيوش المخزنية، خاصة أثناء سطوة الشيخ والمحارب **بودميعة** في تازروالت. ولم تخضع

للسلطة المركزية إلا في عهد السلطان **مولاي الحسن الأول** عام 1882م.



السبحة طويلة جدا..

وفي ناحية مراكش كانت زاوية تامصلوحت التي أسسها **عبد اللّه بن احساين المغاري** تمارس العنف ضد ممثلي السلطة المخزنية وضد القبائل التي ترفض التنازل عن أراضيها.

وبمختلف الأساليب تمكنت الزاوية من الإستيلاء على خمسة عشر ألف هكتار من أخصب الأراضي، وكانت تحتكر بيع الزيتون في النفيس وغيغاية وتصدر جزءا منها عن طريق وسيط أجنبي إلى أسواق فرنسا وإنجلترا. وكان رئيسها في بداية القرن العشرين يتمتع بالجنسية الإنجليزية.(3)

ولم تختلف **الزاوية الشرقاوية** في أبي جعد عن غيرها، إذ كان شيوخها يتصرفون في شؤون القبائل حسب مصالحهم، ويرفضون أي تدخل للحكم المركزي فيما يقومون به، وكثيرا ما أثاروا العامة على ممثلي المخزن. وتمكن السلطان سيدي **محمد بن عبد اللّه** (1757 - 1790م) من جعل حدّ لنفوذهم، وهدّم الزاوية وحكم على شيوخها بالموت والمنفى.

ولعبت الزاوية **الدرقاوية** بزعامة الشيخ **مولاي العربي** دورا

3 -Paul Pascon, Le Hauz de Marrakech, T. 1, P286, Rabat 1983

أساسيا في هزيمة السلطان الورع **مولاي سليمان** واعتقاله سنة 1818م ومقتل إبنه **إبراهيم** أثناء القتال ضد قبائل في الأطلس المتوسط بزعامة **الدرقاوي علي أمهاوش**. (4)

ولم يكن حظ السلطان **مولاي سليمان** أقل سوءا في مواجهة **الزاوية الشرادية** بضاحية مراكش. فقد عزم على تأديب **الشيخ المهدي بن محمد** بسبب استحواذه على الأراضي الواقعة على نهر النفيس. غير أن الطرقيين كانوا أكثر تسليحا وقوة من جيش السلطان، فهزموه وغنموا مدافعه وأسلحته، واعتقلوا السلطان داخل الزاوية عام 1822م. وأصبح شيخ الشرادية الحاكم بأمره في المنطقة، وتحوّل أتباعه الفقراء إلى قطاع الطرق ينهبون القوافل والمسافرين. (5)

وعادت الزاوية الشرادية لتعلن العصيان على السلطان مولاي عبد الرحمان (1822 – 1859م). فاستعان عليها بمجموعة من القبائل، ودامت المعارك تسعة أيام كان فيها للمدافع الدور الحاسم، وسقط المآت من القتلى والجرحى. وكما أشعل شيوخ الشرادية فتيل الحرب بإسم الإسلام، فقد طلبوا العفو بإسم القرآن. **(وأخرجوا الصبيان يحملون المصاحف والألواح القرآنية يطلبون العفو من السلطان).** (6)

وأحيانا اضطر بعض السلاطين إلى مداراة الطرقيين بتقديم الهبات المالية وبناء أضرحتهم وإعفائهم من الضرائب ومنحهم

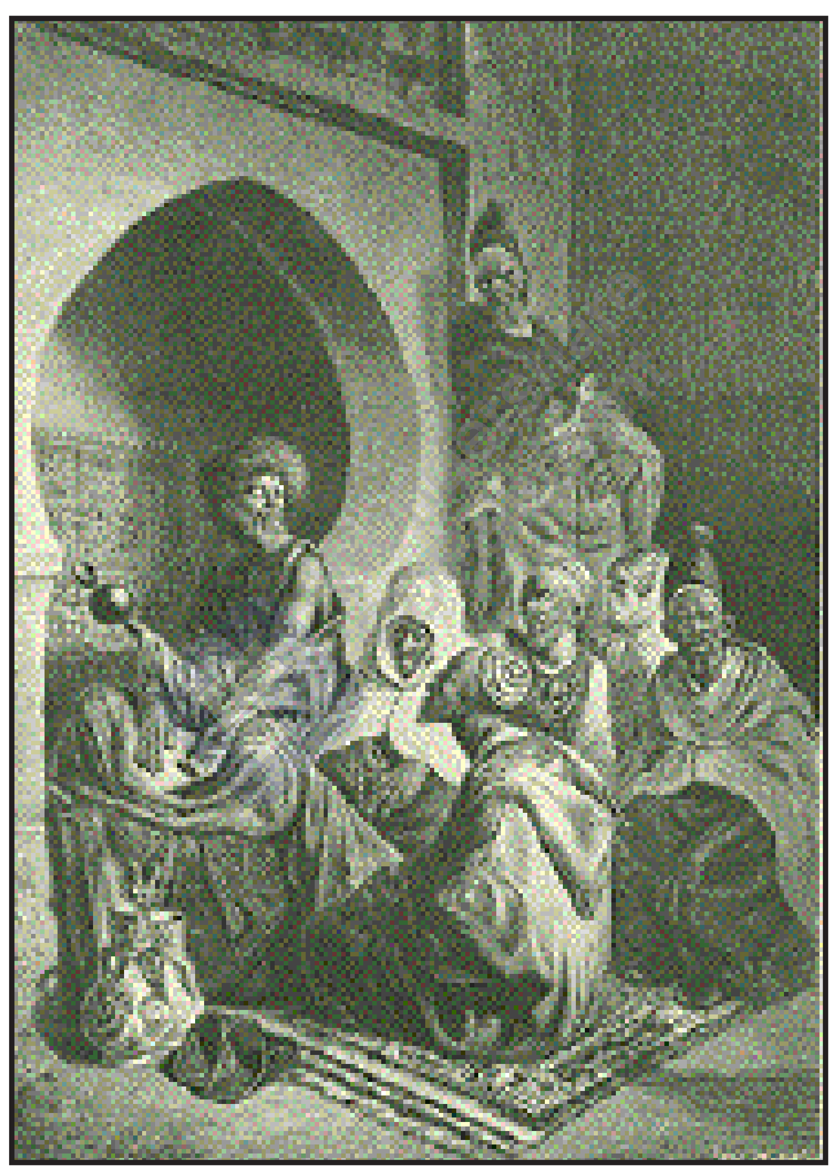
---

4 – تاريخ الضعيف الرباطي، م.س.ص 269.

5 –Paul Pascon, ibid, P 197

6 – عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج 5. ص 187، المطبعة الوطنية، الرباط 1933.

«ظهير التوقير والإحترام» وهو الحصانة وذلك دفعا لشرهم لأنهم كثيرا ما أثاروا العامة عليهم وأوقعوا بهم الهزائم.



زاوية بطنجة قبل مائة سنة

الشيوخ مارسوا جميع أشكال التجارة

إذا كان التصوف في بدايته ردّ فعْل على الإنغماس في ملذات الحياة، وإحتجاجا على ظلم الحكام، ودعوةَ لمقاومة الغزاة الأجانب، فإن الشيوخ الجاهلين جعلوا من الزوايا مراكز للانحراف الديني والأخلاقي، وأشاعوا وسط أتباعهم «الفقراء» الخرافات والتعصب، وزينوا لهم فوائد المتاجرة بالشعوذة الدينية وأكل أموال الناس بالباطل.

خاض شيوخ الطرقية في جميع أشكال التجارة، وباعوا واشتروا في المواشي والحبوب والزيوت، وتدخلوا لضمان السلف بين البائعين والمشترين مقابل تقاضيهم النسبة المئوية كما تفعل البنوك في وقتنا الراهن. وكان الشيخ يعرض للبيع جزءا من الزرع والزيت التي تلقاها هدية من الفلاحين، لكن بالثمن الذي يحدده هو تحت غطاء «**بركة الشيخ**». وكانت الحشود التائهة تبحث عند رئيس الزاوية عن حلول لمشاكلها ومعاناتها النفسية والمادية. وتتوجه إليه بنفس الرغبات حينما يموت، وتقف على قبره مستغيثة به لكي يسلط العقاب على الظالمين ويرفع الظلم عنها لأن المؤسسة القانونية عاجزة عن إنصافها.

وتفنن شيوخ الطرقية في إبتزاز أموال الناس بالكذب عليهم مدعين قدرتهم على حل المشاكل ومعرفة الغيب وفعل الكرامات. ومنذ القرن الثالث الهجري ربط القطب الصوفي **أبو يزيد البسطامي** القول بالفعل والنظرية بالتطبيق في موضوع الكرامات بقوله : «**إذا نظرتم إلى الرجل قد أُعطيَّ من الكرامات حتى يرتفع في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروَا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة**». [1]

وعلق الفقيه بن كثيرعلى الموضوع قائلا : «الكشوف قد تصدر من

1 – بن كثير، البداية والنهاية، المجلد 2 ص 2123 دار بن حزم، بيروت 2005.

المؤمن والكافر... ومن الصادق والفاجر.»[2]

وهذا يعني أن الكشوف والكرامات قوة باطنية غير مرئية جعلها اللّه في الإنسان بقطع النظر عن عقيدته وإيمانه وكفره.

وكما كان الرهبان يبيعون صكوك الغفران في القرون الوسطى، كان الطرقيون يعرضون للبيع وُعودا بالجنة والربح في الدنيا، وكل من عنده مال «**يشتري من عندهم ما يحب من زواج وسكنى في الحاضرة وغير ذلك.**»[3]

ومارس بعض الطرقيين الدعاية والإشهار لمواد إستهلاكية لم تكن معروفة لدى الجمهور. وهكذا رخص **رئيس الزاوية الدرقاوية** في مراكش ونواحيها لأتباعه شُرب الشاي نزولا عند رغبة قائد شيشاوة (**عبد المالك المتوكي**) الذي كان يستورد الشاي من أوربا.[4]

وفي شمال المغرب حثّ شيخ زاوية أخرى الناس على شرب القهوة التي كانت مجهولة لديهم. وادعى أن من شربها «**تستغفر له الملائكة مادام طعم القهوة في فمه**»[5]

الولائم لكسب ولاء الجائعين

كان من بين أسلحة الطرقيين تنظيم المآدب والولائم لكسب ولاء الفئات المُعوزة. إذ لم يكونوا يقتصرون على شحن العقول بالروحيات فقط، بل كانوا أيضا يملؤون بطون المساكين بالطعام وأحيانا يغطون أجساد المُريدين التابعين لهم باللباس مرة في العام. وكانت زاوية

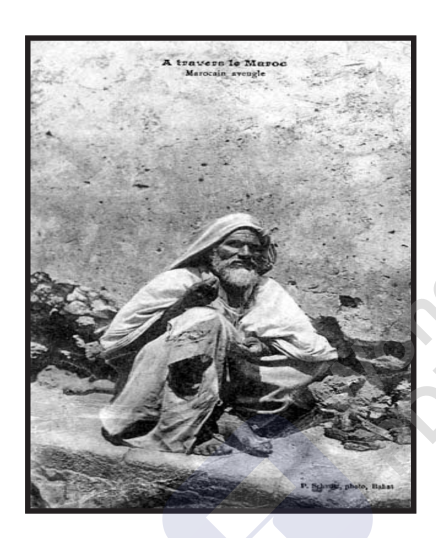
2 – ن. م. ص 2826.

3 – المختار السوسي، من أفواه الرجال، ج1. ص 67، تطوان 1963.

4 – ن. م. الجزء الثالث، ص 73.

5 –عبد اللّه التليدي، قمع الأغبياء باستحباب شد الرجال لزيارة الأولياء. ص 15. تطوان بدون تاريخ.

(**محمد أوسعدن السوسي**) تضم تسعمائة طالب يطعمهم ويكسيهم ويتجدد عددهم باستمرار. [6] وكان الشيخ (**أحمد الشاوي**) يملك أراضي زراعية وأموالا كثيرة، ويقدم الطعام للفقراء في خمس زوايا تابعة له [7] وشيد الطرقي (**عبد الله الكوش**) في زاويته مطعما ضخما ومطابخ عظيمة وقدورا كبيرة تتسع الثور والثورين، وجعل فيها بلاطا مجصصا يوضع فيه طعام الكسكس بالمجان. [8]



وتقول إحدى الروايات أن نجل (**عبد الله بن احساين**) ذبح يوما تسعمائة شاة، ومائتين من البقر، وعشرين من الإبل، وهيأ الطعام في أحواض تغذى منها إثنا عشر ألف وخمسمائة من المساكين. أما رئيس الزاوية الدلائية (**محمد بن أبي بكر**) فقد أقام في زاويته قواديس طويلة لجلب السمن إليها، وكانت تصب سوائلها في قدور نحاسية ضخمة.

لم يكن تنظيم المآدب نابعا من سخاء شيوخ الطرقية ولا من مالهم الخاص. فكل شيء يملكونه كان مصدره السكان. وضخامة المآدب كانت تمثل دعاية لهم وتجعلهم في أعين البسطاء من الناس جديرين بتصريف شؤون حياتهم اليومية عوض موظفي حكومة المخزن المشهورين بالنهب والظلم.

---

6 –عبد العزيز بن عبد الله، معطيات الحضارة المغربية، ج1. ص 167. الرباط 1963.

7 – ن. م. ص 168.

8 – ن. م.



سلوكهم منافي للدين والأخلاق

تعاطى عدد من الشيوخ أنواعا من السلوكات المنافية للدين والأخلاق بدعوى أنهم مجذوبون لا حرج عليهم. وكان شيخ زاوية **تيمكيلجت** بسوس سنة 1903 ينظم سهرات خاصة «**...ومعه بعض أصحابه الفسّاق وأهل اللهو واللعب بالدفوف، ويستدعي النساء المحصنات وغيرها زاعما أنه مجذوب لا حرج عليه.**»[9]

وروى محمد بن الوزان في «**وصف إفريقيا.**» فصولا من المجون التي إنغمس فيها «**شيوخ يقيمون مآدب كثيرة ينشدون فيها أناشيد غرامية ويرقصون طويلا... ويفعلون ذلك من أجل الهوى الذي يكنّون لبعض الغلمان... وإذا سقط أحدهم أثناء الرقصٍ أوقفه حالا على رجليه أحد الشبان، فيقبله العجوز في الغالب قبلة شهوانية.**»
[10]

إقترف الطرقيون، على إختلاف مذاهبهم، في الزوايا المحرمات بإسم الدين «**ولا تجد في هذه المجامع الشيطانية إلا من بلغ الغاية في الجفاء والجهل ممن لا يحسن الفاتحة فضلا عن غيرها مع ترك الصلاة طول عمرهم.**»[11]

وبناحية مراكش كان شيوخ زاوية **(سيدي رحال)** يشرفون على عدة منازل للدعارة ويتقاضون نسبة من المداخل المالية, وفي ملتقى واد تساوت وواد دمنات كانت توجد زاوية **(سيدي عيسى بن سليمان)**، وبجانبها تجري التجارة في أجساد النساء, ويتلقى شيوخ الزاوية

9 – المختار السوسي، المعسول، ج3. ص 362، الدار البيضاء 1961.

10 – الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، ج1 ص 209.
الرباط 1980.

11 – محمد بن عبد الله المؤقت، الرحلة المراكشية أو مرآة المساوئ الوقتية، ج1 ص 143، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء بدون تاريخ.

نصيبهم من المال الحرام.[12]

وفي أبي الجعد كانت تنتصب زاوية **(سيدي بوعبيد الشرقي)** وتنتشر حولها دور الدعارة حيث تعرض على الزائرين فتيات مراهقات، ويتقاسم القوادون الأرباح مع المشرفين على الزاوية.[13]

وفي عام 1784م أقدم السلطان **سيدي محمد بن عبد الله** على تخريب الزاوية، وأعدم بعض الشيوخ ونفى آخرين. وقال لهم : «**أنتم معتكفون في هذه القرية على الفساد وإيواء كل ظالم وداعر من جميع القبائل.**»[14]

وأتذكر أن جريدة «**التحرير**» أرسلتني سنة 1961 إلى منطقة بني ملال لإنجاز تحقيق صحفي حول أوضاع الفلاحين. فأخبرني أحد المناضلين بوجود شخص يَدّعي أنه «**ولي الله**» يسمونه الشيخ بوعنان، ويستغل سذاجة الفلاحين في منطقة جبلية ويستمتع بحق الليلة الأولى كما كان يفعل الإقطاعيون الأوربيون بالعروس في القرون الوسطى. فارتدينا لباس الفلاحين وقصدنا آيت عتاب وهي بلدة غنية باللوز والزيتون والشعير إلى جانب الصناعة التقليدية مثل دباغة الجلود. ورأيت عن قرب الشيخ العاهر، كان في مقتبل العمر شديد البياض، غليظ الجسد، نظرته ماكرة، يمد يده ليقبلها الفلاحون الجهلاء الذين يعتقدون في بركته.

وفي نفس التاريخ علمت أن شيخا آخر كان يفتض العروس قبل أن يدخل بها زوجها، ويسمي نفسه «**سيدي البركة**» ويقطن بناحية دمنات في الأطلس الكبير.

12- Edmond Doutté, mission au Maroc en tribu, Paris, 1914, P. 225.

13 - Capitaine Cornet, à la conquête du Maroc sud avec la colonne Mangin 1912-1913. Paris, 1914, P. 228.

14 - أبو عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي "الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي." ج1. ص 258. المطبعة الوطنية، مراكش 1994، تقديم وتحقيق أحمد بن يوسف الكنسوسي.

حكومة المخزن كانت تُشجِّع همجية الزوايا

كان أتباع الزاوية العيساوية التي أسسها **محمد بن عيسى السفياني** سنة 1526م، ينظمون (الحضرة) وتقوم على الرقص العنيف، ويضربون رؤوسهم بالسيوف وهم يتمايلون على أنغام رتيبة. ويغرسون أسلاكا حديدية في الوجنتين، بينما تقوم النساء بجرح الأذْرُعْ والأفخاذ بالخناجر وهن في حالة غيبوبة راقصة.

وفي بداية القرن العشرين بلغت دولة المخزن أسفل درجات الإنحطاط والإفلاس، ففي الوقت الذي اشتدت فيه التدخلات الإستعمارية برا وبحرا في التراب المغربي، كان الوزراء الجاهلون ومعهم الفقهاء الضالون والمُضلُّون وكبار التجار والأعيان يستلذون برؤية الأعمال الهمجية التي تقوم بها الزاوية العيساوية وكانوا يتفرجون على عيساوة وهم (**يفترسون لحم الأغنام والمعز قبل موتها بعد أن يبقروا بطونها ويمزقوا أحشاءها... فتلوث أبدانهم وثيابهم بالدماء.**)[15]

ولم تكن **الزاوية الحمدوشية** أقل بشاعة من العيساوية. فقد كان الحمدوشيون يشدخون رؤوسهم (بالشاقور) وغيره من الأدوات الحادة. بينما يقوم **أولاد سيدي رحال الكوشي** المتوفى سنة 1538م، بالمشي حفاة على أكوام الزجاج المُكسّر وعلى الأشواك ويصبون الماء المُغلى في أفواههم، ويعتقدون أن (**بركة الشيخ**) تحميهم ولا يشعرون بالألم. واشتهر أيضا (**هداوة**) وهم أتباع (**زاوية سيد هدي**) في وسط قبيلة بني عروس. ويتميزون بلباسهم المرقع بقطع من الثوب مختلفة الألوان. ويكتفون بالضرب على الدفوف وترديد الأزجال وتدخين الحشيش وممارسة أشياء أخرى.

وفي رسالة للسلطان **مولاي سليمان** الذي هزمته الزوايا واعتقلته مرتين، يقول عن الطرقيين أنهم «**يمزجون الذكر بالشطح والرقص**

---

15 – محمد داود، تاريخ تطوان، ج 3. ص 212.

وضرب الصدور, ونتف الشعور والتشبه بالحيوانات, وأكل الميت والتلطيخ بالدم المسفوح، المُحرّم.» (16)

كانت الحشود الأمية اليائسة تبحث لنفسها عن ملجأ مؤقت في الرقص و الهذيان لنسيان بؤسها وشقائها، وأصبحت الشعوذة جزءا من تقاليدها ومتنفسا لهمومها, وسقطت بحكم العادة في أحضان شيوخ الزوايا.



همجية الزوايا ما تزال تلقى التشجيع

16 – بن زيدان، اتحاف اعلام الناس، ج 5. ص 565.

الزوايا تحالفت مع قوات الإستعمار

في بداية تقسيم العالم بين الدول الأمبريالية، أولى الإستعمار بالغ الاهتمام إلى شيوخ الزوايا ورأى فيهم أدوات فعالة للحد من المقاومة الشعبية والسيطرة على البلاد بدون خسائر كبيرة في جنوده.

وحينما زحف الجيش الفرنسي على مدينة فاس عام 1911، كان شيخ الزاوية يقول : «**إن النصارى ما جاؤوا للمغرب إلا بإذن الولي الصالح مولاي إدريس**»، وأن أحدهم رأى مولاي إدريس في المنام فطمأنة على أن «**مدينة فاس لن يصيبها مكروه من جراء الإحتلال الفرنسي.**»[1]. وفي مدينة طنجة كان أحد رؤساء الطرقية يقول للناس: «**إن إرادة اللّه إقتضت تسليط النصارى على المسلمين، فالذين يقاومون النصارى إنما يقاومون إرادة اللّه.**» [2].

وفي منطقة سوس بجنوب المغرب وزّع شيخ الزاوية الدرقاوية **علي الألغي** رسائل على أتباعه في مجموع الأقاليم أوصاهم فيها بعدم إظهار أية مقاومة لجيش الإحتلال الفرنسي وأن يتركوا «**الأمر للّه الواحد القهار.**»، وطلب منهم أن يقرؤوا «**سبحان اللّه ونعم الوكيل**» مائة مرة في الصباح ومائة مرة في العشي[3].

ولم يكتف شيخ الدرقاوية بتخدير عقول البسطاء وإخضاعهم للجيش الفرنسي، بل جيّش المئات من الفقراء وألحقهم بصفوف القوات الإستعمارية ليحاربوا إخوانهم المدافعين عن الحرية والكرامة. [4].

وليس بعيدا عن تافراوت بإقليم سوس وجّه **محمد بن هاشم** شيخ

1 – عبد الهادي بوطالب، ذكريات شهادات ووجوه. الشركة السعودية للأبحاث والنشر، الرباط 1992م ج1 – ص 82.

2 – ن. م.

3 – المختار السوسي، المعسول، ج 1 ص 309 .

4 – المختار السوسي، الإلغيات، ج 1. ص. 51، الدار البيضاء 1963.

(زاوية تيمكيلشت) نداءا إلى السكان سنة 1933 ليكفوا عن المقاومة. ودخل الجنود الفرنسيون إلى أمانوز في موسم بارد وقطعوا أشجار الزيتون للتدفئة، وأكلت دوابهم المحصول الزراعي لتلك السنة وأرغموا السكان على تقديم المؤنة لهم، وهتكوا أعراض النساء اللواتي لم يتمكن من الإعتصام بالجبل.[5]

وانضم **عبد السلام الوزاني رئيس الزاوية الوزانية** إلى الغزو الإسباني لتطوان في حرب 1859م. وفي أواخر القرن التاسع عشر عمل جاسوسا لسفير إنجلترا بالمغرب، ثم إنتقل لخدمة الفرنسيين عام 1884م ومنحوه الجنسية والمال والسلاح، وجنّد مئات «**الفقراء**» لمحاربة الثائر الوطني عبد القادر الجزائري وقام بدعاية دينية لتهدئة القبائل التي قاومت الغزو الفرنسي المنطلق من الجزائر، واعتبره السلطان مرتدا. فاحتمى بالقوات الفرنسية التي نقلته إلى الجزائر، وهناك مات مدمنا على الخمر[6].

وأصبح إبنه **مولاي علي** رئيسا للزاوية وتفوّق على أبيه في تنفيذ المهام الوسخة التي كلفه بها الجيش الفرنسي. وأحرز على لقب «**عقيد شرفي لمحاربي إفريقيا.**» وهو وسام لا يمنح إلا لضباط الإستعمار الكبار.

وفي سنة 1912 حينما كان المكافحون يسقطون بالمئات برصاص القوات الفرنسية، قام **الماريشال ليوطي** بتوشيح **محمد المكي** أحد شيوخ الزاوية الوزانية بوسام فرنسي، ووصفه بأنه : «**أحسن عميل سياسي أثناء الحملات العسكرية التي قادها الجنرال كورو.**»[7].

وأكد أحد كبار الموظفين الفرنسيين أن الزاوية الوزانية وجميع فروعها تعاملت مع الإستعمار : «**التهامية والطيبية تابعتان لشريف**

---

5 – عثمان بن عابد بوفتاس، أمانوز لمحات تاريخية واقتصادية واجتماعية. ص 19 الدار البيضاء1991

6 – Abdallah LAROUI, les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain, Paris 1977, P. 146.

7 – Lyautey l'Africain – Textes et lettres du maréchal lyautey, présentés par Pierre Lyautey, T. 1. Paris, 1953, P. 254.

وزان الذي يسيطر على أراضي هامة في شمال المغرب وله عزيب في الحوز ولزاويته فروع في الشياظمة وحاحا، وهذه الزوايا كلها في خدمتنا.»[8].

وفي منطقة دكالة كان الشيخ يطوف في الأسواق ويلقى الخطب في المساجد داعيا الناس إلى عدم التصدي للجيش الفرنسي. [9].

وفي خضمّ حرب الريف. بقيادة البطل عبد الكريم الخطابي «**وجّه رؤساء الطرقَ ومشاهير المشايخ الرسائل إلى القبائل يطالبونها بوضع السلاح والإستسلام.»** [10].

واستعان الجيش الإسباني بعد هزيمته في أنوال سنة 1921 بشيوخ الزوايا، ودبّر شيخ زاوية المرابطين مؤامرة تهدف إلى نسف المنزل الذي كان ينزل فيه **عبد الكريم الخطابي** في مرنيسة. إلا أن ضمير أحد المشاركين في تنفيذها استيقظ وكشف أمرها. [11] وسلم **محمد بن الصديق الغماري شيخ درقاوة** إلى رؤساء القبائل الأموال التي توصل بها من الإسبانيين وطلب منهم تجنيد السكان في غمارة والحوز وانجرا لمحاربة الثورة الريفية. وأمر **عبد الرحمان الدرقاوي** المئات من أتباعه (الفقراء) في بني زروال ليقاتلوا المجاهدين. وفي عام 1924 قصد **أمحمد الخطابي** قبيلة بني زروال وعاقب أعيانها الخونة، وتمكن شيخ الزاوية من الفرار بعائلته وأمواله واحتمى بالجيش الفرنسي. [12] وشاركت الزاوية **الريسونية** في محاربة حركة التحرير في شمال

---

8 –Edmon Doutté, op. cit. P. 2.

9 – Simon Henri, un officier d'Afrique, Verlet Hanus, Paris, 1931, P. 62

10 – علال الفاسي، حديث المغرب في المشرق، القاهرة 1956، ص 11.

11 – أحمد البوعياشي، حرب التحرير الريفية ومراحل النضال، دار الأمل، طنجة 1975. ج 2. ص 128.

12 – ن. م. ص 338.

البلاد وخاصة في منطقة الريف. واشتهر رئيسها **أحمد الريسوني** في بداية القرن العشرين عندما اختطف أشخاصا أمريكيين وانجليز ولم يطلق سراحهم إلا بعد توصله بمبالغ مالية، وحاول بعض الكتاب إضفاء صفة المقاومة على ما قام به. إلا أن الحقيقة انكشفت بعد إنضمام الريسوني وزاويته إلى جيش الإحتلال الإسباني، وتسبب في قتل المئات من المقاومين في معارك دامية شنها أنصاره الذين سلحتهم إسبانيا. وتمكن أمحمد **الخطابي** بعد يومين من المعارك في المكان المسمى بني جبارة من إلحاق الهزيمة بجيش الريسوني، ومن تازروت نقل الريسوني إلى تامسينت حيث مات بعد شهرين من الإعتقال. (13)



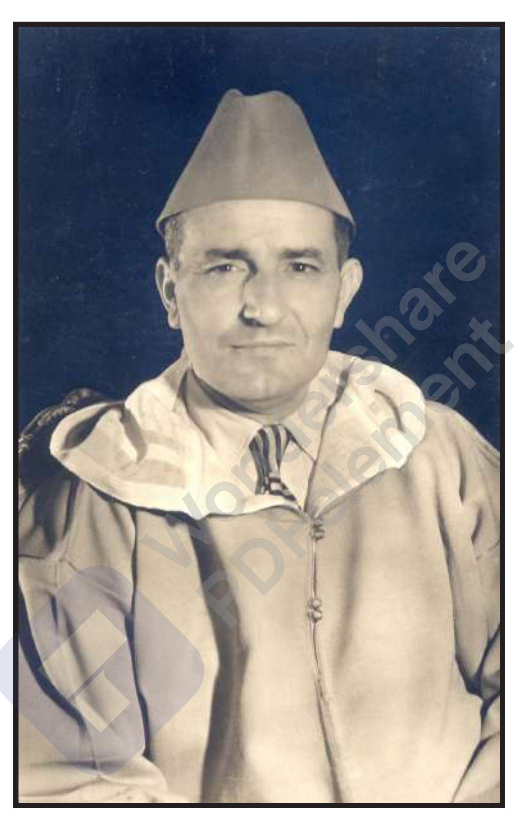
الشيخ أحمد الريسوني رفقة الجنرال الإسباني آيزبورو في بني عروس

13 - ن. م. ص 276.

إن الأغلبية الساحقة من الزوايا قامت بتنفيذ المهام التي كلفها بها الإستعمار الإسباني في الشمال والفرنسي في الجنوب. وحتى تلك التي شاركت في محاربة الإحتلال مثل حنصالة، إنتهت بالسقوط في أحضان الإستعمار. فقد قال **الماريشال ليوطي** في حق **أمحمد الحنصالي** رئيس الزاوية الحنصالية سنة 1923: «**إنه حليف لنا يقوم بنفس الدور الذي يقوم به الباشا الكلاوي في تهدئة القبائل الثائرة.**»[14]

14 –Lyautey l'Africain, op. cit. T. 4, p. 221.

الزوايا اعتبرت الملك الوطني محمد الخامس خارجا عن الإسلام



الملك الوطني محمد الخامس

في الخمسينات من القرن الماضي وقفت الزوايا والطرقية في صف الإستعمار ضد الحركة الوطنية المكافحة من اجل الإستقلال الوطني. وتآمرت على **الملك الوطني محمد الخامس** الذي أصدر سنة 1933 ظهيرا يمنع مظاهر الشعوذة والهمجية التي كانت تقوم بها الزوايا بمناسبة عيد المولد النبوي في المساجد والمقابر والشوارع.

وحينما كانت الحكومة الفرنسية تستعد لنفي الملك الشرعي **محمد الخامس** إلى خارج المغرب، جمعت يوم 8 أبريل 1953 بمدينة فاس شيوخ الزوايا في

مهرجان عنوانه : «**محاربة الإلحاد والزندقة والأحزاب السياسية**».

واستنكر شيوخ الطرقية المواقف الوطنية **للملك محمد الخامس** واعتبروه خارجا عن الإسلام، وأشادوا بالإدارة الإستعمارية الفرنسية ووصفوها ب «**حامية الإسلام بالمغرب**». وقالوا أنهم يمثلون المسلمين المؤمنين، وصرّح الشيخ عبد الحي الكتاني : «**إذا لم تُبعد الحكومة الفرنسية الملك عن العرش، فإنها ستواجه غضب المؤمنين بمجموع المغرب.**» [15]

وبحضور ضباط فرنسيين مُسْتَعْرَبين، تَمّ الإعلان عن تأسيس «**إتحاد الزوايا**» وكان على رأسه كبار الطرقيين الآتية أسماؤهم :

1 – الشيخ عباس بودشيش: .... **الزاوية البودشيشية.**
2 – الشيخ عبد اللّه المخلوفي: .... **الزاوية البودشيشية.**
3 – الشيخ عبد الحي الكتاني: .... **الزاوية الكتانية.**
4 – الشيخ عبد الرحمان بن عبد الحي: .... **الزاوية الكتانية.**
5 – محمد بن الحسين الدرقاوي: .... **الزاوية الدرقاوية.**
6 – علي بن أحمد: .... **الزاوية القادرية.**
7 – محمد بن عبد اللّه: .... **الزاوية القادرية.**
8 – الفقيه الرمضاني: .... **الزاوية الطيبية.**
9 – خالد بن إبراهيم: .... **الزاوية الغمارية.**

وضم «**إتحاد الزوايا**» أيضا رؤساء الناصرية، والتجانية، والعيساوية، والبوعزاوية وغيرها. [16]

وبفضل تضحيات الجماهير الواعية عاد **الملك محمد الخامس** إلى عرشه وحازت البلاد على الإستقلال السياسي يوم 2 مارس 1956. وسقط عدد من الطرقيين تحت رصاص المقاومة، وتمكن آخرون من الهروب إلى فرنسا وعلى رأسهم **الشيخ عبد الحي الكتاني**. واختفى الباقون وانكمشت الزوايا، وتراجعت الشعوذة باسم الدين لتعود بداية من أواخر الثمانينات من القرن

15– Le Petit marocain 9 –4 –1953

16 – أنظر بقية أسماء شيوخ الزوايا في جريدة «السعادة» بتاريخ 10 أبريل 1953.

الماضي وتستأنف نشاطها الظلامي في القرن الواحد والعشرين.

عودة الزوايا برعاية الدولة ومباركة أمريكا



الشيخ عبدالحي الكتاني

في أواخر الثمانينات من القرن العشرين كان **الملك الحسن الثاني** محتاجا إلى الدعم السعودي المالي والديبلوماسي لمواجهة حرب الصحراء التي يقف وراءها النظام الجزائري. ومقابل الدعم المطلوب تم فتح المجال أمام النشاط الوهابي، وتكدست المكتبات والأسواق بالمطبوعات الدينية والأشرطة الصوتية والمصورة بأثمان زهيدة. وظهر الفكر الوهابي في عدة مؤسسات دينية، وتلقى الراغبون في متابعة الدراسة بالسعودية مساعدات سخية. فالوهابية أرادت أن توجد لها موقع قدم بالمغرب، والنظام المستفيد من المساعدات أراد الحد من انتشار الفكر الديمقراطي الذي كان منتشرا وسط الشباب في أحزاب اليسار. غير أن الحساب إنطلق خاطئا من الأساس. إذ مثل الفكر الوهابي الخطر الحقيقي على إستقرار الدولة بعد مدة من التساهل مع نشاطه. فتكونت جماعات تؤمن بالعنف لتغيير أوضاع تراها شاذة ومتناقضة مع التعاليم الدينية. وبرزت تنظيمات متطرفة مثل «**السلفية الجهادية**» و «**الهجرة والتكفير**» و «**الصراط المستقيم**» وبعضها تورط بشكل مباشر في تفجير القنابل بالدار البيضاء يوم 16 مايو 2003 وما بعدها.

وبما أن الأحزاب السياسية، وخاصة التي كانت في المعارضة أصبحت تلهث وراء المناصب الوزارية وينخر جسدها مرض الإنتهازية وفقدت ثقة المواطنين، فإن الدولة رأت في إحياء الزوايا أداة لتطويق واحتواء الحشود التي ترزح في الدرك الأسفل من الفقر والجهل وتمثل قنبلة بشرية قد يأتي انفجارها على الأخضر واليابس.

وعاد عقرب الساعة سنين إلى الوراء، وتربع على كرسي الأوقاف والشؤون

الإسلامية وزير لم يكن عالما ولا فقيها وكل ما في جَعْبَته ناله على يد أستاذه المؤرخ الشيوعي **جيرمان عياش.**

ولم ينكر إرتباطه المتين بالزاوية البودشيشية التي حاربت **الملك الوطني محمد الخامس** واتهمت الوطنيين بالزندقة والإلحاد كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وسرعان ما تهاطلت عليها الأموال والهبات العلنية والسرية لنشر خرافاتها وطقوسها على نطاق واسع بهدف تنويم الحشود العائمة على سطح المدينة والبادية. وأكثر من ذلك فقد نزلت إلى الشارع لتمارس السياسة علانية، وقامت بالدعاية للتصويت على الدستور في شهر يوليوز 2011. وانتعشت زوايا أخرى وتناسلت في كل مكان إلى أن بلغت في ظرف وجيز أكثر من **مائة وثمانين زاوية وطائفة وطريقة دينية.** واشتهرت عدة مواسم بالإحتفالات التي نظمها اللواطيون وظهر فيها – على مواقع الأنترنيت – الرجال يتزوجون الرجال، ويجاهرون بممارسة أفعالهم ويستفزون مشاعر المؤمنين الدينية والأخلاقية والإجتماعية. وهللت منظمات الشواذ الأوربيين لما أسموه «**التسامح المغربي**» حيث يفعل كل واحد ما يشاء، بينما يرى آخرون في السقوط والإنحلال وسيلة لجلب السياح.

ومن أجل إعطاء الزوايا بعدا سياحيا، أقدم وزير الأوقاف على وضع الأساس لما سماه «**المؤتمر العالمي للتصوف**» حول رباط **(سيدي شيكر)** الموجود بين مراكش وآسفي. إلا أن مناورات سياسية خارجية حالت دون إنعقاد المؤتمر.

وكما استعان الفرنسيون والإسبان بشيوخ الزوايا للسيطرة على البلاد، جاء الأمريكيون بداية من عام 2005 ليباركوا نشاط الطُّرُقية ويقدموا لها الدعم لأنهم إكتشفوا أنها قوة ظلامية جامدة تسيطر على العقول في بلد تقبع نسبة هائلة من سكانه في براثين الأمية والجهل، وقادرة على محاربة الإتجاهات المعادية للنفوذ الأمريكي بالمغرب. ولذلك حضر السفير الأمريكي (رايلي) سنة 2006 المهرجان الذي نظمته **الزاوية البودشيشية** في مدينة الرباط بمناسبة عيد المولد النبوي.

وهكذا تساهم أكبر دولة رائدة للثورة العلمية في العصر الحديث في بعث الطرقية الحاملة لثقافة عصور الظلام المنافية للعقل والعلم. [17]

17 – «شارك السفير الأمريكي في مصر الصوفيين إحتفالهم وقدم لهم المال جهارا» جريدة القدس العربي، لندن في 14 – 12 – 2011.





الفصل الثالث

الصراع بين السلاطين والتجار تسبب في كوارث إقتصادية

كان جمود المخزن وتخلّف الطبقة التجارية عاملان أساسيان حالا دون انتقال الصناعة اليدوية التقليدية إلى مرحلة الصناعة الميكانيكية.
فالتجار كانوا ضيقي الأفق ومرابين يرتكز إهتمامهم الأول على تخزين الذهب والفضة وجمع الأموال وإخفائها في باطن الأرض. وكان المخزن يحكم بعقلية طاغوتية، يغتصب الأموال من أصحابها كلما إحتاج إليها وانعدمت الثقة بين الطرفين، وتطورت في بعض الحالات إلى إستعمال السلاح لتحقيق أهداف سياسية ومصالح إقتصادية وتدخل التجار في نزاعات بين أبناء السلاطين المتصارعين على كرسي الحكم، وتورطوا في صراعات ومؤامرات دامية.
وسنكتفي هنا بإيراد نماذج للصراعات بين التجار والسلاطين التي جلبت على البلاد الخراب والركود بداية من القرن السابع عشر.
ففي خضم الحرب بين **الزاوية الدلائية** والسلطان **مولاي رشيد** (1666 – 1672م) نهضت فئة من تجار فاس لمناصرة جيش الطرقية. فاستعان السلطان بقبائل الشراردة والشراكة وغيرهما، وشهدت المدينة العلمية الموت والدّمار طيلة عدة أيام، وانتهى التقاتل بقطع العديد من رؤوس التجار المعارضين لنظام الحكم.
وفي عام 1673م جعل **السلطان مولاي إسماعيل** من مدينة مكناس عاصمة لملكته، وكان يرغب في إضعاف الطبقة التجارية بفاس. فاندلع القتال بين الجانبين، فضرب السلطان حصارا شديدا على المدينة دام أربعة عشر شهرا، وخلّف مآسي إنسانية وخرابا إقتصاديا.
وعاد مولاي إسماعيل مرة ثانية سنة 1720م لمصادرة أموال تجار

فاس «**ولم يسلم من الغرامة أحد وخلت المدينة من أهل اليسار.**»[1] وعمد السلطان إلى بيع دور وأملاك التجار الهاربين إلى تلمسان وغيرها في المزاد العلني.[2]

ودخل تجار فاس في مساومات لإبداء موافقتهم على تنصيب **مولاي عبد اللّه بن مولاي إسماعيل** سلطانا (1728 - 1757م). وهو ما لم يُفدهم بشيء. فقد انتزع منهم السلطان البساتين. فتراجعوا عن بيعتهم له. فواجههم بعقاب أليم حيث «**نزل على فاس ووزع الجنود عليها من كل ناحية، وأطلق يد الجيش بالعبث في أطرافها من تخريب المصانع وقطع الأشجار وإفساد المزارع... ودام حصار المدينة أربعة أشهر.**»[3]

وما أن شرع الناس في إصلاح الخراب الذي لحق ممتلكاتهم، حتى أمر السلطان عامله على فاس بن علي الزموري بتوجيه ضربة موجعة للتجار والصناع «**خذ منهم المال واطرحه في واد (الخراريب) ولا تتركه لهم، فما أطغاهم إلا المال حتى إستخفوا بالمُلك.**»[4]

وفرض العامل على التجار وأرباب الحرف والملاكين غرامات ثقيلة. ولم يطرح المال في واد المياه القذرة، وإنما أرسله إلى السلطان بمكناس. «**ففر الناس إلى البوادي والقرى والجبال ومنهم من وصل إلى السودان وتونس ومصر والشام حتى لم يبق بمدينة فاس إلا النساء والذرية.**»[5]

ومن جهته قام **مولاي محمد** بن السلطان **مولاي إسماعيل** بالمطالبة بالعرش، وفرض غرامات مالية على الأغنياء، ونهب أموالهم وديارَهم

---

1 - أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. دار الكتاب، الدار البيضاء 1956. ج7، ص 98.

2 - Histoire du Maroc, ouvrage collectif, Hatier, Paris 1982, P. 246

3 - الإستقصا ج7. ص 130.

4 - ن. م. ص 134.

5 - ن. م. ص 135 .

«**ولم يُبق للناس لا زرع ولا درهم ولا متاع، ومات كثيرون بالجوع، وكان وبالا على مدينة مكناس وفاس وزرهون ومن جاورهم من القبائل.**»[6]

ونشب النزاع بين الأخوين **مولاي عبد الله** و**المولى المرتضي** على الحكم، فرفض تجار وأعيان تطوان سنة 1739م مبايعة **المولى المرتضي**، فحرض عليهم باشا طنجة **أحمد بن علي الريفي** الذي هاجم تطوان «**وقتل من أعيانها حوالي الثمانمائة (800)، وفرض غرامات كبيرة على الباقين، ونهب الأموال وهدّم أسوار مدينة تطوان.**»[7]

وبعد مرور أربع سنوات على هذه الكارثة الإنسانية والإقتصادية، داهم السلطان **مولاي عبد الله** مدينة طنجة وقتل الباشا **بن علي الريفي** ونهب أملاكه وأملاك أنصاره.

وفي غارة أخرى عاقب السلطان كبار القوم بمكناس وأخذ عليهم مساندتهم لأخيه **المرتضي**. وأعطى **(جيش العبيد)** الحرية لنهب دور وأملاك التجار والأعيان. وكان العبد يقول لصاحب الدار «**إن سيدي قد أعطاني دارك وبنتك، فيفتدي منه بالأموال.**»[8]

وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر شهدت عدة مدن انتفاضات الصناع والتجار ضد النهب الذي كان يقوم به المُوظفون تحت غطاء جمع الضرائب. وقامت بمدينة فاس عشرون حركة احتجاجية، وحاصرها السلاطين خمس مرات ونهبوا أموال وأملاك التجار الذين تشردوا هروبا من عواقب الغرامات الباهظة.[9] وقام الدباغون وأصحاب المصنوعات الجلدية في مدينة الرباط بتمرد دام عدة أيام ضد عامل

6 – تاريخ الضُّعيف الرباطي، ج1. ص 215.

7 – الإستقصا ج7. ص 158.

8 – ن. م. ص 152

9 – ن. م. ص 130 – 135

المدينة **عبد الرحمان عشعاش.**[10]

في عام 1790 بعد وفاة السلطان سيدي **محمد بن عبد الله** ادعى كل من **مولاي هشام ومولاي يزيد** أحقيته لتولي الحكم. فبايع التجار والأعيان في مراكش مولاي هشام. فقام مولاي يزيد بمهاجمة المدينة «**فقتل ونهب وسَمَل الأعين بالنار، واستلّ الألسن وأخرج الموتى من القبور وحرّقهم وذبح وسلخ، وقتل النساء والصبيان والضعفاء، وفعل ما لم يفعله الحجاج في العراق.**»[11]

وأعلنت جماعة من كبار التجار بفاس مبايعة **إبراهيم بن مولاي يزيد** ضدا على السلطان **مولاي سليمان** عام 1820م. ولجأ تجار آخرون إلى الابتزاز واشترطوا على السلطان **مولاي سليمان** مقابل الإبقاء على بيعتهم له، أن يلغي الضرائب على السلع في الأبواب، وكان لهم ما أرادوا.[12]

وفي منتصف القرن التاسع عشر عمت الإنتفاضات المسلحة عدة جهات، وساد مجموع البلاد من سنة 1845 إلى 1850م الجفاف وانتشرت **المجاعة والأوبئة وزاد من إستفحال الأوضاع إحتكار السلطان** للنشاط التجاري عن طريق شبكة «**تجار السلطان**» وشمل الإحتكار الشاي والسكر والكبريت، وتضاعفت الضرائب على الأبواب وارتفعت الأسعار. وتعددت الإنتفاضات في مختلف المدن، وأعلن التجار والصناع في الرباط العصيان على عاملها **محمد السويسي** لتعسُّفه وظلمه. [13]

وفي عام 1872م إنتفض التجار والصناع بمدينة مراكش إحتجاجا على نهب أموالهم من طرف العامل **أحمد بن داود**. وفي السنة الموالية

---

10 – تاريخ الضُّعيف الرباطي، تحقيق أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط 1986 ص 391.

11– محمد أحمد الكنسوسي، الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، ج1، ص 271، المطبعة الوطنية. مراكش 1994.

12 – الإستقصا ج7. ص 149.

13 – ن. م. ج9، ص 55

قاد الدباغون بفاس وللمرة الثانية تمردا مسلحا كرد فعل على الضرائب التي فرضها عليهم العامل محمد بنيس.[14]

ومن الأسباب التي أججت التمردات في وسط التجار والصناع أن معظم الموظفين الكبار في حكومة المخزن ومسؤولي الجيش والقضاة كانوا يمارسون جميع أنواع التجارة والفلاحة والماشية والعقار والمضاربات وغيرها، وكل ذلك ألحق ضررا بالغا بالتجار والحرفيين.

وفي القرن التاسع عشر تناول بعض الفقهاء المدافعين عن الطبقة التجارية الأضرار الناتجة عن إحتكار السلاطين للتجارة. وكتب **أحمد بن المواز «إن من لوازم السلطان ونوابه في حفظ المملكة، أن لا يشاركوا الرعية في تجارة ولا فلاحة وغيرهما من التكسب لما في ذلك من الآفات التي تُفضي إلى الخراب لقوله (ص) أيَّا والٍ إتّجر في رعيته فقد هلكت رعيته.»**[15]

ويتضح من خلال الأحداث التي أوردنا أمثلة منها، أنه كان من المستحيل تحقيق التراكم الرأسمالي وإنجاز الحد الأدنى من التقدم العلمي للإنتقال إلى مستوى أعلى من التطور الصناعي والزراعي في ظل سياسة النهب والقتل وتخريب المزارع وتحطيم المصانع. **فالمخزن** كان يخاف أن تتقوى الطبقة التجارية وتهدد وجوده بالإنتقال من التركيبة الإقطاعية المخزنية إلى مرحلة أعلى من الإنتاج الرأسمالي المتقدم. في حين أن التجار لم يكونوا يؤلفون طبقة متجانسة ولا يمثلون قوة إقتصادية وإجتماعية موحدة. وكان تفكيرهم أسطوريا مشدودا إلى المصالح الأنانية وأحلام العيش في عالم ألف ليلة وليلة الخيالي.

وقد وجه التاجر المثقف **عبد الله بن الأعرج السليماني** (1868 – 1925م) النقد اللاذع لتجار زمانه فاضحا عقليتهم المطبوعة بالغش

14 – . حول تمردات التجار والصناع بالمدن، أنظر : مصطفى بوشعراء، الاستيطان والحماية بالمغرب، ج1، ص 22.

15 – عبد الله كنون، أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، القاهرة 1964، ص 42.

واللهث وراء الربح السريع، والإنغماس في حياة القصور والطرب المبتذل:

«شَغَلتكَ السمسارة والشطارة وخَصْمُك يدرس علوم الطيارة ألهاك نقر المثاني (أوتار العود) وملازمة البيوت، وخصمك عاكف على صبِّ المدافع وسَبْك السيوف، تلبَّستَ بالغش والتدليس ولم تحفل بتصفية المعادن وانواع التقطير والتكليس.»(16)

إن الفكر الخرافي لفئات التجار العريضة كان من بين العوائق التي ساعدت على تجدر البنيات الإقطاعية المادية والروحية في المجتمع. فحينما عين السلطان **مولاي الحسن الأول** عددا من التجار في إطار إصلاح جهاز المالية وجمع الضرائب في الموانئ، إرتبط كثيرون منهم بالرأسماليين الأوربيين، ودخلوا معهم في الشراكة، وحصلوا على الجنسية الأجنبية لحماية مصالحهم، ولم يتردد آخرون في التجسس للدول الإستعمارية وخيانة الوطن.

16 – أبو عبد الله بن الأعرج السليماني، اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، الرباط 1971، ص 4.

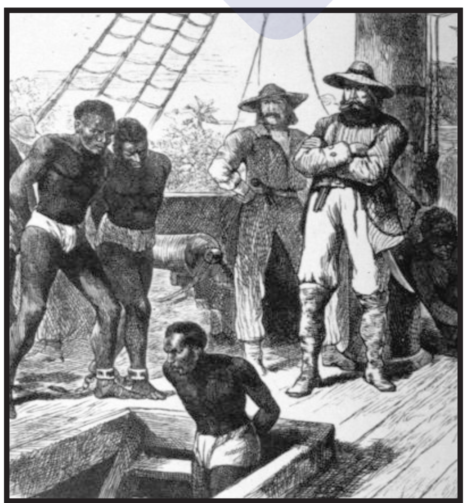
العبودية

كان المغاربة يُباعون في الأسواق كما تُباع الدَّواب

الرّق في الثقافة اليهودية والمسيحية

يعتبر **الأوربيون** اليونان مَهْد الديمقراطية وكان ثلث سكانها من العبيد بدون حقوق مدنية أو سياسية، وأدعى الفيلسوف (أرسطو 384 – 322 قبل الميلاد) وقبْلَه أستاذه (أفلاطون 427 – 348 ق.م)، أن «**طبقة الأحرار**» هم أصحاب العقل والمعرفة و**العبيد** هم مجرد أدوات تحتاجها الحضارة التي يشيدها أبناء اليونان.

واعتبر اليونانيون من ليس منهم في الدرجة الثانية ولا يتمتع بأية حقوق. وكان العبيد يُرغَمون على مبارزة بعضهم بحضور الإمبراطور الروماني، وكان الأسياد يتسلَّون بمناظر الدماء المتدفقة من جراح المتبارزين. ويدخلونهم في ميادين خاصة ليتقاتلوا مع الأسود والحيوانات المفترسة أمام المتفرجين وبحضور كبار المسؤولين في إمبراطورية روما.



استعبدوا الأفارقة بإسم اليهودية والمسيحية.

وجاء بنو **إسرائيل** ليُبيحوا ممارسة العبودية في عدة مواضيع من الثوراة. وورد في سفر التكوين (9/ 25) أن **النبي نوح** بالغ في شرب الخمر حتى انكشفت عورته وهو مُلقى في خيمة، فرآه إبنه **كنعان** وأخبر إخوته وعندما استيقظ نوح وعلم

بالأمر، قال : «**اللعنة على كنعان وليكن عبد العبيد لإخوته.**»[1]

وأجازت **الديانة اليهودية** البيع والشراء في الإنسان، وميَّزت بين العبرانيين والعبيد التابعين لشعوب أخرى : «**وأمَّا عبيدك وخادماتك فمن الشعوب التي تحيط بكم ومنها تشتري عبيدا وإماء. وتستطيع شراء أبناء الأجانب الذين يقطنون عندكم فيكونون ملكا لكم، وتتركونهم ميراثا لأبنائكم من بعدكم ملكية تحتفظون بها على شكل عبيد إلى الأبد. وفيما يتعلق بإخوانكم أبناء إسرائيل فلا أحد يتسلط على أخيه بالقساوة.**»[2]

وسارت المسيحية على نهج اليهودية، وجاء على لسان (**لوقا**) : «**والعبد الذي يعرف إرادة سيده ولم يعمل ما يريده سّيده يُضرَب ضربا قاسيا.**»[3]

أما (**بُطرس**) **فيقول للعبيد** : «**إخضعوا لأسيادكم بكل احترام، سواء كانوا صالحين ولُطفَاء أو قساة.**»[4]

ومن جهته بعث (بولس) رسالة إلى القديسين في (أفاس) يأمر فيها العبيد : «**أيها العبيد أطيعوا أسيادكم من البشر باحترام وخوف وقلب مخلص كأنكم تخدمون المسيح.**»[5]

الإسلام لم يُلغِ العبودية

جاء **الإسلام** ووجد مجتمعا يمارس فيه النخّاسون تجارة الرقيق، ولم يساندهم كما فعلت اليهودية والمسيحية. وحرم تعذيب وقتل العبد ذكرا وأنثى. وسمح الشرع للعبد أن يتزوج ويتقاضى أجرة، وأن يشتري حريته مقابل مبلغ مالي معيّن. وجعل الإسلام من بين شروط

1 – La sainte Bible, l›ancien et le nouveau Testament. Genèse 25/9, P. 7, la maison de la Bible, Genève, 1943.

2 – Ibid, L›evitique 44/25.

3 – الإنجيل، لوقا، 47/12

4 – الإنجيل، بطرس، 18/2

5 – الإنجيل، رسالة بولس 5/6.

التكفير عن الذنوب عتق رقبة. ومنع استرقاق المسلمين نساء ورجالا. ودفعت تلك التدابير أفواجا من العبيد إلى اعتناق الإسلام، وكان موقف **الخليفة عمر بن الخطاب** حاسما في مواجهة النخاسين المتاجرين في العبيد بقولته الشهيرة : «**متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا.**»

فالإسلام خفف من وطأة العبودية بتدابير متعددة إلا أنه لم يلغها بشكل كامل. فالإلغاء كان غير ممكن من الناحية التاريخية والموضوعية. فالحروب كانت تترك وراءها أسرى. فكما كان يقع المسلمون في عبودية الأعداء، كان أسرى الأعداء يقعون بيد المسلمين. وكل أسير حرب هو عبد لمن أسره يفعل به ما يشاء وظلت الحروب تمثل أداة لإنتاج وإعادة إنتاج العبيد.

الحكام المستبدون خالفوا تعاليم الإسلام

قام **الحكام الأمويون** (661 - 750م) بإلغاء كل ما جاء به الإسلام لتحرير الناس من العبودية. فطبّقوا جريمة الخصيْ في حق العبيد ليحدوا من عددهم المتكاثر بسبب اتساع رقعة الحروب. ومارسوا العنصرية تجاه المسلمين من غير العرب المعروفين باسم «**الموالي**» ومنعوهم من الوصول إلى الوظائف وتعاطي القضاء، مهما بلغوا من العلم والمعرفة.[6]

وفي الخلافة العباسية تراجعت التعاليم الإسلامية، وأضحت بغداد من أكبر الأسواق في تجارة العبيد. وامتلأت القصور بالقيّان والمغنيات والجواري والغلمان من جميع البلدان والأجناس وانتشرت ظاهرة الخصيْ البشعة بهدف سلب العبيد رجولتهم لكي لا يصلوا إلى نساء الحريم. وبقيت تلك الممارسات اللا إنسانية واللاَ أخلاقية إلى حين سقوط بغداد (1258م) تحت سيطرة الغزو المنغولي.

وفي **المغرب** الذي نحن بصدد النبش في تاريخه، شهد القرن الحادي

6 – إبن عبد ربه أحمد، العقد الفريد ج3. ص 323. بيروت.

عشر وصول أول فوج من الأفارقة الذين سقطوا بعد حين في العبودية مع أنهم كانوا جزءا من جيش المرابطين المنطلقين من حدود السينغال سعيا للسيطرة على الحكم.

وفي عهد **الموحدين** (1147 – 1269م) شاع تصدير الرقيق إلى عواصم بلدان الشرق خاصة بغداد. واستُخدِم في نقلهم الأسطول الموحدي الذي كان يتكون من أربعمائة باخرة.(7)

وفي عام 1591م أقدم السلطان **أحمد المنصور السعدي** (1578 – 1603م) على غزو السودان **(مالي حاليا)**. وفي عين المكان جنّد عددا من الأفارقة واستعان بهم في استخراج الذهب ونقله إلى المغرب. وكوّن منهم فرقا مسلحة وضمها إلى جيشه. وبالتدريج تحوّلت **(تومبوكتو)** إلى سوق للتجارة في الأفارقة نساءا ورجالا. وكان النخاسون الأفارقة يأتون بالشابات والشبان إلى الأسواق المغربية ويبادلونهم بالبضائع مثل الملابس والأواني النحاسية والملح والقمح.(8)

وتأسست مراكز تجارية في **واد نون** بالصحراء وفي **تارودانت** وتازروالت. وهناك كان الأفارقة يُباعون ويُنقلون إلى **فاس** و**مراكش** وغيرهما من المدن التي كانت بها أسواق مفتوحة باستمرار لهذه التجارة البغيضة. وكان **«... استرقاق أهل السودان مطلقا وجَلْبُ القطائع الكثيرة منهم في كل سنة وبيعهم في أسواق المغرب حاضرة وبادية. ويُسمسَرون كما تُسمسَرُ الدواب... وهذا من أفحش المناكر وأعظمها في الدين، إذ أن أهل السودان قوم مسلمون فلهم مالنا وعليهم ما علينا.»**(9)

كان الإقطاعيون والملاكون بشكل عام يعتمدون على العمال الأفارقة في الأراضي الزراعية وغيرها، في حين أن الأفريقيات كن يشتغلن خادمات في البيوت، وتمارس عليهن العلاقات الجنسية وحينما يلدن ويبلغ أبناؤهن

---

7 – الحسين السايح، الحضارة المغربية عبر التاريخ، ج1. ص 79، الدار البيضاء 1975.

8 – Histoire du Maroc, ouvrage collectif, Hatier, Paris 1982, P. 191.

9 – أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء : 1956 ج5 ص 131.

سنا معينة يباعون في السوق.

وفي إطار إستتباب الأمن، قرر السلطان **مولاي إسماعيل** (1672 – 1727م) تكوين جيش لا يرتبط بأية قبيلة. فشكله من الأفارقة الذين كان أباؤهم مجندين في جيش السلطان **المنصور السعدي** باعتبارهم «**مِلْكًا للدولة ولا يحق لهم أن ينفصلوا عنها.**»[10]

ثم امتد قرار التجنيد ليشمل جميع المنحدرين من أفريقيا السوداء واضطر كل من يملك عبيدا لبيعهم إلى الدولة بعد أن تم إسقاط ملكية الناس على عبيدهم. وجمع السلطان منهم عشرة آلاف من الإناث. وعن طريق التزاوج ارتفع عددهم إلى مائة وخمسين ألفا. وكان يوجد سبعون ألفا منهم في مشرع الرمل بالقرب من **سيدي سليمان**.[11]

بعد وفاة السلطان **مولاي إسماعيل** عاث «**جيش العبيد**» فسادا في البلاد، وتدخل رؤساؤه في شؤون الحكم. وكان ينظمون الإنقلابات لفائدة هذا وذاك من المتنازعين على السلطة. وتمتعوا بحرية نسبية قبل أن يسقطوا مرة أخرى في العبودية. فقد استدعاهم السلطان سيدي محمد بن عبد اللّٰه (1757 – 1792م) من جميع المدن بدعوى إنضمامهم للجيش النظامي. وضرب لهم موعدا في مكان بين فاس والرباط. ولما تجمعوا هناك أحاطت بهم القبائل المجاورة بأمر من السلطان الذي أباح لهم التصرف في العبيد ونسائهم وأطفالهم، فاندفع رجال القبائل يتخاطفونهم. وتم من جديد إحياء أسواق العبودية، وضحاياها مغاربة مسلمون.

ومما يثير الاستغراب أن السلطان الذي أعاد الأفارقة إلى العبودية إشترى عام 1785م من بعض الدول الأوربية حرية ثمانية وأربعين ألف أسير مسلم كانوا يرزحون في العبودية.[12]

وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كان «**سوق العبيد**» مشهورا بمدن فاس وتطوان ومراكش والصويرة وغيرها. ولم يبق الإسترقاق

10 – ن. م. ج7 – ص 56

11 – عبد العزيز بن عبد اللّٰه، الجيش المغربي عبر العصور، الرباط 1986. ص 53 – 139.

12 – الإستقصا، ج4. ص 115.

مقتصرا على الأفارقة بل شمل المغاربة أيضا : «...صار الفسقة اليوم وأهل الجرأة على اللّه يختطفون أولاد الأحرار من قبائل المغرب وقراه وأمصاره ويبيعونهم في الأسواق جهارا... وصار النصارى واليهود يشترونهم ويسترقونهم بمرآى منا ومسمع.»[13]



سوق العبيد بمراكش في بداية القرن العشرين

* كانت النّخاسة تعتمد على الغَصْبَ والإختطافات «وكم من أطفال وبنات اختطفوا من ديارهم بشرق المغرب وجنوبه ولا يزال البعض منهم على قيد الحياة.»[14]



طفلتان تم اختطافهما من سوس، وعرضتا للبيع في سوق مراكش

* وفي وثيقة نادرة يعترف السلطان مولاي الحسن الأول سنة 1883م باستفحال العبودية بقوله : «ومن المنكر الذي لا يسع التغافل عنه والتساهل في أمره، هذا الخطْب الذي هو المجاهرة باستعباد الأحرار واسترقاقهم بدون وجه شرعي.»[15]

فكما أضحى الإستبداد منهجا في سلوك جهاز الدولة من أعلاه إلى أدناه، فإن الطغيان امتد إلى كل مرافق

13 – ن. م. ج5. ص 133.

14 – مصطفى بوشعراء، الإستيطان والحماية بالمغرب، ج1 – الرباط 1974، ص 292.

15 – عبد الرحمان بن زيدان، اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، الرباط 1931، ج2. ص 229.

الحياة وأدى إلى زعزعة الأساس الإنساني والأخلاقي للمجتمع، وسقط المغاربة الظالمون والمظلومون حضاريا وروحيا واقتصاديا، في تبعية للرأسمالية الأوربية التي لا تزال ترسم لنا الطريق وتعطينا الدروس في كيفية إحترام مبادئ الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان.



*

اشترى طفلين



*

نساء في المزاد العلني



يفحص أسنانها مثل الدابة *



نساء ورجال يعرضون للبيع في سوق العبيد *

* جميع الصور التقطها المصور الفرنسي ماليت سنة 1902 بمراكش.

الاقطاعية

الإقطاعيون قدَّموا الوطن قُرْبَانًا للإستعمار

في بداية القرن العشرين بدأ الفرنسيون والإسبانيون حملاتهم لغزو المغرب، ووصفت كتاباتهم حالة الأمية والفقر والعبودية التي كان يتخبط فيها السكان. ففي أغلب المناطق الجبلية كان الناس يمارسون زراعة بدائية وتربية المواشي ويستهلكون المنتوجات في نطاق الإكتفاء الذاتي، ولا يصل منها إلى أسواق المدن سوى جزء يسير. وإذا كان التعاون الجماعي في إطار الإقتصاد الطبيعي هو القاعدة التي كانت تقوم عليها القبيلة، فإن محدودية الإنتاج عملت على ترسيخ العلاقات الأبوية والعشائرية. في حين أن عدم إنتظام سقوط المطر والنزاعات المسلحة على منابع المياه والمراعي ساهمت في إدامة الأزمات، وحالت دون بروز التفاوت الإجتماعي بشكل واضح في المناطق الجبلية.

وفي السهول وضواحي المدن اختلفت الأوضاع، وعرفت العلاقات الزراعية نموا ملحوظا في منطقة الغرب والسايس والشاوية ودكالة وعبدة والحوز وبني ملال وتادلة وسوس.

وفي تلك الجهات كان أسياد الأرض يتكونون من الوزراء والباشوات والقياد وبعض رؤساء القبائل ورجال الدين.

وكانت الأراضي الزراعية تنقسم إلى أراضي الجماعات، وإلى ملكية«المخزن» وملكية السلطان، وهذان الصنفان كثيرا ما اختلطا وتعذر التمييز بينهما، لأن السلطان هو المالك لكل شيء. وشغلت أراضي «الجيش» مساحة شاسعة وهي أيضا في ملكية الدولة. وتكون أحيانا قد أنتُزِعت من القبائل المتمردة على الحكم المركزي بسبب الضرائب المجحفة. وأخيرا أراضي الأوقاف أو الأحباس وهي أراضي أو عقارات يحبِّسها مالكها لمصلحة الناس، وكثيرا ما يتلاعب فيها الموظفون وكبار المسؤولين.

أما الملكية الخاصة للأرض في السهول فقد كانت قائمة، وانقسام المجتمع إلى ملاكين كبار وفلاحين بدون أرض كان ثابتا ولا يحتاج إلى برهان.

كان السلطان يقوم بإقطاع الأرض لبعض القبائل إما على شكل استغلال أو

تمليك ويُعفيها من الضرائب مقابل خدمتها العسكرية وولائها له.

وكانت تستفيد من أراضي الجيش **(الكيش)** قبائل الشراردة، الاوداية، شراكة، المغافرة، أولاد دليم، المنابهة، الرحامنة وغيرها من العشائر القاطنة بضواحي المدن الكبرى مثل فاس ومكناس ومراكش والرباط ووجدة.

وفي هذا كله ما يثير التساؤل عن الإقطاع والإقطاعية.[1] وتحيلنا الوثائق إلى أن الموظفين الكبار ورؤساء القبائل كانوا يحظون بإقطاع «**هبة**» ثم شمل الفقهاء ورؤساء الطرقية إبتداء من عام 1578م الذي إنهزم فيه الجيَش البرتغالي في معركة وادي المخازن، وشاركت فيها بعض الزوايا بتجنيد الحشود تحت شعار **الجهاد**. وكانت الريسونية من أكبر المستفدين حيث كافأها السلطان أحمد المنصور السعدي بالأرض التي جرت فوقها المعركة من وادي المخازن إلى مشارف القصر الكبير.[2]

وفي القرن التاسع عشر شاع إقطاع «**التنفيذة**» وعنه توَلّد «**العزيب**» الذي كان مقرا للحيوانات وأصبح يدل على ملكيّة زراعية يشمل فيها الإقطاع الأرض والسكان. أي أن جميع العاملين في «**العزيب**» يصبحون في تَبَعية للمستفيد من الإقطاع. وهناك تشابه بين «**العزيب**» والإقطاعة الأوربية (FIEF) التي كان يعمل فيها خادم أو عبد مقابل دفع الضرائب وأداء الولاء والطاعة لسيده الإقطاعي الأوربي.[3]

فالفلاح الأوربي في النظام الإقطاعي كان من الناحية القانونية جزءا من الأرض لا يمكنه مغادرتها. والفلاح المغربي في «**العزيب**» كان في تبعية لصاحب الأرض، يدفع له الهدية وهي ضريبة الولاء، ولا يمكنه مغادرته بدون موافقته، ولا يتمتع بكامل حريته الشخصية. وتشابهت وضعيته مع حالة القِن (Serf) أو العبد التابع للإقطاعي الأوربي. كما

1 – الإقطاع من مصطلح قطيعة وهو نظام يسمح للمالك بالتحكم في الأرض والإنسان.

2 – علي الريسوني، أبطال صنعوا التاريخ، ج1 – تطوان 1975 ص 10.

3 – . Jaques Berque, sur un coin de Terre marocaine, seigneurs Terriens et paysans. Annuaire historique, économie et civilisation, Mars .1973, N0 45, pp. 227 – 235

أن وضعية القائد أو «**الشريف**» وغيرهما تقترب من وضعية الإقطاعي الأوربي. وغياب الحق أحيانا في امتلاك الإقطاعي المغربي للفلاح «**لا يُغيّر شيئا من علاقات الإنتاج التي هي علاقات إقطاعية.**»[4]

ويجب التشديد على أن كبار الإقطاعيين كانوا من حاشية المخزن ومن المقربين من دائرته، ويمثلونه في المناطق التي كانوا يسيطرون عليها، وبعضهم احتل وظائف كبيرة مثل المدني الكلاوي الوزير الأول (الصدر الأعظم). إلا أن البعض من الباحثين ذهب إلى القول بصعوبة إضفاء صفة طبقة معينة على نظام يتكون من عناصر مختلفة وغير متجانسة. ومصدر الخطأ هنا هو أن صفة الشخص الإدارية أو العلمية أو الدينية لا تحدد طبيعته الإقطاعية أو الرأسمالية. فالذي يحددها هو **نمط الإنتاج السائد في المجتمع** بقطع النظر عن وجود أنماط إنتاج متعددة (Composite) أخرى.



المحراث الخشبي وإنتاج البؤس

فالمرحلة التي نحن بصدد الحديث عنها كانت تسود فيها علاقات الإنتاج الزراعي القائم على التجزئة الإقطاعية والحروب واغتصاب الأراضي والعمل القسري (السخرة)، والضرائب العينية والنقدية. وهذه هي أهم سمات الإنتاج الإقطاعي سوَاء كان ملاكو الأرض من فئة الموظفين أو الفقهاء أو «الشرفاء». ولا يهم إن كان الفلاح تابعا

4 – Driss Ben Ali, Le Maroc précapitaliste, Rabat 1973, p. 61.

للإقطاعي أو حرا.

والإقطاعيون الكبار كانوا في غالب الأحيان يمثلون المخزن ويحكمون باسمه، وكان يساعدهم قيّاد وخلفاء يديرون شؤون القصور ويراقبون أعمال الزراعة والقوافل التجارية التي تعبر أراضيهم ولهم وكلاء يسهرون على تربية الخيول وقطعان الماشية، وينظمون أعمال «**التويزة**» التي تقوم بها القبائل في أراضي الإقطاعي بدون أجرة. ويقود الخلفاء حملات مسلحة لإخضاع السكان وإجبارهم على دفع الضرائب، ويفرضون الغرامات، وينفذون العقوبات الجسدية في حق الفلاحين، ويشرفون على السجون التي تقع عادة في باطن الأرض داخل القصر أو بجواره. وكان الجميع ملزم بالطاعة المطلقة للسيد الإقطاعي.[5]



الإقطاعيون أفقروا الفلاحين

فالإضطهاد الذي مارسه الإقطاعيون بحق الفلاحين كان من بين أهدافه الحصول على المزيد من المداخيل لتسديد تكاليف بناء القصور وشراء السلاح، وتوفير الأموال التي تحتاجها النفقات المتعاظمة أمام تكاثر السلع الأوربية من ألبسة وعطور ومجوهرات، وأواني فضية وذهبية وغيرها من الكماليات التي تتطلبها حياة البَذَخ والفُحْش تضاف إلى ذلك أجور الحراس والأعوان والفقهاء المنافقين، والشعراء

5 – Paul Pascon, Le Hauz de Marrakech, T. 2. P. 237, Rabat 1983.

المدَّاحين، والمغنيين المتملقين، والقوادين الذين يجلبون البنات الجميلات لتجديد حريم الإقطاعي.

كان على رأس الإقطاعيين القساة الدمويين القائد التهامي الكلاوي الذي خاض حروبا مزمنة ضد القبائل والمشاعات، وتمت له السيطرة على حوالي عشرين ألف هكتار من أخصب الأراضي في الأطلس الكبير ومراكش وسوس.

لقد شيد الإقطاعي الكلاوي بالأموال التي نهبها قصرا في كل بلدة أو مدينة تمكن من إخضاعها، وبلغت العشرات ولعل أكبرها القصر الفخم بمدينة مراكش الذي انتزعته منه الدولة بعد إعلان الإستقلال بسبب تآمره مع فرنسا لعزل الملك الوطني محمد الخامس عن العرش سنة 1953. ومن أشهر قصوره أيضا «**القصبة**» التي كانت في تلوات بالأطلس الكبير على ارتفاع ألف وثمانمائة متر في طريق ورزازات.

وكتب ضابط فرنسي في عهد الاستعمار أن الباشا لكلاوي ظل من عام 1912 إلى 1956 يمتص، بموافقة فرنسا، دماء سكان القبائل والمدن التي كان يحكمها. «**وكانت الوسائل التي يستعملها ضد المواطنين عنيفة ومباشِرة وسريعة.**»[6]


القائد لكلاوي


القائد المتوكي


القائد الكنداڤي

Georges Spillman, Du Protectorat à l›indépendance du Maroc 1912 – 1956 – 6 plon, Paris 1967, P. 15

وفي منطقة كندافة الواقعة بسفح الأطلس الكبير بين واد النفيس وتيزينتست، كان الإقطاعي القائد الطيب الكندافي يتصرف في الأراضي الزراعية المسقية ومياه الواد، ويرغم السكان على خدمة مزارعه ويرهقهم بالضرائب، ويفرض مبالغ مالية على القوافل والدواب عند عبورها الشبكة الطرقية الرابطة بين الصحراء وتافيلالت وسوس وبين المناطق الشمالية من البلاد. ودأب على تشييد القصور «**القصبات**» في أماكن جبلية منيعة.

وفي نطاق التجزئة الترابية، وهي ظاهرة ملازمة للإقتصاد الإقطاعي، كانت الحدود مرسومة بين الأراضي التي يحكمها الباشا الكلاوي والقائد الكندافي. وكان لهذا الأخير نزاع حدودي مع القائد عبد المالك المتوكي الذي سيطر على المنطقة الواقعة بين مدينة الصويرة والأطلس، وفرض رقابته على الطريق الجبلي إيمينتنوت الرابط بين الجنوب والشمال. وشهد القرن التاسع عشر نشوب

المرأة الكادحة في البادية المغربية

حروب متواصلة تحالف فيها الباشا الكلاوي مع القائد الكندافي ضد القائد المتوكي، وساق الإقطاعيون الثلاثة عشرات الآلاف من الفلاحين إلى مجازر بشرية لا بطل فيها ولا شهيد.

وفي أقصى الجنوب بسوس جرت في بداية القرن العشرين حربا مُدمّرة بين القائد المدني الاخصاصي ومبارك المجاطي استغرقت سبع سنَين من التقتيل والتخريب.[7]

وفي نفس الجهة اشتعل القتال بين القائدين ابراهيم المربيطي ومحمد الوابلي دامت أزيد من ست سنوات انتصر فيها المربيطي بمساعدة الجيش الفرنسي.[8]

وكان القائد حيدة بن مويس يسيطر على مدينة تارودانت ونواحيها واستغل أحسن الأراضي، وفرض «**السخرة**» على القبائل، وخاض حروبا دامية ضد تلك التي رفضت الخضوع لجَشعه وجبروته. واشتهر الإقطاعي بإمتلاك المئات من الغزلان والأنعام َالنادرة. وأثناء الغزو الفرنسي إنضم إلى جيش الإحتلال، وجيَّش القبائل لمحاربة المقاومة الشعبية التي كان يقودها المكافح أحمد الهيبة ماء العينين القادم من مدينة السمارة. ولم يلبث الإقطاعي أن سقط في إحدى المعارك دفاعا عن قضية الإستعمار الفرنسي.

وفي منطقة عبدة المجاورة للمحيط الأطلسي بين أسفي والصويرة، استولى الإقطاعي القائد عيسى بن عمر العبدي على أراضي زراعية شاسعة وجعل من سكانها عبيدا يمارس عليهم كل أشكال القهر والإستغلال. وكان قاسيا فظًّا يعذب ويقتل الفلاحين الذين لا يسارعون إلى القيام بأعمال «**السخرة**» في مزارعه. ووصفه أحد مؤرخي المملكة بأنه «**أشأم من عرفه المغرب من القياد... وأقساهم قلبا**»[9]

---

7 – المختار السوسي، المعسول، ج3. ص 398. الدار البيضاء 1961.

8 – ن.م.

9 – عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، ج1. ص 318 الرباط 1971.



الاقطاعي عيس العبدي

وأنهى الإقطاعي عيسى العبدي ملف حياته بخيانة الوطن حينما فتح منطقة عبدة أمام الجيش الفرنسي الذي احتلها دون إطلاق رصاصة واحدة.

لقد قام الإقطاعيون في جميع مناطق البلاد بتكريس التجزئة والعزلة بين مختلف الجهات، وعرقلوا التطور الإقتصادي والإجتماعي بالحروب طيلة عشرات السنين. وختموا تاريخهم الإجرامي المخزي بالإصطفاف وراء الراية الفرنسية والإسبانية، ووجهوا بنادقهم إلى صدور المقاومين الأبطال.

أسباب التخلف في المغرب الإقطاعي والتقدم في اليابان الإقطاعية

في السنوات التي تلت إعلان الإستقلال السياسي (1956) قام الكتّاب الأجانب والمغاربة المستفيدون من الوضع الجديد بالترويج لمغالطات مكشوفة، الغاية منها تبرئة الحكام المغاربة من كل مسؤولية، وإلصاق جميع النكبات التي عرفتها البلاد بالمؤامرات الأجنبية.[1]

فالقول بأن المغرب واليابان شرعا بمباشرة الإصلاحات في نهاية القرن التاسع عشر، فتقدم اليابانيون وتخلف المغاربة هو إدعاء لا يصمد أمام الحقائق الإقتصادية والإجتماعية التي كانت سائدة في كلا البلدين. فاليابان كان منذ النصف الأول من القرن السابع عشر ينعم بنهضة إقتصادية وعمران مزدهر بالمدن. وبدأ في البوادي إنتقال الإقطاعية الزراعية إلى الإقتصاد السلعي ومن تم إلى النظام الرأسمالي.

وبالمغرب ظل نمط الإنتاج إقطاعيا متخلفا يتَّسم بالركود والجمود، والبلاد غارقة في فوضى عارمة بعد وفاة السلطان أحمد المنصور السعدي (1578 - 1603م) إذ تطاحن ثلاثة من أبنائه على الحكم لمدة تزيد عن ستين سنة. ونهض رؤساء الزوايا الدينية على رأس جيوش مسلحة في عدة جهات ساعين إلى السيطرة على السلطة.

وحينما قطعت اليابان شوطا متقدما في تحقيق الإصلاحات كان الإمبراطور المستنير (ميجي تينو 1852 - Meiji Tenno 1912) يعتمد على طبقة تجارية متعلمة ذات قوة إقتصادية هائلة في لحظة إنتقال النظام الإقطاعي إلى مرحلة الرأسمالية.

وفي ذات الآن كان المغرب يعاني من التجزئة الإقطاعية ومن الحروب بين المخزن وطبقة التجار بالمدن، وبينه وبين القبائل الثائرة في البوادي.

1 - كان على رأسهم الشيوعي الفرنسي جيرمان عياش الذي حاول بإسم «المنهجية العلمية» إظهار صحيفة المخزن بيضاء ناصعة.

وكان الفائض الإقتصادي الذي يأتي معظمه من الضرائب والنهب واستغلال النفوذ، لا يوظف في القطاعات المنتجة، ويُستخدم في حياة التبذير وتشييد القصور والبنايات الفخمة، وفي تقوِية الجيوش وتسليحها. وإلى بداية القرن العشرين كان المغرب «**يُحْكَمُ بواسطة أجهزة حكومية وإدارية عتيقة لا تستجيب لمتطلبات العصر، ولا تقدر على تحسين أي وضع من الأوضاع المجتمعية، كما كان يدار من طرف وزراء وحكام وقادة ينتمي معظمهم إلى قبائل بدوية أو يُنتخبون من عبيد البخاري لا علم لهم ولا تكوين.**» [2]

كانت اليابان تتوفر على نظام مدرسي متطور، وكان 43 بالمائة من ميزانية المدن والقرى اليابانية مخصصة لبرنامج التعليم في سنوات 1906 – 1911 ونشرت في عام 1913 من الكتب والمطبوعات أكثر مما نشرته بريطانيا وضعف ما نشرته أمريكا.[3]

وفي المغرب الذي كانَ سكانه يغوصون في بحر الأمية والجهل، أراد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1859 – 1873م) إقامة آلة لتصفية السكر، فاشترى «**الأواني العجيبة والألآت الغريبة وجاءت من بر النصارى.**» [4]

واستقدم العمال الأوربيين الماهرين «**في غرس القصب الحلو واستنباته وتهيئة المزارع**» غير أنهم «**توقفوا عن العمل أثناء الإتمام.**»[5] فقام السلطان بالمناداة «**على الصناع المَهَرة فجاءوا من مصر القاهرة.**»[6]

---

2 – مؤرخ المملكة عبد الوهاب بن منصور، مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب، من نشأتها إلى مؤتمر مدريد 1880. الرباط 1977، ص 38.

3 – أمارتياص، الهوية والعنف، وَهْم المصير الحتمي. ترجمة سحر توفيق عالم المعرفة، الكويت 2008، ص 116.

4 – أبو عبد الله محمد الكنسوسي، الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، ج2. ص 94، المطبعة الوطنية، مراكش 1994.

5 – ن. م. ص 95

6 – ن. م.

فاللجوء إلى استيراد الآلة والأطر لتشغيلها كان يدل على عدم وجود لا قاعدة صناعية ولا يد عاملة مؤهلة. وهذا ما أكدته مسألة القنطرة التي انهارت في الحين، وقد سعى السلطان إلى نصبها على واد أم الربيع لتسهيل حركة التنقل، فأمر التاجر مصطفى الرباطي بجلبها من أوربا، إلا أن المكلف بوضعها في المكان المناسب «**شرع في الحفر بلا تأويل ولا تمهيد ولا ترتيب، فظهر سوء نظره في الحال...**»[7]

ونجد في مكان آخر المطحنة الميكانيكية تثير استغراب وإعجاب الوزير الكنسوسي وتمّ استيرادها إلى طنجة «**الحديث عنها من الأعاجيب إذ تطحن في ليلة واحدة عددا كثيرا من الأوساق.**»[8]

فكيف يجوز الحديث عن الإصلاحات بالمغرب في وقت لا وجود فيه لأي أساس للصناعة والعلوم؟ إن جامعة طوكيو فتحت أبوابها سنة 1877م وكان جميع أساتذتها يابانيين أنهوا دراساتهم في الجامعات الأوربية والأمريكية. وفي نفس التاريخ لم تكن توجد بالمغرب ولا مدرسة واحدة عصرية. وحتى ما يسمى بالبعثات الطلابية إلى أوربا لم تكن تضم في معظمها سوى متدربين لمدد قصيرة على كيفية إستعمال السلاح وإصلاح البنادق. وكان السلطان مولاي الحسن الأول (1873 – 1894م) كلما أرسل عددا من المتدربين إلى فرنسا وجد نفسه مضطرا إلى إرسال عدد مماثل إلى إنجلترا وإسبانيا وألمانيا لكي يتجنب إغضاب أي من الدول المتصارعة لبسط سيطرتها على المغرب.[9]

فأين المغرب من اليابان التي أشركت شعبها في تسيير شؤون البلاد بإقرار الدستور سنة 1889م ؟

فالعلم والصناعة جعلا من اليابان قوة جبارة ألحقت الهزيمة بالصين (1894م) واحتلت فرموزا. وفي عام 1905 انتصرت على روسيا، وضمت كوريا سنة 1910. واستفادت إقتصاديا من الأزمات التي عانت منها أوربا بعد الحرب العالمية الأولى. وحافظت على إستقلالها

7 – ن. م. ص 96

8 – ن. م. ص 96

9 – محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، ج1، ص 132، الرباط 1973.

ولم تعرف في تاريخها الإستعمار الأجنبي.

أما في المملكة المغربية فإن التمزق القبلي كان قد بلغ ذروته، وبقي حكم المخزن محصورا داخل المدن، وعجز عن مواجهة التدخلات الأجنبية في البر والبحر - وتلقى جيشه هزيمة مهينة أمام الجيش الفرنسي القادم من الجزائر في معركة واد إيسلي (14 غشت 1844م) وظهر «**على حقيقته دولة هرِمَة متفككة وانية عاجزةً ذات عقليةٍ متخلفة وأنظمة بالية.**»[10]

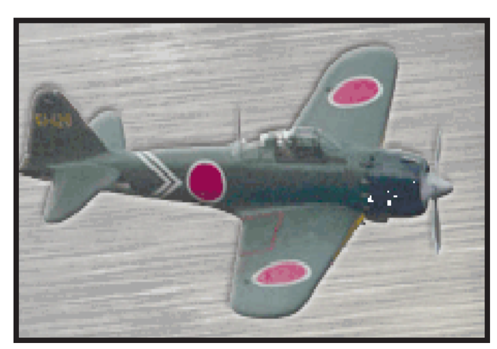
ولقي الجيش المخزني هزيمة اخرى شنيعة على يد القوات الإسبانية الغازية التي احتلت تطوان يوم 6 يبراير 1860م. وكان للهزائم عواقب عسكرية ونفسية وخيمة حيث «**....أزالت حجاب الهيبة عن بلاد المغرب واستطال النصارى بها، وانكسر المسلمون انكسارا لم يُعهد لهم مثله وكثرت الحمايات ونشأ عن ذلك ضرر كبير.**»[11]

فإذا كانت النهضة العلمية والثقافية هي الركيزة الأساسية لقوة اليابان الإقتصادية، فإن المغاربة كانوا يرزحون في أزمة الثقافة والفكر. ولابد من الإشارة هنا إلى حدث عابر يفسر بعمق كيف كانت الخرافات والأساطير تعشعش في عقول الحكام والمحكومين. فعوض الإهتمام باستيراد العلوم والتقنيات الصناعية، أظهر المسؤولون فرحا بالغا بوصول الفيل الهندي إلى المغرب عن طريق إنجلترا. واعتبر الكتاب المتزلفون وصول الفيل حدثا غير مسبوق، إذ «**تعجَّب الناس من ضخامة شكله**» وكان «**يأكل خمسين خبزة في كل وجبة، وحملين من العشب، ويتكلف به سائسان هنديان.**»[12]

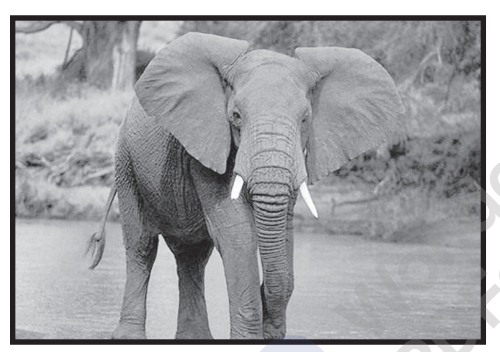
10 - محمد بنمنصور، مشكلة الحماية القنصلية، ص 29.

11 - أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا، م. س. ج9. ص 101.

12 - عبد الله الجراري، أعلام الفكر المعاصر، ج2. ص 243، الرباط 1971.



اليابان صنعت الطائرة



والمغرب خصص استقبالا فخما للفيل

وكان الناس يتدافعون من أجل رؤيته عندما يطوف بشوارع فاس، وعلى جبينه مكتوب «**عيد سعيد**».

وتتضح تفاهة تفكير ما يسمى بالنخبة المثقفة في فقرة وردت في رسالة السلطان إلى ملكة بريطانيا :

«... حتى فقهاء حضرتنا الشريفة وأدبائها جعلوا في محاسن الفيل ومشهده الجليل قصائد فائقة وأشعارا رائقة، وتآليف متناسقة.»(13)

لقد حاول المؤرخون المتاجرون ب «**المنهجية العلمية**» تقديم تبريرات لفشل ما يسمونه «**الإصلاحات**» في عهد السلطانين سيدي محمد بن عبد اللّٰه ومولاي الحسن الأول بكوارث الجفاف والطاعون والإدعاء بأن البلاد فقدت ربع سكانها بفعل مختلف الأوبئة. ونقلوا الأرقام عن الأوربيين الذين كانوا في بعض الموانئ المغربية. وتغافلوا عن كون أغلبية المغاربة الساحقة كانت في ذلك الزمان، تعيش في البوادي والجبال، وهو ما يوضح عدم صحة الأرقام المذكورة.

فالطاعون الأسود المشهور في تاريخ أوربا أودى بحياة 25 مليون شخص أي ثلث سكان القارة الأوربية في القرن الرابع عشر. فلماذا لم يمنعهم الانهيار الديمغرافي وما صاحبه من خراب زراعي واقتصادي

13 – عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس ج2 ص 356. الرباط 1931.

من النهوض، وبناء الدولة الصناعية القوية ؟ وهل هناك شعب تأسست فيه الدولة رسميا سنة 788م 172ه، ولا يزال بعد مرور أكثر من ألف ومائتي سنة يعاني من التخلف في جميع الميادين، ويقبع في مؤخرة دول العالم ؟

نعم! عرف المغرب في تاريخه درجات متفاوتة من الاستقرار والازدهار الاقتصادي والانتصار على الطامعين في أرضه. لكن هل كان سقوطه في التخلف والفساد منذ القرن السابع عشر إلى الآن مصيرا محتوما؟

يقول قائد سياسي معاصر إن سقوط المغرب كان «**نتيجة حتمية لتخلُّف قيادته التي وجهت باستمرار كل عتادها السياسي والديني والاقتصادي والعسكري ضد المغاربة عبر الأجيال، لتنال منهم فرديا وجماعيا أن يخضعوا وأن لا يفكروا.**»[14]

فالمتاجرون بالكلام الذين ينفخون أشداقهم أمام المذياع وشاشة التلفاز بالمديح والتمجيد، إنما يمارسون التضليل وتزييف حقائق التاريخ، ويختزلون قرونا من الطغيان والتخلف الحضاري بإلقاء المسؤولية على الطاعون والجراد والاستعمار.

إن العقل الواعي والإخلاص الوطني لعبا في اليابان الدور الأساسي في التعجيل بالتطور العلمي والإقتصادي وإنجاح مسلسل الإصلاحات والإرتقاء إلى صف الدول العظمى.

وفي المغرب غاب العقل وسادت الشعوذة الدينية وطغى الإستبداد وانعدم الضمير الوطني لدى المسؤولين، وباع عدد كبير من وزراء حكومة المخزن الفاسدين استقلال البلاد ووحدتها الترابية بأبخس الأثمان، وهذا ما سنراه في فصل لاحق.

14 – عبد الله إبراهيم، سمات الوضع الراهن بالمغرب، الدار البيضاء 1985 ص 3. منشورات الإتحاد الوطني للقوات الشعبية.

الفصل الرابع

الظلم دفع المغاربة إلى شراء الحماية الأجنبية

حينما نتمعَّن في النصوص القانونية الواردة في إعلان الحقوق (Billo FRIGHTS) الإنجليزي لعام 1689م، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمواطن الذي أقرته الثورة الفرنسية سنة 1789م، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة بتاريخ 10 – 12 – 1948، فإننا نجدها تؤكد على ضرورة احترام حقوق الإنسان المدنية والإقتصادية والإجتماعية والسياسية، وعلى عدم المساس بمعتقداته وثقافته أو إرغامه على تغيير جنسيته بأي شكل من الأشكال.

إلا أن الوقائع أثبتت أن القوة الرأسمالية في أوربا وأمريكا الشمالية انتهكت حقوق الإنسان في البلدان التي سيطرت عليها، ونهبت ثرواتها بواسطة القوة.

وفي الصفحات التالية سنتطرق بإيجاز إلى الوسائل التي استعملتها الدول الاستعمارية للاعتداء على الهوية الوطنية كوسيلة سهلة لاحتلال البلاد بمساندة المغاربة الذين كانوا يبحثون عن من يحمي أموالهم وأملاكهم وأعراضهم من طغيان موظفي المخزن.

بدأ التدخل الاستعماري بعقد اتفاقية تجارية بين المغرب وإنجلترا سنة 1721م، ومما نصت عليه أن الإنجليز المقيمين يخضعون لقنصلية بلدهم ولا سلطة للقاضي المغربي عليهم، ويتمتع المغاربة العاملون لديهم بالإعفاء من الضرائب. وكانت تلك زلة شائنة اقترفها المفاوضون المغاربة الجاهلون بالقانون والذين تمادوا بجهلهم وضحالة مستواهم الفكري في التنازل عن قضايا جوهرية تتعلق بالسيادة الوطنية. ووقعوا اتفاقيات أخرى مشابهة مع هولندا عام 1752م، والسويد (1763م) والدانمارك (1767م) والولايات المتحدة الأمريكية (1787م). وقدموا لتلك الدول، امتيازات واسعة مثل الإعفاء من الضرائب التجارية وحرية التنقل

والإقامة في كل مكان، وتشغيل عدد غير محدد من الموظفين والسماسرة المغاربة في القنصليات الأجنبية مع إعفائهم من كل التكاليف والواجبات المدنية والخدمة العسكرية ومن أداء الضرائب للحكومة.

وفي 28 مايو 1767م وقّع ممثلو السلطان معاهدة أعطت لقناصل فرنسا الحق في الفصل في الخلافات الناشبة بين الفرنسيين، ومنعت القاضي المغربي من إصدار الحكم فيما ينشأ بين المغاربة والفرنسيين من نزاعات وأحالت البث فيها إلى ممثل السلطة المحلية (البند 12). ولم تعترف المعاهدة بنفس الإمتيازات لقنصل المغرب بفرنسا إذا وظّف بدوره فرنسيين للعمل معه، وهو ما يتناقض مع مبدأ المعاملة بالمثل. وزيادة على ذلك نالت فرنسا الموافقة على استعمال الموانئ المغربية من طرف بواخرها الحربية.

وأصبح المغرب بفعل ثرواته وموقعه الجغرافي وعجز حكامه فريسةً سهلة تتنازع الفوز بها الدول الأوربية. واشتد الصراع بشكل خاص بين فرنسا وبريطانيا التي انطلقت منها الثورة الصناعية الأولى في نهاية القرن الثامن عشر، وأصبحت بذلك أكبر قوة اقتصادية في العالم تسعى إلى فرض هيمنتها على باقي البلدان.

واتسع إعطاء الحماية القنصلية للعاملين المغاربة فيها إلى أشخاص آخرين بدعوى اشتغالهم مع التجار الأجانب. وكان التجار المغاربة أول من سارع إلى طلب الحماية من إنجلترا وإسبانيا وفرنسا، أي من البلدان التي كانوا يتاجرون معها، وكان بعضهم حاصلا على جنسية عدة بلدان في وقت واحد. أما الذين لم يكونوا مشمولين بالحماية الأجنبية فكانوا يلجؤون إلى توقيع عقود مزورة بينهم وبين المحميين تشهد على مشاركة تجارية لكي يتملصوا من دفع الضرائب ويفلتوا من تعسف ونهب موظفي المخزن. وآخرون كانوا يصرحون أمام العدول بملكية الأجنبي لقطعانهم ودوابهم ويقتسمون معه الربح للإفلات من أداء الضرائب.[1]

وتَدَافُع الأجانب بمساعدة المحميين المغاربة لشراء الأراضي وتزوير

1 - Jean-Louis Miège, Le Maroc et l>Europe 1850-1894, T. 2. P.555, Paris-1961.

العقود برشوة العدول والقضاة والإستيلاء على أملاك الخواص وأراضي الأوقاف والجماعات.[2]

وكان بعض الأجانب يمنحون الحماية لتجار وأغنياء في البادية مقابل مبلغ مالي متفق عليه، ويسلمون تصريحات كاذبة تدعي أن الجمال أو البغال المحملة بالسلع هي ملك لهم حتى لا يؤدي أصحاب الدواب والجمال الضريبة في أبواب المدن، وبذلك تضاءلت مداخيل الخزينة من الضرائب.

فالموظفون كانوا يفرضون ضرائب ثقيلة على الذي لا يدفع الرشوة ويغضون الطرف عن الذي ينفحهم بالعطايا. ودفع الظلم آلاف المواطنين إلى شراء الحماية من الأجانب. ومن لم يستطع فإنه يفر من أرضه وأحيانا يحتمي بقوات الاحتلال في الجزائر وسبتة ومليلية. وهذا ما أكدته رسالة بعث بها **المرابط محمد الخضري** إلى السلطان **مولاي الحسن** حول هروب السكان الذين قهرتهم الضرائب إلى سبتة ومليلية.[3]

فالحماية الأجنبية التي شملت في البداية أفرادا معدودين لم يتجاوز عددهم سنة 1856م أربعمائة شخص، اتسعت دائرتها وانتشرت في البادية التي كانت مستهدفة باستمرار لتعسف الموظفين، وكانت أحيانا قرية بكاملها تمتنع عن تأدية الضرائب والخدمة العسكرية بدعوى أن سكانها محميون، ولم تعد للحكومة المخزنية أية سلطة على المواطنين، وانتقلت السلطة الفعلية إلى السفراء والقناصل الأجانب. وتفيد الوثائق أن قنصل فرنسا بطنجة أرغم **عامل المدينة** على إطلاق سراح سارقين لأنهما يتمتعان بحماية دولته. وللزيادة في إهانة **العامل** اشترط عليه **القنصل** أن يأتي صحبة نائبه ومعهما فرقة من خمسين جنديا ليقرعوا طبول الموسيقى أمام **القنصلية الفرنسية**، ويقدم **العامل** اعتذاره عن اعتقال السارقين، وإلا فإن البوارج الحربية ستتحرك من البحر.[4]

---

2 – عبد الوهاب بن منصور، مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد 1880 – الرباط 1977 ص 36.

3 – «الوثائق» إصدار مديرية الوثائق الملكية ج7 – ص 346.

4 – الوثائق، ج4 – ص 54.

وفي رسالة بتاريخ 3 – 6 – 1888م بعث **الوزير المفضل غريط** رسالة إلى **الطريس** نائب السلطان بطنجة يخبره أن قنصل **الولايات المتحدة الأمريكية** جاء إلى الحضرة الشريفة وطلب بإلحاح مالا كثيرا على وجه الهدية، وإذا لم يُعطاه فسيتوجه إلى طنجة ويشتكي إلى دولته بأمور كاذبة لترسل أسطولها البحري. [5]

وفي رسالة أخرى مؤرخة ب : 17 مارس 1885 أخبر السلطان نائبه بطنجة بامتناع قنصل أمريكا بالدار البيضاء عن أداء كراء ما بيده من أملاك المخزن وطلب منه أن، يُطلع سفير انجلترا على تصرف ولد نائب أمريكا بإعطائه حق الحماية لكل من يرد عليه. [6]

وكان ممثل أمريكا المدعو **(فيليكس ماتيوس)** قد منح حماية دولته لأكثر من مائة من أغنياء المغرب العاملين في التجارة والفلاحة ولم يكن بالمغرب إلا شخصان من الرعايا الأمريكيين، واحد إسمه **(كوب)** يقطن بالدار البيضاء وباع بدوره الحماية لعشرات المغاربة. [7]

وأقدم نائب فرنسا على سب القاضي في محكمته وهجم على السجن وأخرج منه مسجونا باعتباره محميا. [8]

وبلغ في النصف الأول من القرن التاسع عشر عدد المحميين الفرنسيين في منطقة الشاوية وحدها 17.871. وبلغ المحميون الإنجليز والألمان عشرات الآلاف. [9]

وفي 30 – 4 – 1894م كتب السلطان إلى النائب الطريس أن التجار الأجانب تمادوا في أعمالهم المضرة بالبلاد، وسرد أرقاما جاء فيها أن

---

5 – وثائق لدراسة تاريخ المغرب، مراسلات وزراء مولاي الحسن الأول، المجموعة 1 – القسم 2. ص 64 تطوان 1964.

6 – ن. م. ص 11 و 16.

7 – بن منصور، مشكلة الحماية، م. س. ص 36..

8 – مراسلات وزراء. م. س. القسم 2 – ص 16.

9 – J. Ladreit de la Charière, L'œuvre française en Chaouia, Revue, Renseignements Coloniaux, Paris, 1910, P.378

«.... قبيلة مديونة[10] كادت أن تكون كلها سماسرة أو مخالطين بدون شرط ولا قانون، وملخصه 62 سمسارا و 202 مخالطا و 1.156 خيمة منحاشة لأولئك السماسرة والمخالطين.» [11]وفي «**ظل جهاز حكومي وإداري متعفن ومتفكك لم يكن ليقع على الرعية إلا الظلم وبها إلا الإستبداد. وهذا من العوامل التي دفعت المغاربة إلى الإحتماء بالأجنبي»**[12]

وكما كان لابد أن يقع في دولة تنهب وتقمع مواطنيها، فإن المحمي كان يحمي قرابتَه وقرابتُه يحمي كلُّ واحد منهم قرابتَه حتى سارت أُسَر كلها بالمدن وعشائر جميعُها بالبادية مَحميَّةً. [13]

وفي بداية القرن العشرين لاحظ كاتب شاهد على ما كان يجري أنه **«لم يبق غني بفاس وبالقبائل القريبة من فاس ومكناس ومراكش وغيرها من المدن إلا وقد نال الحماية الأجنبية ولم يبق في حكومة السلطان عبد الحفيظ إلا الفقراء والمساكين ومن لم يجد سبيلا للوصول إليها.»**[14]

وبعد أن بلغ سكين التجنيس العظم بتأسيس حلف فعلي بين الأجانب والمحميين المغاربة، دعا السلطان مولاي الحسن الأول إلى عقد مؤتمر لبحث موضوع الحماية التي **«مسَّت بالوحدة الترابية للدولة المغربية وألحقت الضرر بمواردها المالية وعرقلت سير العدالة وتنفيذ الأحكام.»**[15]

إنعقد مؤتمر دولي بمدريد يوم 19 مايو 1880 بدعوة وجهتها انجلترا التي كانت تحتكر نصف تجارة المغرب الخارجية. وحضره سفراء

10 – مديونة منطقة زراعة بالشاوية تبعد عن الدار البيضاء بحوالي عشرين كيلو مترا.

11 – مصطفى بوشعراء، الإستيطان والحماية بالمغرب، ج1 ص 423، الرباط 1984.

12 – بن منصور، مشكلة الحماية. م. س. ص 19.

13 – ن. م. ص 63.

14 – الحجوي محمد بن الحسن الثعالبي، دفتر تقاييد لحوادث تاريخية أيام المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ. مخطوط في الخزانة العامة بالرباط رقم ح 128 ص 47.

15 – مشكلة الحماية، ص 63.

بريطانيا، وفرنسا، اسبانيا، ألمانيا، الدانمارك، بلجيكا، إيطاليا، هولندا، السويد، النرويج، البرتغال، النمسا، الولايات المتحدة الأمريكية، هنغاريا.

وترأس الوفد المغربي **أمحمد بركاش** وبعضوية **عبد الكريم بريشة والمكي البطاوري**، **والزبير سكيرج** مترجم درس في انجلترا.

ويقول أحد مؤرخي المملكة أن الوفد المغربي تم تعيينه في اللحظات الأخيرة لأن بركاش كان مريضا «**ولم يكن لديه من المال ما يواجه به نفقات السفر إلى إسبانيا هو والوفد المسافر معه**»[16]

غير أن وثيقة أخرى تفيد أن السلطان ضرب في نفس السنة عملته المشهورة ب «**الحسني**» وبلغت خمسة ملايين «**ريال**» أي ما يعادل عشرين مليون فرنك.[17]وكان كل ما يحتاجه الوفد في السفر والإقامة بمدريد لا يتعدى ألف ريال.[18]

وإذا كان من تفسير للوفرة المالية والخصاص في تأمين مصاريف الوفد الرسمي، فهي الفوضى التي كانت تنخر جهازا حكوميا متفككا وعاجزا عن تدبير الشؤون العامة.

كانت قاعة مؤتمر مدريد عبارة عن حلبة للمصارعة تناطحت على أرضها الثيران الإمبريالية الهائجة، كل يسعى إلى انتزاع أكبر حصة من ثروات بلد كانت دولته تحتضر.

وظل الوفد المغربي في كرسي المتفرج غير قادر على التأثير فيما يجري حوله، ولم يكن مؤهلا للقيام بأي دور، فهو «**لم يطلب نقض نظام الحماية من أساسه ولا إلغاء المحاكم القنصلية والقضاء المشترك بينه وبين الأجانب فوق أرضه**»[19]

وفي النهاية احتفظت الدول الاستعمارية بجميع امتيازاتها وسمحت لحكومة المخزن باستخلاص الضرائب الفلاحية والرسوم على الأبواب،

16 – ن. م. ص 91.

17 – مراسلات مولاي الحسن الأول. م. س. ج1. ص 97.

18 – مشكلة الحماية، ص 92

19 – ن. م. ص 103.

لكن مقابل ثمن باهظ «الإعتراف الصريح بحق الأجانب في شراء العقار في جميع أنحاء المغرب»[20]

الحكم الإستبدادي لم يستوعب الدرس

يتضح مما سلف ذكره أن دولة المخزن عجزت عن حماية أمن المواطنين وممتلكاتهم وأعراضهم من طغيان موظفيها. واضطر عشرات الآلاف في المدن والبوادي إلى شراء الحماية من سفراء وقناصل وتجار البلدان الأجنبية.

وبعد إعلان الإستقلال الشكلي عام 1956، عاد المغاربة ليعيشوا نفس الأوضاع التي عاشها أجدادهم وآباؤهم قبل مائة وخمسين سنة بسبب انعدام العدل وطغيان الإستبداد في جميع مرافق الحياة.

لقد عاثت بيروقراطية المخزن الإدارية والعسكرية والأجهزة السرية فسادا في الأرض، واستحوذت على منابع الثروة والمال، واختطفت وعذبت وقتلت العشرات من خيرة أبناء المغرب، وأجبرت الأغلبية الساحقة على العيش في البؤس والأمية والأمراض والبطالة المزمنة، ورمت بالشباب نساء ورجالا في أسواق الدعارة والمخدرات والجريمة.

ولم يعد الشباب اليائس من عهد الاستقلال يرى الخلاص سوى في مجتمعات أوربا وأمريكا الشمالية، ولا يصدق ما يسمعه عن العنصرية وكراهية الأجانب، ويغامر بحياته للوصول إلى الضفة الأخرى، وفي خلال بضع سنين استقر آلاف المهاجرين السريين في قاع البحر داخل قوارب الموت. أما الذين تمكنوا من إيجاد موطئ قدم لهم في البلدان الغربية، فإن الإحصائيات تكشف أرقاما مهولة تعبر عن الحصيلة الاقتصادية والاجتماعية الكارثية الناجمة عن الاستغلال الذي تعرض

20 – ن. م. ص 106

له المغاربة خلال نصف قرن من الحكم الاستبدادي.

ففي بداية الثمانينات بلغ عدد المغاربة المهاجرين حوالي **مليون شخص**، غير أن التدهور المتسارع للأوضاع المعيشية أدى بعشرات الآلاف إلى الإلتحاق بالبلدان الأجنبية. وفي إحصائية رسمية إرتفع عددهم عام 2009م إلى أزيد من **أربعة ملايين ونصف المليون** مشتتين في جميع البلدان والقارات. ويتكون **نصفهم من النساء اللواتي هاجرن بمفردهن** ويشير تحقيق صحفي إلى أن معظم المغربيات المهاجرات يتعاطين الدعارة. (21) وهذا ما انكشف وشاع وذاع في بلدان الخليج وحتى في إسرائيل.

وكان الحكام المستبدون الذين سهّلوا هجرة النساء مستفيدين من أوضاعهن المزرية. **فهم يُعيدون الأموال التي ترسلها المهاجرات لعائلاتهن إلى حساباتهم في البنوك الأجنبية**، ويدفعون مقابلها الدرهم المغربي. وهكذا سمحوا لأنفسهم بتضخيم حساباتهم باليورو والدولار على حساب **أجساد المغربيات وسمعة المغرب.**

وفي هذا الإطار أفادت إحصائية مغربية رسمية أن عدد المغاربة الحاصلين على الجنسية الفرنسية في بداية 2010 بلغ مائتين واثنين وعشرين ألفا (222.000). وفي بلجيكا وصل العدد سنة 2006 إلى اثنين وثمانين ألفا (82.000). وحصل عشرات الآلاف على الجنسية في هولاندا واسبانيا وإيطاليا وكندا وأمريكا وغيرها.

لقد أصبحت الجنسية الأجنبية حجابا يحفظ المغربي من جنون الموظفين اللصوص. فحينما يعود لزيارة عائلته لا يقدر الدركي أو الشرطي أو الجمركي على إبتزازه وسرقة أمتعته. فالسفارات والقنصليات الأجنبية تدافع على حاملي جنسية بلدانها، وتحمي أملاكهم من الضياع ، فكم من واحد تراجع موظفو السلطة عن إنتزاع أرضه بدعوى «**المصلحة العامة**» **فالبيروقراطيون المرتشون يخافون من التطاول على حامل «الباسبور»** الأجنبي. ويتسلطون على المواطن البسيط الذي ليس له من يحميه.

21 - Tel-quel, Casablanca Le 9-6-2000.

وفي ظروف الإستبداد والإنحطاط لا يمكن للمظلومين إلا أن يعبروا عن يأسهم من حكامهم ولو بطرق غير وطنية كما فعل متظاهرون شباب حينما حملوا بمدينة تطوان سنة 2006م الأعلام الإسبانية في مظاهرة غاضبة رددوا خلالها عبارات تندد بحكومة بلدهم. [22]

إن بيروقراطية سوء التسيير والتدبير التي شردت ملايين المغاربة في أقاصي الدنيا، ما فتئت تستغل عذاباتهم وتمد اليد إلى الأموال العظيمة التي يبعثونها لإنقاذ عائلاتهم من الفقر. وقد غطت عائداتهم من الأموال في السنوات الماضية ستين بالمائة من العجز التجاري المغربي. [23]

ولا ينبغي إغفال ذكر **المتجنسين من كبار الموظفين وأصحاب المال الذين اغتنوا بعد الاستقلال بطرق غير مشروعة ومشبوهة.** فعدد منهم يوجدون في وضعية يتناقض فيها حملهم للجنسية الأجنبية وممارستهم لمهام عليا في الدولة. إنهم يقومون داخل الدولة بدور الطابور الخامس للرأسمالية الإمبريالية.

22 – جريدة «الأسبوع الصحفي» الرباط في 26 – 5 – 2006

23 – Tel–quel, Le 9–6–2007.

الكنسية رفعت أمام الجائعين الخبز والإنجيل

إستهدف الرهبان التابعون للكنيسة بشقيها **الكاتوليكي والبروتيستاني** عقيدة المغاربة الدينية من خلال محاولة تنصيرهم. فالقسيسون والرهبان المبشرون بتعاليم **الإنجيل** ساروا عبر التاريخ جنبا إلى جنب مع قوات الغزو. وشارك البابوات بالتنظير والتنظيم في الحروب الصليبية التي شنتها أوربا على الأراضي الإسلامية من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر (1096 – 1270م)، وحرَّضوا **الحشود الأوربية الجاهلة** على إرتكاب الجرائم باسم الديانة المسيحية. وعندما ألحق **صلاح الدين الأيوبي** هزيمة ماحقة بالجيوش الصليبية في معركة **حطّيْن** واسترجع **القدس** عام 1187م، عاد الصليبيون مرة أخرى حيث كبدهم المسلمون هزيمة مدويَّة في معركة **المنصورة** وأسروا قائدهم **الملك الفرنسي (لويس التاسع)** سنة 1250م. وبعد أربع سنوات قضاها في السجن أطلقوا سراحه مقابل غرامة مالية ثقيلة. لكن روح الإنتقام دفعته للتوجه إلى **تونس** على رأس الحملة الصليبية الثامنة والأخيرة، وانتهت المغامرة بموته أمام أبواب المدينة عام 1270م.


الملك لويس التاسع في السجن

وفي المغرب كان الغزو الإستعماري يّتمُّ تحت غطاء ديني لإخفاءَ الأطماع الإقتصادية والأهداف التوسعية. فالقديس **(فرانسوا داسيز 1182 – 1262م Francois D'assise)** وصل إلى **طنجة** وأسند إلى منظمة

الفرنسيسكان، التي أسسها، مهمة – القيام بتنصير المغاربة.

وفي منتصف القرن الرابع عشر أعلن ملك البرتغال (**يوحنا الأول 1357 - 1433م**) أن محاربة المسلمين في أفريقيا هو الميدان الحقيقي الذي يكسب فيه أمراء الأسرة المالكة أَوْسِمَةَ الفخار. وفي 21 غشت 1415م تمكن من السيطرة على مدينة **سبَتة** في وقت كان فيه السلطان **المريني أبو سعيد وعمه أبو حسن** حاكم مكناس يخوضان حربا مُدَمّرَة ضد بعضهما من أجل السيطرة على كرسي الحكم.

وفي شهَر سبتمبر 1513م إحتل البرتغاليون مدينة **أزمور**، وجعلوا من مسجدها الكبير كنيسة وكان بها عشرة رهبان. وفي بداية القرن الثامن عشر حينما كان المغرب يسبح في دماء الفتن الداخلية، قاد المستعمرون حملاتهم بتوافق مع نشاط الرهبان التبشيري، واتجه العدوان إلى الجسد والروح معا.

واجتاحت إسبانيا **تطوان** عام 1860م، وقامت بتحويل مسجدها إلى كنيسة، وأرغمت حكومة المخزن على منحها الأرض لبناء كنيستين واحدة بفاس والثانية بتطوان نزولا عند طلب القساوسة. وفي اتفاقية سنة 1861م ألزمت الحكومة الإسبانية حكومة المغرب بتسليمها كل إسباني يعتنق الإسلام. [1]

ولعب الراهب (**شارل دو فوكو 1858 - 1916م**) دورا خطيرا في التجسس للجيش الفرنسي، وقام برحلة طويلة متخفيا في لباس يهودي مغربي من تطوان إلى شفشاون وفاس وتازة وصفرو ومكناس، ووصل يوم 6 – 9 – 1883م إلى أبي الجعد، واستقبله **الشيخ بن داود** رئيس الزاوية وأسكنه في بيته وساعده على جمع المعلومات ورافقه بنفسه إلى **القصيبة** ثم كلف إبنه بمرافقته وتعريفه بالأعيان في تلك الجهات. وتمكن من وضع خريطة لأهم المناطق المغربية، وعليها اعتمدت القوات الفرنسية في السيطرة على البلاد. [2]

---

1 – الوثائق إصدار مديرية الوثائق الملكية، ج 4. ص 161.

2 – Henriette Celarié, Au Harem, Amours marocains, Paris 1927, P. 201



الراهب يشحن دماغ المغربي

وتدفق الرهبان الإنجليز على المدن، وشيَّدوا أول كنيسة بروتستانية بمدينة طنجة في عام 1885م. وقامت بعثة فرنسيسكانية ببناء أول كنيسة بالدار البيضاء سنة 1891م. وانتشر أكثر من ثمانين راهبا في مختلف المدن، ووزعوا المال على ضعاف الإيمان المغاربة الذين ترجموا **الإنجيل** إلى الأمازيغية وتشلحيت وتاريفيت عام 1885م. **وكانوا يدورون في حلقة مفرغة لأن ترجمة الإنجيل كانت مكتوبة بحروف عربية وموجهة إلى العارفين باللغة العربية، وكان عددهم قليلا في الأوساط الأمازيغية نظرا لارتفاع نسبة الأمية.**

ولم يكن المبشرون يحملون **الإنجيل** وحده، بل كانوا يقومون بما عجزت حكومات المخزن عن القيام به تجاه الفقراء والمساكين، وكانوا يسعفون الجائعين بتوزيع المواد الغذائية والألبسة عليهم، وتقديم بعض الأدوية للمرضى.

وكما تصارع الأوربيون والأمريكيون للسيطرة على تجارة المغرب واقتصاده، تنافسوا على غزو قلوب المستضعفين المغاربة. ووجد هذا الصراع صداه في برقية بعثها سفير فرنسا بطنجة إلى حكومته سنة 1895م «**إن عددا كبيرا من الرهبان الإنجليز، نساء ورجالا، جاؤوا بدعوى تقديم العلاج للمغاربة، ويقومون بإخبار حكومتهم بكل شيء ويعملون على تقوية دولتهم.**» ويرى السفير الفرنسي في ذلك مؤامرة ضد «**شمال إفريقيا الفرنسية.**»[3]

Tanger, Le 9-7-1895, Archives du Protectorat, Rabat. A A49 – 3

وجعلت الولايات المتحدة الأمريكية من البند المتعلق بحرية التجارة في كافة المدن حسب إتفاقية 1787م، مبررا لتوسيع نشاط الرهبان. وتوافد المبشرون على المغرب خلال السبعينات من القرن التاسع عشر، واستقروا في طنجة وأصيلا والعرائش. وفي بداية القرن العشرين طلب قنصل أمريكا بطنجة من نائب السلطان **محمد الطريس** أن يمنح توصية مكتوبة للبعثة التبشيرية الأمريكية لتسهيل تجوالها بحرية، وأوصى القنصل نوابه في مختلف المدن بتقديم المساعدة للمبشرين ورعاية نشاطهم. [4]

ولما بدأت الجيوش الإستعمارية توغلها في البلاد في بداية القرن العشرين، أصبح تنصير المغاربة يعتمد في كثير من الحالات على العنف الصريح وكان الرهبان يرافقون قوات الإحتلال ويباركون جرائمها. وكلما احتلوا قرية إلا وشرعوا في بناء كنيسة فوق أرض القبيلة التي حملت السلاح ضدهم. وهذا ما فعلوه في يوليوز 1928 في القباب بقبيلة إيشخَرْن بالأطلس المتوسط. وفي قصبة تادلة حطم الجنود الفرنسيون مسَجدا في حربهم ضد قبيلة آيت ربعة. [5]

وكان عدد من الفرنسيين المتعصبين يدخلون المساجد في حالة سُكر، ويتبوَّلون بداخلها. وفي مراكش اعتقل السكان بعضهم ثم أطلق الباشا **الكلاوي** سراحهم.[6]

وذات يوم دخل الطبيب الفرنسي **(رايمون)** رفقة صديقته اليهودية المغربية إلى المسجد بمراكش. ويروي في كتابه أنه نكحها بالقرب من المحراب. وقالت له اليهودية : «**إنني لن أنسى هذه اللحظة التي أدَنّس فيها، وأنا في قمة اللذة، هذا المسجد الذي يعبد فيه أعداؤنا إلاهَهم المزيف.**» [7]

---

4 – المجلة التاريخية المغاربية، تونس، يوليوز 1991، العدد 64–63. ص 272.

5 – Capitaine Cornet, à la conquête du Maroc sud avec la colonne Mangin1912 – 1913. Paris, 1914, P.291

6 – Ibid. P. 194

7 – DR. Raymond BOISSIER, dans Marrakech la rouge, Paris, 1930, P. 185

كانت فرنسا التي لا تنفق شيئا على الكنيسة داخل بلدها تخرق مبادءها العلمانية بتخصيص جزء من الميزانية للمبشرين بالمغرب، وتنشرها في الجريدة الرسمية ضمن الميزانية العامة للمغرب. واحتج الوطنيون سنة 1932 على قرار المقيم العام الفرنسي **(سان لوسيان)** الذي منح لراهبة فرنسية رخصة بفتح مدرسة حرة للفتيات المغربيات بمراكش مع تسديد مصاريفها من الميزانية المغربية. [8]

وكان حوالي ألف راهب يشرفون على حملة تنصير المغاربة[9] ويديرون 11 مدرسة للبنات و 10 للبنين. وفي عام 1935 بلغ عدد التلاميذ 3.064 يضاف إليهم 40 من نزلاء مركز اليتامى، وكان الرهبان يعملون في منظمات الشباب والجمعيات النسائية والنوادي السينمائية.[10]



الراهب يلقن المغاربة تعاليم الإنجيل

وفي يونيو 1925 أصدرت جمعية حقوق الإنسان الفرنسية بيانا طالبت فيه بجعل حد لحملة التنصير... لأن الشعب المغربي متشبث بالإسلام[11] ففي ظرف عشر سنوات من 1926 إلى 1936 تضاعف عدد الكنائس أربع مرات في وقت لم يكن فيه عدد الأوربيين يتجاوز مائة ألف. وكان بناء الكنائس المتسارع على الشكل

8 – محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، ج 4. ص 349.

9 – الحسن بوعياد، الحركة الوطنية والظهير البربري، الدار البيضاء، 1979، ص 215.

10 – Georges Oved, la gauche française et le nationalisme marocain, 1905–1955, T. 2, P. 57, l›Harmattan, Paris, 1984.

11 – Ibid. P. 60.

التالي :

السنة	عدد الكنائس
1912	7
1927	39
1933	105
1935	158
المجموع :	**309**

وعلى غرار تحالف الجيش والكنيسة الفرنسيين ضد معتقدات المغاربة، سار الجيش الإسباني والمبشرون في صف واحد. وأثناء حرب التحرير في منطقة الريف كان الرهبان يؤججون مشاعر الجنود باسم المسيح لقتال «الكفار» المغاربة. وسقط عدد منهم في ساحة الحرب، وتمكن المكافحون من أسر أحدهم في منطقة جبالة. [12]



الراهب يترحم على جنود إسبان سقطوا في حرب الريف

وقام الرهبان المستعرَبُون بالتجسس لحساب دولهم. وتعطي وثائق تم العثور عليها مثلا ساطعا على ابتعادهم على روح الإنجيل، واندماجهم

12 – أحمد البوعياشي، حرب التحرير الريفية ومراحل النضال، ج2 ص 21. دار الأمل، طنجة 1975.

في مخططات الرأسمالية الإستعمارية، مقابل تلقيهم أموال كثيرة وزعوا جزءا منها على الجواسيس المغاربة. [13]

لقد شارك جميع الرهبان الذين جاؤوا إلى المغرب في تنفيذ مخططات حكومات بلدانهم التي استمدوا منها المساعدات المالية والدعم السياسي والحماية العسكرية. وفي النهاية فشلت حملات التبشير وعجزت عن اختراق المجتمع بفعل العقيدة المنغرسة في وجدان الناس. وذلك ما دفع بعض المستعمرين إلى انتهاج الإستفزاز الديني والسياسي. فأقدم الضابط (**بول مارتي**) مدير ثانوية مولاي إدريس بفاس على ممارسة عملية (**غسيل الدماغ**) للطالب **محمد بن عبد الجليل** من أبناء الأعيان وأخ **عمر بن عبد الجليل** أحد قادة حزب الإستقلال، وقدَّمه إلى الرهبان في الإرسالية الكاثوليكية بالرباط، ونقلوه بدورهم إلى باريس. وفي إحدى كنائسهم نظموا له حفلا في عام 1928، اعتنق فيه المسيحية بشكل علني، وكان عرَّابُه (**الكفيل**) أثناء الإعتماد هو المستشرق الفرنسي الشهير، (**لوي ماسينيون**). ثم ألحقوه بالمعهد الكاثوليكي في باريس لدراسة اللاهوت وجعلوا منه راهبا فرانسيسكانيا يحمل الصليب على صدره إلى حين وفاته سنة 1979. ولم يكن هو الأول ولا الأخير المرتد عن دينه، فقد سبقه أربعة تجار فاسيين كانوا يقيمون بمدينة مانشيستر الإنجليزية عام 1892م، وتخلوا عن دينهم واعتنقوا الديانة البروتيستانية.[14]

---

13 - أنظر : أرشيف البعثة الكاثوليكية الفرنسيسكانية بطنجة (مائة وثيقة غير منشورة حول طنجة في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين) عبد العزيز التمسماني خلوق، مجلة دار النيابة، العدد 16-15، السنة 1987، ص 52.

14 - Jean Louis Miege, Le Maroc et l›Europe 1830–1894, T. 4, Puf, Paris 1964, P. 406



الراهب محمد بن عبد الجليل في الوسط باللباس الأبيض

إلا أن الرهبان لم يكونوا ليتسامحوا مع مسلم غريب ارتد عن دينه واقتحم عليهم الدير وتساوى معهم في الرتبة. وهذا ما فسره بعبارات صادمة العرَّاب (ماسينيون) حينما كتب : إن **محمد بن عبد الجليل عاش تمزقا روحيا وعائليا ودينيا طيلة حياته، وتألم كثيرا من الشكوك التي كان يضمرها نحوه بقية إخوانه الرهبان في الكنيسة.**(15)

ومما يؤكد هذا الوصف الحزين لحالة **محمد بن عبد الجليل** وسط الرهبان أنه حضر في نهاية الخمسينات ندوة إنعقدت في مدينة فلورانس بإيطاليا، والتقى فيها بأعضاء الوفد المغربي الذين كان يعرفهم جيدا. وأثناء المناقشات التي كانت تدور في القاعة، صدرت عن الراهب **بن عبد الجليل** إشارة تعبر عما كان يختلج في صدره. فقد قام بتمرير قصاصة ورق صغيرة إلى الدكتور **المهدي بن عبود** كتب فيها بالعربية جملة واحدة : «لا تناقشوهم» أي لا تجادلوا الرهبان في قضايا الدين.(16)

لقد خلق تنصير **محمد** المسلم المثقف الغني التشويش والبلبلة في النفوس، وأحدث صدمة عنيفة وسط البورجوازية الفاسية التي ينتمي إليها، وأعلنت الحداد بمدينة فاس، واعتبرته عائلته ميتا، وفتحت بيتها

15 – أنظر : Massignon, Abdel-Jalil, Parrain et Filleul 1926-1962 Correspondances,Ed. du Cerf, Paris, 2007

16 – حديث مع عبد الرحيم بوعبيد بمقر جريدة «التحرير» بالدار البيضاء سنة 1962.

لتلقي التعازي.[17]

لكن علماء القرويين أغلقوا أفواههم وكسروا أقلامهم حتى لا يصدر عنهم ما يمس أحد أبناء البورجوازية التي يأكلون من مائدتها.

وفي الثلاثينات جعلت «**الكتلة الوطنية**» من محاربة التنصير احد أهدافها الأساسية، وطلبت منع المبشرين المسيحيين من فتح ملاجئ للفقراء، ومصانع لتعليم أبناء المسلمين وتسليم ماهو موجود منها إلى الحكومة المغربية. وسبق للمؤتمر الإسلامي المنعقد بالقدس يوم 17 – 2 – 1931 ان ندد بالحملة الصليبية التي استهدفت ديانة المغاربة. وفي 15 – 2 – 1947 استنكر مؤتمر المغرب العربي في القاهرة حملة التنصير التي تقوم بها الكنيسة الفرنسية والإسبانية لخدمة أهداف الإستعمار الإستيطاني.



الراهبات وأطفال مغاربة في مدرسة كاثوليكية.

وبعد :

إن ستين سنة التي مرت على إعلان الإستقلال الشكلي عام 1956، لم تغير إلا قليلا من الشروط الاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة في عهد الإحتلال الأجنبي. فالبيروقراطية الإدارية أجهضت أحلام الفقراء والعاطلين فحاولوا الهروب نحو أوربا، وسيطر اليأس

17 – عبد الهادي بوطالب، ذكريات شهادات ووجوه، ج1. ص 164، الرباط 1992.

على النفوس، وعاد الحنين بنسبة كبيرة منهم إلى عهد الإستعمار، لأنهم يعتقدون أنه كان أقل قساوة من حكام اليوم الظالمين. وفي هذه الظروف ارتفع صوت الكنيسة من جديد يبشر بدين الرحمة والمحبة. ولم يعد غريبا سماع أصوات شابات وشبان مغاربة تتعالى من إذاعات المبشرين من فرنسا وإسبانيا تدعوا بالدارجة المغربية وبالأمازيغية المغاربة إلى إعتناق دين «**المسيح منقذ البشرية**».

وفي موقعها على شبكة (**الأنترنيت**) أوردت (أيوام IWAM) وهي منظمة أمريكية عالمية تقود حملات التبشير، أن عدد المغاربة الذين اعتنقوا الدين المسيحي تجاوز الألف إلى غاية 2007م.

وفي أواخر التسعينات ظهر مثقفون مغاربة يجاهرون باعتناقهم دين المسيح، ووقع بعضهم تحت طائلة القانون المغربي.

فالذين يطالبون بالحرية وحق الإختيار الديني إلتحقوا بضحايا الظلم الإجتماعي المتطلعين للمساعدة الإنسانية، وكلهم يعتقدون أن الخلاص يَكمُن في اعتناق المسيحية.

ويواصل القسيسون والرهبان نشاطهم في المغرب بكل حرية خاصة في المناطق الفقيرة، وكما كانوا في الماضي البعيد، فإنهم عادوا من جديد يحملون الإنجيل باليد اليمنى ورغيف الخبز باليد اليسرى.

الظهير البربري 16 – 5 – 1930

الإستعمار أراد التقسيم والبورجوازية دافعت عن وحدة السوق والدين

يُطلقُ إسمُ «البَرْبَرْ» على السكان الذين يقطنون – منذ ما قبل التاريخ – المغرب والجزائر وتونس، ويمتد حضورهم بكثافة أقل إلى ليبيا ومصر ومالي والنيجر، وتداولته كتب المؤرخين القدامى الإغريق واللاتينيون والعرب وفي مقدمتهم عبد الرحمن بن خلدون (1332 – 1406). إلا أن بعض الكتّاب في المشرق العربي حوَّلوا النطق بالإسم إلى «بَرَابِرْ» والنعت إلى «بَرْبَرِيّة» بمعنى الوحشية. وبذلك اقتربوا من كلمة بَارْبَارْ BARBARE التي أطلقها الإغريق على جميع الشعوب التي لا تنتمي إلى ثقافتهم. كما وصف بها الأوربيون القبائل الهمجية الأوربية التي حملت الموت والخراب إلى البلدان التي كانت خاضعة لحكم الإمبراطورية الغربية بين القرن الثالث والسادس الميلادي.

غير أن المثقفين المغاربة عبَّروا عن اشمئزازهم من سماع كلمة «البَرْبَرْ» واستعملوا مكانها في كتاباتهم كلمة «أمازيغ» ومؤنثها «تمازيغت» وتشمل اللغة والمرأة والجمع «إيمازيغن» وهو إسم ورد في اللغات القديمة المصرية واليونانية واللاتينية مع تحريف في النطق والكتابة حسب المؤرخين. [1] إلا أن هذا الوصف لا ينطبق على سكان جميع المناطق. ففي جبال الأطلس المتوسط وشرق الأطلس الكبير وناحية ملوية يتحدثون «تامازيغت» وفي غربي الأطلس الكبير وسوس والأطلس الصغير وجنوب الصويرة يتكلمون «تشلحيت» ويسمون انفسهم «إيشلحين» ومفرده «أشلحي». وفي جبال الريف تسود

1 – محمد شفيق، لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، دار الكلام للنشر والتوزيع، الرباط 1989 ص. 11.

«**تريفيت**». وتوجد أيضا لهجتان متباعدتان في كل من فكيك وقلعة مكونة.

أما الإختلاف الملحوظ في النطق والألفاظ وتأثير الألفاظ العربية حسب الجهات، فقد يكون ناتجا عن عُزلة القبائل بعضها عن بعض طيلة قرون طويلة بسبب الحروب الداخلية التي أثرت سلبيا على العلاقات الإنسانية وعرقلت المبادلات التجارية التي كان من شأنها توسيع شبكات الأسواق المحلية باعتبارها أحد أدوات التواصل البشري • إلا أن الأمازيغية رغم تعدد لهجاتها ظلت تحتفظ بخيوط تجمع بين مختلف المناطق الجغرافية وتبقى مفهومة نسبيا للجميع.

وعن أصل الأمازيغ تعددت الفرضيات بعيدا عن الأدلة العلمية والتاريخية. فبعض الكتاب الأوربيين اعتمدوا على التشابه لدى قسم كبير من الأمازيغيين بالأوربيين من حيث لون البشرة الأبيض، والأشقر الفاتح، وزرقة العيون وغيرها من الصفات، وهذا التفسير ساد في عصر الأمبريالية الذي هو عصر العنصرية التي لم ينج منها تقريبا أي مفكر أوربي.[2]

أما المؤرخون العرب فينسبون أصل الأمازيغ إلى اليمن، ويجزم **بن خلدون** أن أصلهم من بني قحطان في الجزيرة العربية. وأظهرت بعض الأبحاث أن هناك تشابها في الأشكال بين عدد من حروف « **تيفيناغ**» الأمازيغية والعربية.

وتطرقت الكتابات القديمة المصرية واليونانية والفينيقية والرومانية والوندالية والعربية إلى بعض العهود من تاريخ الأمازيغ والممالك أو الإمارات التي كانت قائمة في القرن الخامس قبل الميلاد، وكشفت بعض الدراسات (الأركيلوجية) في علم الآثار عن جوانب من حياتهم مثل اللباس والأكل والزراعة وتربية المواشي والنظام الداخلي للقبائل. وكل ذلك ساعد على سَبْر غور جوانب من الثقافة الأمازيغية التي لابد أن تكون قد تأثرت بالحضارات الوافدة، وفي المقام الأول الحضارة الفينيقية. فالفينيقيون قدموا من مدينة صور على الساحل السوري

2 – GUSTAVE Le Bon, Psychologie des Foules, Paris 1895, P. 162

الفلسطيني في بداية الألفية الثانية قبل الميلاد، وحملوا معهم مجموعة من المعارف الزراعية والصناعية وأدخلوا إلى بلدان المغرب **الكتابة الهجائية.** وفي ميدان العمران شيدوا مدينة العرائش (1.100 ق.م.) ومليلية وطنجة وقرطاجة (814. ق.م.).

وأظهرت الدراسات أن شمال أفريقيا حكمتها دول أمازيغية قوية في القرن الرابع قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي. واشتهر الأمازيغ بتعايشهم السلمي مع الفينيقيين طيلة عشرة قرون، وقاوموا بشدة الإستعمار الروماني الذي كان وجوده محصورا في بعض الشواطئ. وتحالفوا مع (الوندال) القادمين من ضفاف بحر البلطيق، وألحقوا الهزيمة بما تبقى من الجيش الروماني، ودخلوا روما وصادروا ثرواتها وأتوا بزوجة وابنتي الإمبراطور الروماني أسيرات في عام 429م.

وكان على الفاتحين العرب لكي يتمكنوا من بلدان المغرب أن يخوضوا سلسلة من الحروب على امتداد ستين سنة من 27 إلى 90 ه (647 – 708م)، وخلالها إرتد المغاربة **عن الإسلام إثني عشر مرة.**[3] وكانت نِهاية فاتح المغرب **عقبة بن نافع الفهري** على يد **كُسَيْلَة** زعيم قبائل أَوَرْبَا بعد أن أهانه وهو في السجن.[4]

وفي سنة 79ه (698م)، واجهت ملكة جبال الأوراس **(دُهْيَا بنت ماتية)**، المعروفة بإسم «**الكاهنة**» على رأس قواتها جيشا كان يقوده **حسَّان بن غسَّان النعماني** في وادي مسكيلانة «**وانهزم المسلمون وقُتل منهم خلق كثير، وأسرَ خالد بن يزيد القيسي.**»[5]

وحَسب معظم الروايات فَإن الأمازيغ كانوا يثورون ضد تصرفات **ممثلي الحكم الإستبدادي لبني أمية الذين كان شغلهم هو النهب وجمع الغنائم واسترقاق النساء وإرسالهن هدايا إلى الحكام في**

3 – عبد الرحمان بن خلدون، كتاب العبَر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. دار الكتاب العلمية، بيروت 2006 الجزء 6 ص 104.

4 – ن. م. ص 173.

5 – ن. م. ج6، ص 128

دمشق وإلى أسواق النخاسة في بلدان الشرق العربي. وتروي المراجع التاريخية أن الخليفة الصالح عمر بنٍ عبد العزيز (61 – 101هـ 680 – 719م) أدخلت عليه زوجته جاريةً حسناء من جواريها، فسألها عن أصلها. «فقالتٍ له إنها مجلوبة من بلاد المغرب، وأن الفاتح موسى بن نُصيْر نَكَّل بوالدها وانتزعها منه.»

فقال الخليفة بن عبد العزيز «إن للّه وإنا إليه راجعون، كدنا واللّه نفتضح ونهلك» ثم «أمر بإعادتها مُكرَّمة إلى بلادها وأهلها.» [6]

ولما استتب الإسلام في نفوس المغاربة قاد الأمازيغي طارق بن زياد سنة 92هـ 710م سبعة آلاف مقاتل، وقطع بهم البوغاز وتوقف في الجبل الذي لا يزال يحمل إسمه. [7] ومنه دخل إلى إسبانيا التي دامت فيها الثقافة العربية الإسلامية ثمانية قرون (711 – 1492م).



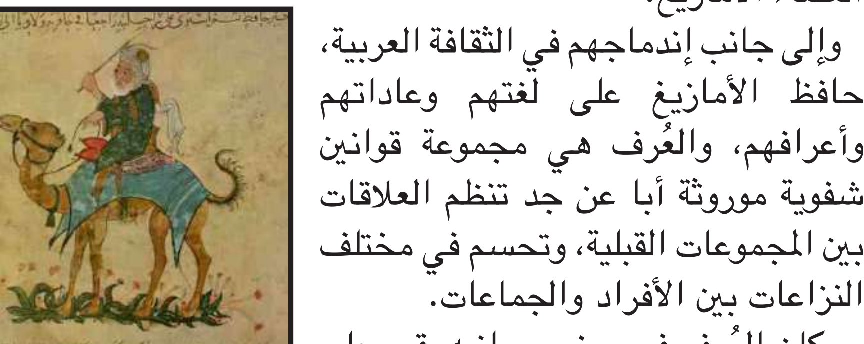
طارق ابن زياد بريشة رسام أوربي

6 – إبن كثير إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، المجلد 2. ص 1890. دار إبن حزم، بيروت 2005.

7 – جبل طارق صخرة من ستة كيلومترات مربَّعة. سيطرت عليها انجلترا في بداية القرن الثامن عشر، وجعلت منها قاعدة عسكرية بحرية وجوية.

مخطط التقسيم الإستعماري

وكما برز الأمازيغ في جميع الحروب التي إنتصروا فيها للإسلام نبغوا في مختلف المعارف الثقافية الإسلامية، في الأدب والتاريخ والجغرافية، وصنَّفوا في النحو والفقه. ولعل أبرز علماء اللغة هو أبو **عبد اللّٰه بن أجروم الصنهاجي** (توفي سنة 1323م) المشهور بكتابه «**الأجرومية**» الذي إعتمد عليه في تدريس النحو العربي طالبوا العلم في المغرب والمشرق لمدة قرون كاملة. وقبله إشتهر شيخ النُّحاة المغاربة **عيسى بن عبد العزيز الجزولي** (ت 1210م). وتلميذه **أبو الحسن بن معطي الزواوي** (1169 – 1231م) مؤلف «**الدرة الألفية في علم العربية**». ومن بين مشاهير المؤرخين **أبو بكر بن علي الصنهاجي البيذق**، **وإبن عذاري**، **وإبن غازي الكتامي**، **والفشتالي والإفراني والزياني وأحمد الكنسوسي**. واشتهر في أدب الرحلات، **إبن بطوطة الطنجي اللواتي** (1304 – 1369م). **وأبو سالم العياشي**، **وأبو عبد اللّٰه العبدري الحيحي**. وفي الفقة أبدع **عبد اللّٰه بن ياسين**، **ومحمد المهدي بن تومرت** (1079 – 1130م) مؤسس الدولة الموحدية، **وأبو علي الحسن اليوسي** صاحب كتاب «**المحاضرات**» وغيرهم من كبار العلماء الأمازيغ.[8]





ابن بطوطة

وإلى جانب إندماجهم في الثقافة العربية، حافظ الأمازيغ على لغتهم وعاداتهم وأعرافهم، والعُرف هي مجموعة قوانين شفوية موروثة أبا عن جد تنظم العلاقات بين المجموعات القبلية، وتحسم في مختلف النزاعات بين الأفراد والجماعات.



وكان العُرف في بعض جوانبه يقوم على أحكام تتنافى مع الشريعة الإسلامية مثل

8 – أنظر : محمد شفيق، لمحة من ثلاثة وثلاثين قرنا ... م. س. ص 78 – 85.

حرمان المرأة والبنت من الإرث. فالمرأة مستبعدة من حقها في الميراث، وإذا مات وليها، الزوج أو الإبن، فإن أمرها يبقى في عهدة الذكور من داخل العائلة. وهذه العادة السلبية في العُرف ليست عامة في جميع القبائل.

وعلى أساس اللغة والعُرف أراد الإستعمار أن يطبق سياسة «**فَرِّق تسُد**» ويفصل الأمازيغ عن العرب. وبعد سنتين فقط من توقيع معاهدة الحماية، أصدر **المقيم العام الجنرال ليوطي** يوم 11 - 9 1914- مرسوما ينص على بقاء «**القبائل البربرية**» محكومة وخاضعة لعاداتها وأعرافها القديمة. وفي 22 - 9 - 1915 أصدر مرسوما آخر يجعل الفرنسية لغة رسمية للجماعات «**البربرية**» وجاء في منشور وجهه للضباط والموظفين :

«من الناحية اللغوية يجب أن نطمح إلى المرور مباشرة من اللغة البربرية إلى اللغة الفرنسية، ومن أجل هذا نحتاج إلى مختصين في البربرية، ويجب على ضباطنا في المخابرات أن يشرعوا بعزم في دراسة اللهجات البربرية... ويجب أيضا إنشاء مدارس فرنسية بربرية التي نلقّن فيها الفرنسية لأطفال البربر.» [9]

وأسس «**لجنةَ الأبحاث البربرية**» وأناط بها مهمة جمع المعلومات عن كل ما يرتبط بسكان القبائل وتحديد الوسائل لتسييرها وتنظيم إدارتها. وأصدر يوم 21 مايو 1920 مرسوما ينظم العدلية في تلك الجهات، وفي الشهر الموالي أتبعه بمرسوم يتعلق بتأسيس أنظمة تقوم بتفويت العقارات والأراضي للمعمرين، ومحاولة دمج الأمازيغ في الإدارة الفرنسية.

وفي عام 1927 تأسست مدرسة «أزرو»[10] «خاصة بتكوين المعلمين وكتاب الجماعات في المناطق القبلية وهي جزء من مخطط التقسيم لخصه **الجنرال ليوطي** في المنشور المذكور بقوله :

9 - Paul Marty, Le Maroc de demain , Paris 1929, P. 228.

10 - أزرو قرية جبلية كبرى ومركز للاصطياف بالأطلس المتوسط وتقع على بعد 70 كلم من مكناس.



ثانوية أزرو

«من الناحية السياسية العاجلة فإن هدف المدارس يَكمُن في تدجين الأهلي والإبقاء بشكل مكثّم وأيضا حازم قدر الإمكان على الإختلافات اللغوية والدينية والإجتماعية الموجودة بين بلاد المخزن المتديّنة بالإسلام والمستعرَبَة، وبين الجبل البربري المتديّن لكنه وثني ويجهل العربية»(11)

وتوالى صدور القرارات والتدابير التي تولد عنها يوم 16 مايو 1930

(مرسوم محاكم الأعراف **Décrit des Tribunaux de Coutumes**)

المعروف في أدبيات الحركة الوطنية باسم «**الظهير البربري**.»

ولم يكن في الساحة لا حزب ولا نقابة، وكان المتعلمون من أبناء الطبقات المتوسطة ينتظمون في جمعيات ثقافية محدودة النشاط والأعضاء. وإلى «**النادي الأدبي السلاوي**» كان ينتمي **عبد اللطيف الصبيحي** الموظف آنذاك في مصلحة الشؤون الإدارية والسياسية بالإقامة الفرنسية العامة. وهو ما مكّنه من الإطلاع على نص (**الظهير البربري**) ونقل الخبر إلى أصدقائه في الرباط وسلا. وبعد أربعين يوما من المناقشات والمشاورات، إتفقوا على الإلتقاء بالمسجد الأعظم يوم

---

11 – ن.م.

27 يونيو 1930 وجلسوا يرددون : «**اللهم يا لطيف نسألك اللطف بما جرت به المقادير ولا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر**».[12]

وألقت الشرطة القبض على عدد من الشباب ونقلتهم إلى مدن بعيدة وفي يوم 4 يوليوز قام الشباب بمدينة فاس بإحتجاج مماثل في المسجد، ثم خرجوا في مظاهرة صاخبة أمام بيت **أحمد بن الجيلالي رئيس المجلس العلمي**، وأعربوا عن إستنكارهم لموقف **علماء فاس** المتخاذل من الظهير البربري. وألقي القبض على عدد منهم.[13] وتعرضوا للجلد بالسياط من طرف الباشا البغدادي وبحضور المراقب المدني الفرنسي السيد (**شاكون**).[14]

وامتدت قراءة اللطيف إلى مدن الدار البيضاء ومراكش وآسفي وطنجة وتطوان وتعرض المحتجون بشكل سلمي إلى قمع عنيف.

وكان معظم المتزعمين لحركة الإحتجاج بمدينة فاس من أبناء العائلات الغنية والمتوسطة التي تجمع المال والثقافة. فقام تجار المدينة وأعيانُها بمقابلة الحاكم العسكري الفرنسي يوم 29 يوليوز، وطلبوا منه إطلاق سراح المعتقلين. وقدموا عريضة إلى **الملك محمد الخامس** طالبوه فيها بإصدار (ظهير) ملكي يجعل سكان الحواضر والبوادي خاضعين للشريعة الإسلامية، وبقاء العربية لغة رسمية، وعدم كتابة **اللهجة البربرية بالحروف اللاتينية**، ومنع نشاط المبشرين في الأسواق والمواسم، وإلغاء الرخص المفروضة **للتنقل بين المدن والبوادي** والإكتفاء بورقة التعريف الوطنية.[15]

فالإستعمار وضع العراقيل أمام **الطبقة التجارية** ومنعها من التنقل

---

12 – أحمد معنينو، ذكريات ومذكرات، ج1 ص. 48، مطبعة سبارطيل، طنجة 1991

13 – محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، ج3. ص 84، الناشر مؤسسة الوزاني، 1986.

14 – عبد الهادي بوطالب، ذكريات شهادات ووجوه، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، الرباط 1992، ج1، ص 177.

15 – الحسن بوعياد، الحركة الوطنية والظهير البربري، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء 1979 ص 259.

في المناطق الجبلية والتواصل بحرية مع البوادي. ولذلك التجأت إلى ربط **مصالحها بالدفاع عن الشريعة**. فالدين جسَّد على مَرّ العصور الوحدة الروحية للمغاربة وتكوينهم النفسي المشترك بقطعَ النظر عن أصولهم الأمازيغية والعربية والأندلسية والإفريقية، وتنوُّعِ لهجاتهم العربية والحسانية والأمازيغية.

وهذا ما تؤكده عريضة تجار وأعيان وحرفيي مدينة سلا التي عبرت بشكل واضح عن مطالب البورجوازية التجارية ومخاوفها. واعتبرت **(الظهير البربري)** مؤامرة تهدف إلى «**إضعاف القومية المغربية بإصابة المغرب فِي كبد وحدته.**»[16] وزادوا في توضيح همومهم قائلين : «**إذا فصل البربر عن العرب يصير العرب في حكم الأقلية. وإذا صارت هناك أغلبية عظمى تعضدها قوة أجنبية فأي حياة تكون لتلك الأقلية أمام ذلك التجييش المنظم... وإذَّاك لا يبعد اليومُ الذي يحل بنا ما حل بأسلافنا في الأندلس.**»[17]

حملت عريضة سلا توقيع 60 تاجرا وملاَّكا، و 30 من الأعيان وأصحاب الحرف، و 20 من الموظفين والفقهاء.[18]

فالتجار رأوَا ضمان مصالحهم في ضمان وحدة السوق، والحرفيون لم يقبلوا بإغلاق سوق شاسعة في وجه إنتاجهم، والفقهاء لا يريدون حرمانهم من فضاء طالما تجولوا في ربوعه ونالوا فيه نصيبهم من الرزق بإسم الدين، وكل المصالح الفئوية التقت حول عدم السماح ب «تمزيق الوحدة الوطنية». وتداخلت مطالب صيانة الوحدة الوطنية بالمطالب الإقتصادية، وتشابكت الروابط الدينية والوطنية مع المصالح المشتركة بين المدينة والبادية والمتشخِّصة في علاقات الإنتاج والتبادل والتعاقد.

لقد أخطأ ضباط الإستعمار ومعهم رهبان الكنيسة المتعصبون حينما

16 – أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930 إلى 1940، ج1 ص 81، الدار البيضاء 1991 .

17 – ن. م. ص 84.

18 – أحمد معنينو، ذكريات، م. س. ص 185.

اعتقدوا أن الفوارق بين اللغة العربية والأمازيغية وبعض جوانب العُرف كافية لإبعاد القبيلة عن الشرع وتنصيرها. وكانوا يجهلون أن المجتمع القبلي يستمد قوته الروحية من النص الديني رغم عدم تطابقه أحيانا مع العُرف.

الإعتراف بلغة الأمازيغ

كانت السياسة البربرية للإدارة الفرنسية محاولة لتقسيم الشعب غير أن تطابق أهداف ومصالح جميع مكونات المجتمع أفشلتها. وقاد المثقفون العرب والأمازيغ، المؤرخون والأدباء والسياسيون الكفاح دفاعا عن الوحدة تحت شعارات دينية معادية للإحتلال الأجنبي.

وبعد حصول البلاد على إستقلالها إندفع بعض الأشخاص لتسريع وثيرة التعريب وبأساليب إستفزازية. فقد وقف أحدهم أمام العرب المشاركين في «**ندوة إتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية**» المنعقد بالرباط في نوفمبر 1984 قائلا :

«**إن ما حققته المملكة المغربية بعد عودة الملك محمد الخامس من منفاه، يفوق ما حققه المغرب عبر أحقابه التاريخية الطويلة منذ أن فتحه عقبة بن نافع.**» [19]

ومعنى هذا أن الأمازيغ الذين كانوا يمثلون «القسم الأكبر من رعايا البلاد[20] » أصبحوا أقلية في المجتمع، وشعر المثقفون الأمازيغ باستهداف هويتهم، وتعالى إستنكارهم وهم يرون موظفين في بعض مكاتب الحالة المدنية يرفضون تسجيل أطفال يحملون أسماء أمازيغية.

وإلى نهاية الثمانينات من القرن الماضي لم تستطع الجمعيات الثقافية الأمازيغية مزاولة نشاطها بحرية. واعتقد القائمون عليها أن المقصود

---

19 – لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا ... م. س. ص 96..

20 – علال الفاسي، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، تطوان – بدون تاريخ، ص 143.

هو اقتلاع جذور الأمازيغية خصوصا حينما شمل التضييق الحقوق الإقتصادية والإجتماعية في المناطق التي يقطنها الأمازيغ واتخذت السياسة المتبعة تجاه بعض الجهات أبعادا مأساوية في حملات قمع دموية بالريف في سنتي 1958 – 1959، وفي الأطلس المتوسط عام 1973.

ولم يبدأ فَكُّ العزلة عن المناطق الأمازيغية ووضع مشاريع تنموية فيها إلا في عهد **الملك محمد السادس**. وظهرت عشرات الجمعيات في كل مكان وتحقق أحد أهم مطالبها بإدراج اللغة الأمازيغية في دستور 2011.

إلا أن بعض المتطرفين الأمازيغ إستغلوا الحرية التي سادت في العهد الجديد، وارتبطوا بمنظمات أوربية وأمريكية تتبنى حق الأمازيغ في الإستقلال وفي اعتناق الديانة المسيحية، وأصبحوا يبشرون بنفس الأهداف التي تضمنها مرسوم الظهير البربري لعام 1930.

وأدى الحقد على العرب بآخرين إلى بسط اليد للدولة الصهيونية وهَرْوَلوا لزيارتها وهم يلهثون ثناءً على (ديمقراطيتها) وينكرون حق الشعب الفلسطيني المكافح من أجل الحرية.

لقد إنهارت قيّم الأخلاق الوطنية والتضامن الإنساني أمام الأموال اليهودية المتهاطلة على جمعيات بلغت الانتهازية والارتزاق بالمشرفين عليها إلى المناداة جهارا بالتحالف مع الصهيونية والإستعمار الجديد، وبذلك كسَّروا جسور المقاومة التي تربطهم ببطولة الآباء والأجداد، وانحرفوا إنحرافا مُشينا عن روح الوطنية والنخوة والشرف.

الفصل الخامس

التنازل عن الأراضي أدى إلى سقوط دولة المخزن

كانت سياسة الدول الأمبريالية لإخضاع المغرب تقوم على الوسائل العسكرية واستنزاف الموارد المالية لدولة المخزن وإغراقها في الديون.

في يوم 6 – 2 – 1860م إنهزم الجيش المخزني في الحرب أمام القوات الإسبانية التي احتلت تطوان دون أن تطلق رصاصة واحدة. وفرضت على السلطان أداء عشرين ألف (دورو) أي ما يعادل مائة مليون فرنك ذهبي كشرط انسحابها من المدينة. [1] واضطر السلطان إلى رهن الموانئ لتأدية الغرامة الثقيلة، وجلس الموظفون الإسبانيون في الموانئ ليتقاضوا خمسين بالمائة من مداخيل الجمارك. **ونال الإسبانيون المقيمون بالمغرب حق امتلاك العقارات وقطع أخشاب الغابات وتصديرها، وشرعت بواخر الصيد البحري الإسبانية في العمل بحرية في الشواطئ المغربية.**

وفي عام 1894م قتل السكان بعض الجنود الإسبان حينما حاولوا إحتلال أراضي أخرى خارج مليلية. ففرضت إسبانيا على المخزن غرامة مالية بلغت عشرين مليون فرنك، وتوصلت منها في الحال بخمسة ملايين على أن تُؤَدَّى المبالغ المتبقية بالأقساط.

وجاء دور ألمانيا لتفرض على المخزن عام 1895م غرامة خيالية حددتها في أربعين ألف (دورو) كتعويض لمقتل هولاندي وجرح آخر في شاطئ الحسيمة. وكانت ألمانيا تمثل مصالح هولندا بالمغرب، وفي

1 – Charles – André Julien, Le Maroc face aux impérialismes. 1415 – 1956, Ed. Jeune Afrique, Paris, 1978, P. 30

نطاق التهديد أرسلت بواخرها الحربية إلى موانئ طنجة والرباط والدار البيضاء.

وأظهر المخزن عجزه عن حماية البلاد، وازدادت أوضاعه تأزما بفعل الإختلاسات التي مارستها حاشية السلطان ووزراؤه في الأموال العامة. ولمواجهة الغرامات ذهب المخزن يطلب السلف من البنوك الأجنبية. وتوصل بأول قرض من البنوك الفرنسية سنة 1902 بمبلغ سبعة ملايين وخمسمائة ألف فرنك. وفي السنة الموالية قدمت البنوك الإنجليزية والإسبانية سلفا بنفس المبلغ وبفائدة ستة بالمائة، والضمانة هي مداخيل الجمارك، وتمَّ صرف جميع المبالغ المذكورة في تسديد ديون التجار الأجانب التي في ذمة السلطان وتمويل الحرب ضد بوحمارة. (2)

وفي سنة 1904 قدَّم بنك **(باريبا)** الفرنسي رشوة مالية إلى وزراء في حكومة المخزن بلغت مليونين من الفرنكات توصل منها وزير المالية **محمد التازي** بخمسمائة ألف فرنك وذلك مقابل موافقته على أخذ سلف آخر بقيمة اثنين وستين مليونا وخمسمائة ألف فرنك بفائدة خمسة بالمائة. ولم يتوصل منها المخزن إلا بثمانية وأربعين مليونا والباقي إلتهمته الفوائد عن السلفات السابقة، وتمثلت ضمانة السلف الجديد في ستين بالمائة من مداخيل الجمارك ولمدة خمس وثلاثين سنة. (3)

وفي 1905 منحت ألمانيا إلى حكومة المخزن قرضا بمبلغ عشرة ملايين فرنك ذهبي. وبلغت المديونية الأجنبية في سنة 1906 مائتين وستة ملايين فرنك فرنسي.

وبعد انتصار **مولاي عبد الحفيظ** على أخيه السلطان **مولاي عبد العزيز** وتوليه مقاليد الحكم (1908 - 1912)، طلبت منه فرنسا دفع 76 مليون فرنك عن الخسائر التي لحقت بجنودها أثناء احتلالها الدار

2 - Histoire du Maroc, collectif, Hatier, Paris, 1982, P. 326.

3 - Ch. A. Julien, le Maroc, face...op. cit. P.62

البيضاء عام 1907، وبتأدية أكثر من 13 مليون فرنك عن الأضرار التي لحقت بأملاك الأجانب. وفرضت عليه بإتفاق مع إنجلترا، وقف سَك النقود بدعوى أن العُمْلة المغربية تعاني من التضخم.[4]

ونظرا لفراغ الخزينة طلب السلطان سلفا آخر بلغ مائة مليون فرنك، ولضمان السلف الجديد جعل جميع الموانئ البحرية ومداخيل الأملاك المخزنية القريبة منها بيد البنوك الفرنسية، إضافة إلى احتكارها الإتجار في مادة التبغ.

وأصبح المخزن مُكبَّلاً بالديون الأجنبية، وفقد قدرته على الحركة ولم يعد عنده ما يبيعه بعد أن وضع جميع مصادر تجارته الوطنية ومداخيله الجمركية تحت مراقبة الدول الأمبريالية.

وذهب بعض الوزراء وكبار موظفي المخزن إلى حدّ التنازل عن أجزاء شاسعة من التراب الوطني مقابل رشاوي ماليةَ والإستمتاع بما تحت حزام النساء الفرنسيات. وقاموا بأفعالهم الخيانية بدون الخوف من الحساب أو العقاب وكأنهم باعوا أراضي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم. فقد «**كانت ملاذهم وملاهيهم ونهبهم للأموال وهتكهم للأعراض وتباهيهم بخلطة الأجانب، ثم خيانتهم السافرة أكبر مُنَفِّر منهم وباعث على الشك فيهم والرغبة في الخلاص منهم.**»[5]

فبعد هزيمة جيش السلطان في معركة واد إيسلي سنة 1844م إستطاع الفرنسيون أثناء مفاوضات (**للا مغنية**) يوم 18 مارس من نفس السنة أن يشتروا خيانة المفاوضَيْن المغربيين **حميد بن علي الشجعي** عامل إقليم وجدة، و **أحمد الأخضر** كاتب في حكومة المخزن، فتنازل الإثنان لفرنسا عن عدد من القرى والقبائل المغربية، وتركا أراضي شاسعة من الأقاليم الشرقية بدون تحديد بدعوى أنها أراضي قاحلة لا ماء فيها ولا مرعى الشيء الذي سهَّل على الجيش الفرنسي

4 – Documents Diplomatiques français (D.D.F) Série 2. T. 4, P. 289.

5 – عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، ج1. ص 395 – الرباط 1971.

ضَمَّها إلى الجزائر. [6]

وفي 20 يوليوز 1901 أمضى وزير الخارجية المغربي **عبد الكريم بن سليمان** في باريس مع وزير خارجية فرنسا (ديلكاصي **Delcassé**) إتفاقية حول الحدود تنازل له فيها عن (**... واحة توات وما كان محتلاً من فكيك وما لم يكن محتلا وهو بني ونّيف، وسلم له قبائل لم تكن محتلة كالقنادسة وأولاد جرير... وبشاَر...**) [7]



عبدالكريم بن سليمان انحنى أمام الراية الفرنسية بعد تنازله عن الأرض

وفي يوم 20 ابريل 1902 وقَّع في الجزائر **محمد الكبَّاص** الكاتب الأول بوزارة الخارجية على إتفاقية مماثلة تنازل فيها عن ولاية الساورة وعدة أراضي إمتدت إلى قرية إيكلي الواقعة على واد كير. وكان «**لإبرام هذين الإتفاقين من الوقع السيء العميق في قلوب المغاربة ما عصف بعرش السلطان (مولاي عبد العزيز) ومخزنه بعد بضع سنين.**» [8]

وفي وثيقة رسمية طلب سفير فرنسا بطنجة من حكومة بلاده الإستجابة لطلب بمنح سلف آخر للسلطان تقدم به كل من **بن سليمان والكباص قائلا** :

«**يجب دَعمُ الوزيرين الكباص وبن سليمان ليستعدا ثقة السلطان فيهما بعد أن أصبحا معزولين وضعيفين، لأن خصومهما يتهمونهما**

---

6 – الوثائق، إصدار مديرية الوثائق الملكية، المجموعة الأولى، ص 447، الرباط 1976.

7 – محمد الحسن الحجوي، إنتحار المغرب الأقصى بيد ثواره، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ص 5.

8 – عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي ج2، ص 82 الرباط

بالتعاون مع فرنسا.» (9)



الوزيران عبدالكريم بن سليمان
ومحمد الكباص

وتفيد وثيقة أخرى أن **محمد المقري** قال لرئيس الوفد الفرنسي أثناء مؤتمر الجزيرة : **إن المخزن لا يهمه من هذا المؤتمر سوى شيء واحد: الموارد المالية.** (10)

وعشية الغزو العسكري الفرنسي والإسباني، كان موظفو المخزن من وزراء وكبار الموظفين يهرولون تجاه ضباط الإستعمار يعلنون لهم الولاء بهدف المحافظة على مصالحهم ومراكزهم وشهد زمن الخيانة الوطنية «**...وزراء كبار أنهوا عملهم مع المخزن بالإحتماء بالأجانب كالمدني الكلاوي الصدر الأعظم والمهدي المنبهي وزير الدفاع، وعمر التازي وزير المالية وسواهم كثير...**» (11)

وفي نطاق الصراعات بين الدول الإستعمارية حول المغرب، تم عقد مؤتمر دولي يوم 16 يناير 1906 بمدينة الجزيرة الإسبانية بالقرب من جبل طارق بحضور ممثلي ثلاثة عشر بلدا أوروبيا.

وكان الوفد المغربي يتكون من محمد المقري ومحمد الطريس وعبد الرحمان بنيس والسفار محمد والمترجم أبو بكر عبد الوهاب الطالب بألمانيا. واستطاعت فرنسا أن تفرض **المترجم الجزائري قدور بن غبريط ضمن الوفد المغربي**. وحسب وثيقة فرنسية فقد قام بن غبريط

9 – Documents Diplomatiques, op. cit – T.5, P. 144.

10 – Ibid. T. 9, P. 489

11 – الوثائق، م. س. ج4، ص 39.

بدور المترجم والجاسوس على المغاربة في خدمة فرنسا. [12]


محمد المقري

ولعب **محمد المقري** نفس الدور التجسسي وسمح لرئيس الوفد الفرنسي بالإطلاع على خطابه قبل إلقاءه في الجلسة العامة، وحذف منه فقرات غير متطابقة مع المخطط الفرنسي. [13]


بن غبريط

لم ينته المؤتمر إلا يوم 7 أبريل 1906 وهي مدة طويلة من الصراعات والمفاوضات السرية من أجل تقاسم البلاد وتم تجاهل الوفد المغربي وهو ما عبر عنه عضو الوفد **عبد الرحمان بنيس** بقوله: «**إنهم يناقشون ويقررون دون أي إعتبار لنا وكأننا غير موجودين.**» [14]

وأكدت معاهدة الجزيرة على المساواة الإقتصادية وحرية التجارة بالمغرب لجميع الدول المشاركة في المؤتمر، وقررت إحداث شرطة في الموانئ بقيادة ضباط فرنسيين وإسبانيين، وتأسيس «**البنك المخزني**» بأموال فرنسية وإنجليزية وألمانية وإسبانية وغيرها، **وأضحى المغرب تحت الوصاية الإمبريالية بسبب الإستبداد المخزني وجهازه الفاسد الذي عشعش فيه العملاء والجواسيس بمختلف أنواعهم من الوزير السامي إلى الموظف الكبير وإنتهاء بمستشاري السلطان.**

لقد إرتمى ضعاف النفوس في أحضان الإستعمار وتنافسوا في

12 – Ibid. T. 2, P. 556.
13 – Ibid. T. 9, P. 29
14 – Ibid. T. 9, P. 721.

تزويده بالمعلومات السرية، وكان «**كل ما يتقرر في مجلس السلطان وما قيل فيه من أحاديث يصل إلى ممثل فرنسا بطنجة، وينقله إلى الخارجية الفرنسية، ويأتي الرد قبل أن تبلغ الحكومة المغربية طلبها إلى الحكومة الفرنسية.**» (15)

وكان سقوط دولة المخزن نتيجة حتمية لعجزها عن تغيير نفسها وفساد الأجهزة التي كانت تقف عليها، وتفريطها في أرض المغرب وسيادته.



الوفد المغربي في مؤتمر الجزيرة يناير 1906

15 - بن منصور، أعلام المغرب العربي، م. س. ج1. ص 332

إنهيار الجيش المخزني وقيام المقاومة الشعبية

أقدمت القوات الفرنسية يوم 5 يوليوز 1830م على احتلال الجزائر وجعلت حدا للإحتلال التركي الذي دام أزيد من ثلاثة قرون. ورأى المغرب في الغزو عدوانا ضده. ولم يكن في وسع السلطان **مولاي عبد الرحمان** (1822 - 1859م) أن يتجاهل النداء الذي وجهه إليه سكان مدينة تلمسان مُعلنين له بيعتهم. وفي أكتوبر 1830م دخلت فرقة متكونة من خمسمائة جندي مغربي إلى تلمسان واستقرت فيها. [1]

واشتد التوتر بين المغرب وفرنسا في المناطق الحدودية، وفي عام 1832م اصطفت البواخر الحربية الفرنسية قُبالة مدينة طنجة وهددت بقصفها، واضطر السلطان إلى سحب قواته من الجزائر.

وواصلت فرنسا ضغطها وطلبت من السلطان أن يطرد **عبد القادر الجزائري** قائد المقاومة الجزائرية الذي وجد ملجأ في التراب المغربي[2] وتقدم الجيش الفرنسي لاحتلال بني يزناسن ومناطق أخرى على الحدود. وفي 6 غشت 1844م أطلقت باخرة فرنسية قنابلها على مدينة طنجة كمقدمة لمعركة واد يسلي التي شنتها القوات الغازية القادمة من الجزائر. وفي ظرف ساعة ألحقت الهزيمة بجيش السلطان، وكانت «**مصيبة عظيمة وفاجعة كبيرة لم تفجع الدولة الشريفة بمثلها.**» [3]

وجد الفرنسيون أمامهم جيشا ضعيفا وتنظيما مُتهافتا وعديم الإنضباط. ففي ساحة الحرب وقف **الأمير محمد** إبن السلطان **مولاي عبد الرحمان** بمظلته وشاراته، ولما رأى القنابل تتساقط بجانبه نزل عن جواده وغيَّر لباسه : فشا ع أن رئيس الجيش قُتل، فاندفع المجنَّدون من قبائل الشراردة وأنكاد إلى مركز القيادة ونهبوا ما بداخله من أموال.

---

1 - Capitaine L. Voinot, Oujda et l›Amalat (Maroc) publication de la société de géographie et d›Archéologie de la province d›Oran 1912, P. 595.

2 - Ibid, P. 314

3 - أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ج 9، ص 53 – دار الكتاب الدار البيضاء، 1956

وفي 15 غشت 1844م أطلقت البواخر الفرنسية قنابلها على مدينة الصويرة واحتل الجنود جزيرة صغيرة على مقربة من الشاطئ مما تسبب في قتلى وجرحى وفوضى إستغلتها قبائل الشياظمة «**ودخلوا المدينة وأخذوا في النهب والسلب، وشاركهم غَيرُهم من غوغاء البلد، وعمَّت اللصوصية وانتهكت المحارم واتسع الخرق وعظمَ الفتق.**» (4)

وكلفت الحكومة الفرنسية **الجنرال ليوطي** (1854 – 1934م) بإتمام عمليات الغزو. وكان تلميذا **للماريشال كاليني** الذي علمه كيفية المزج بين الإغراء المادي والعنف الدموي في إخضاع الشعوب كما فعلا معا في **التونكان** بشمال الفيتنام وفي مدغشقر في نهاية القرن التاسع عشر. ولهذا احتل في شهر أكتوبر 1903 بشار، وفي يوليوز 1904 سيطر على عين بني مطهر وتابع توغله داخل الأراضي المغربية مستعملا الحقائب المالية لشراء الخونة، وقنابل المدافع لإبادة المقاومين.

وبموازاة مع التدخل العسكري، أشعل المستعمرون نار الفتنة بدعمهم تمرد **بوحمارة** في 1902. وإسمه الحقيقي **الجيلالي بن عبد السلام اليوسفي الزرهوني**، وكان كاتبا في القصر الملكي، وتلقى تدريبا عسكريا على يد الضابط الفرنسي **(طوماس)** عضو البعثة الفرنسية المكلفة بتكوين أطر الجيش المخزني. (5)


بوحمارة لا تفارقه السبحة

وبسبب معارضته لتنصيب السلطان **مولاي عبد العزيز** ألقي عليه القبض، وبعد مغادرته السجن سافر إلى الجزائر ومنها إنتقل إلى شمال المغرب وقام بتوزيع أموال طائلة، واستمال إليه رؤساء قبائل الحياينة وغياثة والبرانس، وتمكن من إلحاق هزائم ساحقة ومتكررة بالجيش المخزني

4 – محمد سعيد الصديقي، إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة، ج1 ص 68، الدار البيضاء 1961

5 –Documents Diplomatiques français. Affaires marocaines, T. 1, P. 35, Paris, 1905

وسيطر على تازة ودخل مدينة وجدة. وقدرت الخسائر البشرية في سبع سنوات من الحروب بحوالي مائة ألف، أكثر من نصفهم من قوات المخزن.[6]

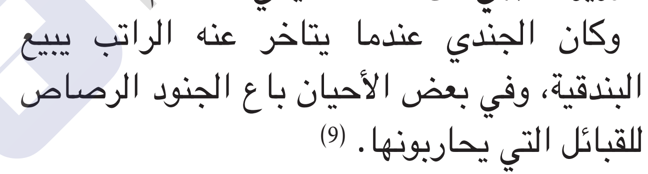
وساعدت على انتصارات **بوحمارة** حالة الفساد المستشري في قيادة الجيش. فقد كان رؤساؤه يصرحون بأعداد خيالية من الجنود ويتقاضون أجرتهم.

ففي سنة 1904 اكتشف المكلف بمراقبة الجيش بمدينة وجدة أن ألفا ومائتين وأربعين جنديا في فرقة **بن كروم**، وثلاثة آلاف في فرقة **البغدادي** لا وجود لهم وهي أرقام كاذبة. وحينما أراد إلغاء تلك النفقات لم يسانده **المخزن** خوفا من تمرد رؤساء الجيش.[7]

وحينما كان أمناء المالية أثناء تمرد **بوحمارة** يقومون بإحصاء عدد الجنود ويقدرون لهم النفقات، أمر **المهدي المنبهي** وزير الحربية جنود فرقته أن يفتحوا ثقبا في سور قصبة الشراردة مكان الإستعراض. فكانوا يخرجون ثم يعودون ليمروا من ذلك الثقب ثلاث أو أربع مرات أمام الأمناء الذين يحصون الألف أربعة آلاف، والعشرة آلاف أربعين ألفا، وتُسلَّم النفقات والرواتب إلى الوزير **المنبهي** عن العدد الخيالي المُضخَّم.[8]



المهدي المنبهي وزير الحربية



وكان الجندي عندما يتاخر عنه الراتب يبيع البندقية، وفي بعض الأحيان باع الجنود الرصاص للقبائل التي يحاربونها.[9]

حدث كل ذلك في الوقت الذي كان فيه الجنود يُنظمون مظاهرات سلمية أمام السفارات والقنصليات الأجنبية يطالبونها بالتدخل لدى المخزن

---

6 – الحاج العربي الورياشي، الكشف والبيان في سيرة بطل الريف الأول محمد أمزيان، المطبعة المهدية، تطوان، 1976، ص 69

7 – Abdallah LAROUI, les origines sociales et culturelles du nationa-lisme marocain, P, 342, Paris, 1977

8 – عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، ج1 ص 318 – الرباط 1971

9 – المختار السوسي، المعسول، ج20، ص 51، الدار البيضاء 1961.

لتجديد كسوة أو إرسال مئونة أو صرف راتب. [10]

لم يكن **بوحمارة** يجهل طبيعة قادة الجيش الذين يسرقون المال العام ويفرون من المعركة، وبقي سيد الميدان طيلة سنوات الإقتتال إلى أن طرأ تغيير على السياسة الفرنسية، وتدخل الجيش الفرنسي لصالح المخزن واعتقل **بوحمارة** يوم 22 غشت 1909 **بزاوية مولاي عمران** في قبيلة مستارة. وأظهر شجاعة كبيرة أمام السلطان **عبد الحفيظ** «**ونعته هو ووزراءه بأقبح ما يعرف فيهم من عيوب بدنية وخلقية.**» [11]

إنهار جيش المخزن وخاضت الجماهير الفقيرة غمار حرب ضروس بأسلحة بدائية ضد عدو إمبريالي شرس متفوق بالتسليح والتنظيم. وفي غياب القيادة الواعية والإفتقار إلى وحدة الصف، هبَّ السكان للدفا ع عن أرضهم التي اغتصبها منهم المستوطنون الفرنسيون، وفي بعض الحالات بتواطئ مع موظفي حكومة المخزن المنهارة.

ففي يوم 31 مايو 1903 إستقبل باشا مدينة فكيك **عبد السلام الودي** الجيش الفرنسي، فنهض المواطنون لمقاومته، ونشبت المعركة بين سكان زناكَة والودغيريين وبين القوات الغازية. وقصف المعتدون القرى بالمدافع وسقط عشرات القتلى والجرحى، وبقي الباشا يتفرج. [12]

وفي يوم 26 مارس 1907 تم إحتلال مدينة وجدة، وتقدم عامل المدينة **بن كروم** للسلام على ضباط الجيش الفرنسي، ولم يطلق الجيش المخزني ولا رصاصة واحدة.

---

10 – عبد الوهاب بن منصور، أعلام، م. س. ص 39

11 – ن.م. ص 384

12 – قدور الورطاسي، معالم من تاريخ وجدة، ص 53، الرباط 1972.



الجنرال ليوطي دخل وجدة يوم 5 غشت 1907 ولم يطلق جيش المخزن رصاصة واحدة

وفي 7 غشت 1907 قصفت البواخر الحربية الفرنسية والإسبانية مدينة الدار البيضاء بدعوى أن المغاربة قتلوا عمالا أوربيين كانوا يشيِّدون خطا حديديا في الميناء. ووصف ضابط فرنسي ما حدث بقوله: **«إن المدينة تحولت إلى خراب وتصاعدت في سمائها الصيفي روائح الجثث المتعفنة من جرَّاء القصف المدفعي لبواخرنا.»** (13)

وكتب الضابط (مانجان) إلى ممثل فرنسا بطنجة (سانت أولير) يقول: **«إن الجنود المكلفين بحراسة المدينة إرتكبوا أسوأ التجاوزات ولوَّثوا سمعة العلم الفرنسي. فقد كانوا ينهبون ويسرقون.»** (14)



الخراب والموت الذي تعرضت له الدارالبيضاء سنة 1907

13 – Wagner, carnet de Route d›un légionnaire au Maroc 1907 – 1908, Casablanca, 1938, P. 30.

14 – Georges Oved, la gauche française et le nationalisme marocain, T.I. P. 62, Paris, 1984

ولم يكن المخزن يرى في احتلال الدار البيضاء سوى نتيجة «**لطيش الرُّعاع**» الذين هاجموا دار القنصل الفرنسي، فاضطر الفرنسيون إلى «**إنزال بعض عسكرهم**» من مركب حربي «**فتعرَّض لهم بعض أهل الطيش بالضرب وجرحوا منهم كثيرا فأدى ذلك إلى ضرب المدينة بالكور...**» [15]

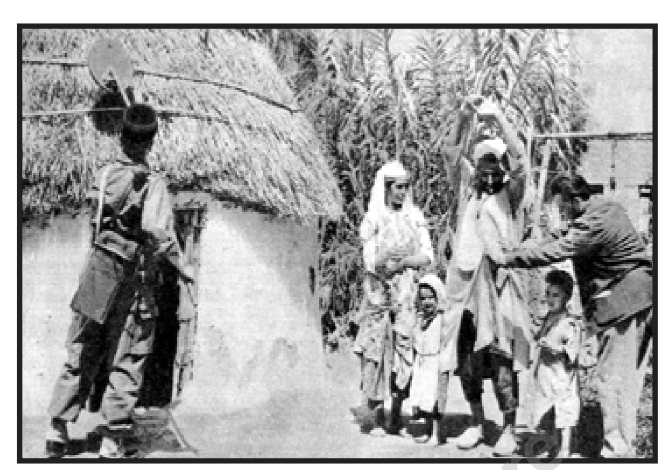
كان إحتلال الدار البيضاء يدخل في مخطط إستراتيجي واقتصادي. ففي سنة 1907 رست بالميناء 680 باخرة، وقُدِّرت تجارتُه حينئذ بعشرة ملايين فرنك. [16]

بالإضافة إلى أهمية الميناء كانت منطقة الشاوية مخزنا كبيرا للمنتوجات الزراعية وتربية الماشية، وتنتج أجود أنواع الشعير الذي كانت تحتاجه مصانع الجعة (**البيرة**) في فرنسا والبلدان الأوربية.

وتوالى نزول الجنود الفرنسيين بالمدينة، واندفع أربعة عشر ألفا منهم لغزو الشاوية التي توجد بها ثلاث عشرة قبيلة. وقام القياد وموظفو المخزن بتقديم المعلومات لضباط الإستعمار، بينما انتصبت كل قبيلة للدفاع عن أرضها منفردة، ورغم المقاومة الجريئة التي أَبْدَتها فإن القوات الغازية المتفوقة بالعدد والسلاح طبّقت أسلوبا همجيًّا وأحرقت كلَّ قرية شارك سكانها في المقاومة. وفي 15 مارس 1908 طوَّق الجنرال (**داماد**) مئات النساء والأطفال والشيوخ بالقرب من دار **ولد فاطمة** بناحية سطات، وكانوا يحيطون بمقر رجل الدين **بونوالة** يشكون حالهم،إذا بالمدافع تحصد أرواحهم والجنود الفرنسيون يقتلون الجرحى بالحراب.

15 – أنظر رسالة السلطان مولاي عبد العزيز إلى قياد الشاوية وأعيانها بتاريخ 29 جمادى الثانية عام 1325هـ – في : عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج1 – ص 389، الرباط 1931.

16 – Bulletin de la chambre de commerce et d'industrie de Casa-blanca, n° 280, Janvier 1949, P. 11.



الصغار والكبار خاضعون للتفتيش

وقف الزعيم الإشتراكي الفرنسي (جان جوريس 1859 - 1914) أمام البرلمان الفرنسي مُستنكرًا الجريمة وناعتا مرتكبيها بالحماقة والجبن ووصف تجمُّع المغاربة حول ضريح «بونوالة» بالسلمي والعادي «تماما كما كانت الحشود الفرنسية في القرون الوسطى تبحث عن ملجأ أو حماية بالقرب من القديس سان مارتان.» وكتبت صحيفة (لومانيتي) التي كان مديرا لها : «ألف وخمسمائة جثة لمغاربة ولافرنسي واحد من بينهم. كيف يمكن تفسير هذا إذا علمنا كم هي شجاعة وجرأة المغاربة. إن هذه ليست معركة، إنها مذبحة استهدف لها سكان يَودّون العيش في سلام.» (17)

وكتب معمر فرنسي رسالة إلى البرلماني الفرنسي (إيمانويل بروس) قال فيها : «لقد تَمَّ يوم 15 مارس 1908 قتل الجميع نساءً وأطفالا. إن الدرس كان ضروريا.» (18)

17 – L'Humanité, 16 Avril 1908, et Oved, op. cit P. 342.

18 – Ch. A. Julien, Le Maroc face... op. cit. P. 77. Réf. 35.



اعتقال ثلاثة مكافحين ضد الغزو الفرنسي

وفي يوم 6 يونيو 1911 هجم الجيش الفرنسي على قرية كبيرة تابعة لآيت عياش من بني مطير، وأطلق رصاص البنادق الرشاشة على النساء والأطفال الذين كانوا فارين ومعهم بعض المواشي، ثم أحرق القرية عن آخرها.[19]

وفي نفس التاريخ أقدم الجنرال (مواني) على قتل العشرات من المدنيين وأحرق جميع قرى مكناسة ونهب مواشيهم.[20] وقام الجنرال (كورو) بقتل جميع من وجدهم في بني أعمار وأحرق قراهم وصادر مواشيهم.



مغربيان أعدمهما الجيش الفرنسي بالدارالبيضاء سنة 1907

وكتب ضابط فرنسي في بداية الغزو الفرنسي : «لكي تقهر عدوا عنيدا يجب توجيه الضربة إلى مصالحه الحيوية بقوة خارقة.

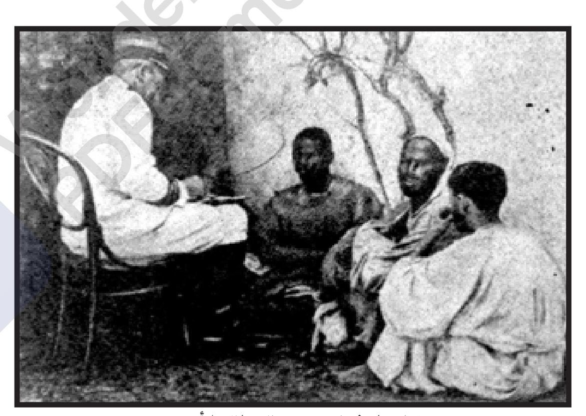
19 – Colonel Paul Azan, L>expédition de Fez, Paris, 1924 P. 148

20 – Ibid. P. 127

ويجب إحراق محصولاته بدون شفقة، ونهب حيواناته وتجويعه. حينذاك فقط سيركع تحت الأقدام.»[21]

واختار الضابط (لافييت) رئيس قسم الشؤون الأهلية في سكورة أسلوبا آخر للقتل حيث كان يحضر قوالب السكر ويحشوها بالمتفجرات ويرسلها على ظهور الحمير إلى القرى التي تشارك في المقاومة. وحينما يعثر عليها المواطنون يحملونها إلى خيامهم، وعندما يهمون بكسرها لتحضير الشاي يقضي إنفجارها على الجميع.[22]

ودخل فيلق عسكري يوم 21 مارس 1911 إلى العاصمة فاس ولم يطلق جنود السلطان رصاصة واحدة، ثم جاء دور مكناس والرباط. وبلغ عدد القوات الفرنسية في المناطق الواقعة على المحيط الأطلسي وفي الحدود مع الجزائر حوالي أربعين ألف جندي.[23]



ضابط فرنسي يستنطق الأسرى

وفي يوم 31 مارس 1912 وقَّعَ **السلطان عبد الحفيظ** على «**معاهدة الحماية**» وفقد المغرب إستقلاله الوطني. وبعد أربعة أشهر عزلوه عن العرش وأجلسوا مكانه أخاه **مولاي يوسف**. وتعامل المدربون العسكريون الفرنسيون مع جنود المخزن بالعجرفة والعنف، وأدى ذلك إلى عصيان بعض الجنود يوم 17 أبريل وقتلوا ثمانين فرنسيا.[24]

---

21 – Capitaine Ceccaldi, Au pays de la Poudre, Le Fournier, Paris, 1914, P 59

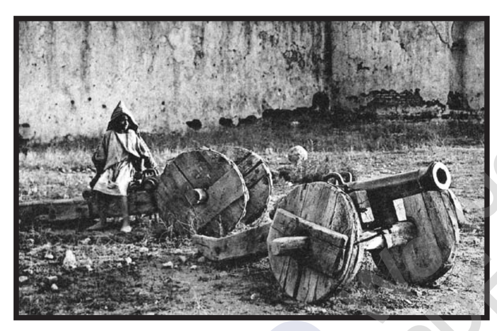
22 – Jean Vidal, Le Maroc héroïque, Paris, 1938, P. 134

23 – Colonel Paul Azan, l'expedition, op. cit. P. 299

24 – Général Deschamps, Souvenirs des Premiers Temps du Maroc

معركة سيدي بوعثمان

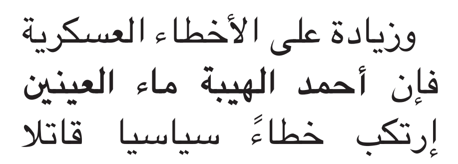
دارت يوم 6 سبتمبر 1912 بالقرب من مراكش معركة **سيدي بوعثمان** بين المكافحين القادمين من الصحراء المغربية بقيادة **أحمد الهيبة ماء العينين** وبين الجيش الفرنسي، وكان على رأس **المجاهدين محمد مصطفى** (**مربيه ربّه**). ولم يكن بحوزتهم سوى بنادق ذات الطلقة الواحدة، وأربعة مدافع من النوع القديم.



وفي مواجهتهم وقف خمسة آلاف جندي فرنسي بقيادة الكولونيل (مانجان). ويقول ضابط مشارك في المعركة أنه خلال ساعتين سقط ألفان من المغاربة قتلى، وكان عددهم حوالي إثني عشر ألفا أغلبهم يحملون السيوف، وكانت المدافع الفرنسية تطلق نيرانها على بعد آلاف الأمتار،وكان أكبر خطأ إرتكبه المغاربة هو وقوفهم صفا متراصا أمام طلقات المدافع.[25]



المدفعية الثقيلة حسمت المعركة



وزيادة على الأخطاء العسكرية فإن **أحمد الهيبة ماء العينين** إرتكب خطأً سياسيا قاتلا

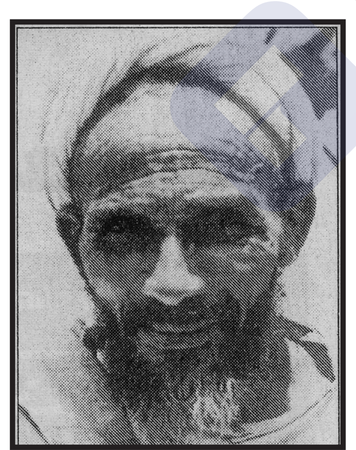
·français 11912–1925, Paris, 1935, P.35

Capitaine Cornet, à la conquête du Maroc Sud, avec la colonne – 25
Mangin 1912–1913, Paris, 1914, P.42

حينما هادن عملاء الإستعمار الإقطاعيين : **المدني الكلاوي والتهامي الكلاوي والطيب الكندافي** وعبد **المالك المتوكي والقائد العيادي** والقائد **أنفلوس والقائد حيدة بن مويس** وغيرهم. فقد أحاطوا به في مراكش وتملقوه بتقديم المال والهدايا، وكانوا يبلغون أخباره وتحركاته إلى الجنرال الفرنسي. وحينما انهزم جيشه في **سيدي بوعثمان** هجموا على من بقي معه وقتلوا عددا من أنصاره واعتقلوا خليفته **عبد السلام البربوشي**. وبصعوبة تمكن **الهيبة** من الوصول إلى تارودانت.(26)

ملحمة قرية لَهْرِي

في قرية لهري بناحية مدينة خنيفرة تكبد الجيش الفرنسي يوم 13 نونبر 1914 هزيمة شنعاء. فقد شن الكولونيل **(لافردير)** هجوما ليليًا مباغتا على قرية لهري، وقتل العشرات وهم في فراش النوم، إلا أن رئيس المقاومة **موحى أوحمو الزياني (1877-1921)** تمكن من النجاة.



موحى أوحمو الزياني

ولما بدأت القوات الفرنسية المتكونة من ألف وثلاثمائة جندي وثلاثة وأربعين ضابطا الإنسحاب من تلك المنطقة الجبلية الوعرة، وجدت نفسها مطوقة بالفرسان المنتمين لمجموعة من القبائل الذين وجَّهوا إليها ضربات مميتة من الخلف، وشلوا مفعول مدافعها التي كانت في المقدمة، وكانوا يبحثون عن الإشتباك مع الجنود جسدا لجسد مستعملين السلاح الأبيض، وهو ما

Simon Henri, un officier d›Afrique, Verlet–Hanus, Paris, 1930, P. 244 – 26
(فيرلي هانوس من أخطر ضباط الإستعمار كان متصلا بالإقطاعيين الذين غدروا ماء العينين، ولا يزال طريق يحمل إسمه في شارع الزيراوي بالدار البيضاء).

حطَّم معنويات الفرنسيين وخلق الشروط الضرورية لإلحاق الهزيمة بجيشهم الجرار.

وخلال أربع ساعات من القتال سقط ستمائة وتسعين جنديا (690)، وثلاثة وأربعين ضابطا (43) قتلى وعلى رأسهم الكولونيل (**لافيردير**). وأصيب بجراح حوالي مائتي جندي (200) وخمسة ضباط.[27]

وظلت المقاومة مشتعلة في الأطلس المتوسط سبع سنوات أخرى إلى أن استشهد قائدها واقفا وبندقيته فارغة من الرصاص وإلى جانبه إبنته **إيطو** مدرجة بالدماء.[28]



مكافح يراقب تحركات العدو

وفي أكتوبر 1917 ألحق المقاومون بزعامة **موحى نيفروتن السملالي** في تيغمارت بتافيلالت خسائر فادحة بالقوات الفرنسية، وسحقوا فرقة كاملة بجنودها وضباطها. وفي منطقة مسكي قتل العشرات من الجنود وأصيب الجنرال (**بويميرو**) بجروح خطيرة يوم 14 يناير 1919، وهو على رأس جنوده في إتجاه واد زيز، ونُقِل إلى فرنسا حيث قضى نحبه.[29]

---

27 – L>yautey l>Africain, Textes et lettres du Maréchal L>yautey, présentés par Pierre L>yautey, T.II, P. 134, Paris, 1957.

28 – أنظر : محمد العلمي، حركة تحرير الأطلس، الدار البيضاء 1979.

29 – A. Martinot, les délires de l>impérialisme français et les folies marocaines. E. Figuier, Paris 1925, P. 95.

معـــارك الأطلـــس الكبيـــر

وفي الأطلس الكبير خاض المقاومون **بقيادة البطل عسو أوباسلام** من يناير إلى آخر مارس 1933 أشد المعارك ضراوةً وألحقوا بجيش الإحتلال في جبل **بوكافر** خسائر فادحة رغم استخدامه المجندين المغاربة دروعا بشرية في الصفوف الأمامية للتقليل من خسائر جنوده. ولم يحقق جنرالات فرنسا **(كاترو، هوري، جيرو)** تفوقهم إلا باستعمال أربع وأربعين طائرة وعشرات المدافع الثقيلة وحوالي تسعين ألف جندي.[30]



في الوسط البطل عسو أوباسلام مع بعض رجال أيت عطا

واستطاع أقل من ثلاثة آلاف مكافح القضاء على سبعة وثلاثين ضابطا، وثلاثة آلاف جندي من بينهم ستمائة من المرتزقة المغاربة. واستشهد أكثر من سبعمائة مقاوم، وسقط تحت قنابل الطائرات والمدفعية ما يقارب أربعة آلاف من النساء والأطفال والشيوخ، واستسلم الأحياء البالغ عددهم ألفا وتسعمائة شخص بسبب الحصار وانعدام التغذية والماء ونفاذ الذخيرة الحربية.

Les Africains T.V, Ed. Jeune Afrique, Paris 1977, P. P. 79 – 105 – 30

خسائر الجيش الفرنسي
الجنــــود : 23.000 قتيل
الضبــــاط : 800 قتيل

ولم يكن البكاء والحزن من نصيب الأمهات المغربيات وحدهن، فقد سالت أيضا دموع النساء الفرنسيات على فقدان أبنائهن وأزواجهن وإخوانهن الذين ساقتهم الرأسمالية الإستعمارية إلى الموت في سهول وجبال المغرب. وقد أوردت إحصائية رسمية أن عدد الجنود الفرنسيين المقتولين بمختلف جهات المغرب من عام 1907 إلى 1932 بلغ ثلاثة وعشرين ألف (23.000) جندي وثمانمائة (800) ضابط.[31] وقدَّر كاتب فرنسي معاصر لتلك الأحداث عدد القتلى الفرنسيين بثمانية وعشرين ألفا (28.000) جندي وتسعمائة (900) ضابط.[32]

وجاء في المنشورات الرسمية لوزارة الدفاع الفرنسية أن الجيش الفرنسي خاض خمسمائة وثمانين معركة (580) منذ بداية الغزو في المغرب إلى نهاية 1934.[33]

وكما رأينا في الصفحات السابقة **فإن الجماهير الشعبية قاومت الإستعمار وحدها طيلة سبع وعشرين سنة بداية من 1907 بالدار البيضاء وانتهاء في آيت سوردال بمنطقة سوس عام 1934[34]. لكن المقاومة بشكل عام كانت مُبعثرة وقواتِها مشتتة وقِياداتها متعددة ومنعزلة عن بعضها، وطبعَ نشاطَها النزعة القَبَلِيّةُ والجهوية، وحالت الإنقسامات والأحقاد دون العمل الموحد إضافة إلى الرؤسَاء الذين كانوا يغيرون مواقعهم حفاظا على مصالحهم، وكثيرا ما دفعوا قباءلهم إلى الإستسلام وقادوها إلى المشاركة في الحرب الإستعمارية ضد القبائل التي كانت تواصل المقاومة.**

أما المستعمرون فقد خاضوا الحرب على ثلاث جبهات عسكرية بأسلحة

31 – – الأرقام أعلنتها جمعية قدماء الجنود الفرنسيين بالمغرب أثناء احتفال أقيم في كنيسة (لانفليد) بباريس يوم 11 أبريل 1932 ترحما على الجنود القتلى

32 – Roger Le Tourneau, Fez avant le protectorat, Casablanca 1949, P. 46

33 – أنظر لائحة بأسماء المعارك ومواقعها وتواريخها في :
Bulletin du comité de l'Afrique française n° 8, P.P. 128-135, Paris, 1936

34 – Jean d'Esme, ce Maroc que nous avons fait, Paris 1955, P. 238

حديثة واقتصادية بتجويع المناطق الثائرة وإحراق المحاصيل الزراعية وقتل المواشي، وسياسية باستمالة الأعيان والرؤساء وشيوخ الزوايا ورجال الدين الذين كانوا يطلقون على المجاهدين إسم العُصاة والمتمردين على سلطة أمير المؤمنين.



النساء رهن الإعتقال



الجنود الفرنسيون يعتدون على المغربيات

الفصل السادس

حرب التحرير في الريف

1926 - 1921

النخبة الثورية قادت الجماهير إلى الإنتصار

جسَّدت الثورة التحريرية في الريف خلال العشرينات من القرن الماضي منارةً شامخةً في تاريخ المقاومة الوطنية للإستعمار الإسباني والفرنسي. ولا تزال مآثرها النضالية تلف الذاكرة الشعبية بإكليل المجد والفَخَار.

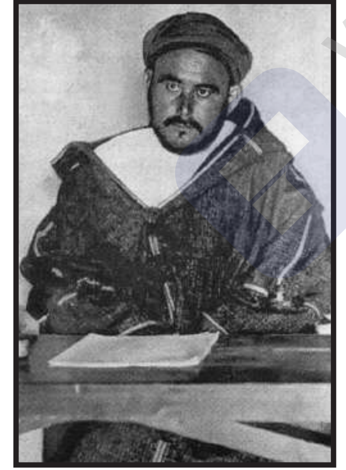
لقد طلع صوت الأحرار من جبال الريف ينادي للإستقلال، وتردد صداه في بلدان المغرب الكبير ليصل إلى أسماع المكافحين من أجل الحرية في العراق وفلسطين وسوريا وأندونوسيا والهند والصين والبرازيل والبيرو والأرجنتين. وسطعت شمس التضامن الإنساني مع كفاح المغاربة على شكل مظاهرات في فرنسا وروسيا الإشتراكية وفلسطين.

والجدير بالملاحظة أن ما كتبه المغاربة والعرب عن هذه المَلْحَمة التاريخية لا يمثل إلا أقل من واحد بالمائة من مجموع المُصنَّفات التي أنجزها عنها المؤلفون الأجانب بمختلف اللغات. ونظرا لصعوبة الإحاطة بكل جوانب تلك الظاهرة الثورية في عصر الإمبريالية، سنكتفي هنا بالتوقف قليلا عند أهم محطاتها.

القائد في مقدمة الثورة من البداية إلى النهاية :

إزداد محمد بن عبد الكريم الخطابي (1882 – 1963) في قرية أجدير وتلقى التعليم الأولي على يد والده عبد الكريم بن محمد الورياغلي الخطابي قاضي القبيلة. وفي سنة 1905 إلتحق بجامعة القرويين بفاس لتعميق معلوماته في اللغة والعلوم الشرعية. ومن سنة 1907 إلى سنة 1915 عمل محررا في

الملحق العربي لجريدة «**تلغراما ديل ريف**» في مدينة **مليلية** المحتلة، ثم عُيّن قاضيا على نفس المدينة، وتعلم اللغة الإسبانية وتعرّف على عقلية وتقاليد الإسبان، واطّلع على مخططات الإدارة الإستعمارية تجاه المناطق التي تحتلها في شمال المغرب. وفي يوم 6 شتنبر 1916 ألقي عليه القبض بتهمة التعاطف مع **تركيا** في حربها ضد البلدان الأوربية. وتم تقديمه إلى المحاكمة في مايو 1917، وأدلى بتصريحات ضد الإستعمار الفرنسي «**وكان شديد اللهجة ضد الإمبريالية الأوربية بشكل عام.**»[1] وبرأت المحكمة ساحته، ومكث بعض الوقت في أجدير بالقرب من والديه ثم عاد لممارسة القضاء في مليلية. وفي نفس الوقت إنتقل أخوه **أمحمد الخطابي** إلى مدريد لمتابعة دراسته في المدرسة العليا للمعادن. وفي عام 1920 توفي الوالد وقيل أنه مات مسموما، وبقي **عبد الكريم** في قريته يتابع مجريات الأحداث وتحركات الإحتلال الإسباني في مناطق الريف. وفي يوم 10 مايو 1921 عقد رؤساء قبيلة بني ورياغل في المكان المسمى «**القامة**» إجتماعا أعلنوا فيه **محمد بن عبد الكريم** رئيسا حربيا.



عبدالكريم الخطابي المثقف الثوري

لم يكن عدد سكان الريف حسب إحصاء سنة 1927 يتجاوز سبعمائة ألف نسمة، ينتمون إلى 66 قبيلة تقطن سلسلة جبال الريف ويمارسون تربية الماشية خاصة الأغنام والمعز، ويشتغلون بالزراعة وإنتاج الفواكه.

كان على **عبد الكريم** أن يقوم بعمل شاق من أجل جمع شمل القبائل المتناحرة، وأوقف العمل بالعُرف وجعل مكانه القانون الشرعي، واستطاع أن يوحد القبائل الناطقة بالأمازيغية، وهي الأكثرية، مع القبائل التي تتكلم اللهجة الدارجة المغربية مثل بني بوفراح، متيفة، مسطاسة، بني يطفت، بني جميل إلخ.

---

1 - Miguel Martin, El colonialismo/espagnol en Marruecos, Ruedo iberico, Paris, 1973

ترجمة عبد العزيز الودي، الإستعمار الإسباني بالمغرب، منشورات التل، الرباط 1988.

هزيمة الجيش الإسباني في أنوال

واستشرفت **إسبانيا** خطورة وحدة القبائل على وجودها، فاستبقت الأحداث وسيطر جيشها في بداية يونيو 1921 على جبل **ادهارأبران**. وقام المكافحون بهجوم مضاد وحرروا الموقع وخلف الإسبان وراءهم 150 قتيلا وأربعة مدافع خفيفة و 300 بندقية و 60 ألف رصاصة إضافة إلى الخيام والأدوية والمواد الغذائية. وتفيد الوثائق الإسبانية أن الحامية كانت تتكون من 300 جندي لم ينج منهم سوى 70. [2] وسقط من المكافحين أربعة شهداء.[3] وتكبد الجيش الإسباني هزيمة ثانية في **سيدي إبراهيم** حيث قتل معظم جنود الثكنة العسكرية وفر الباقون تاركين في عين المكان أسلحتهم. ولم يبق هناك أي عائق يفصل **أمزاورو** مركز قيادة الثورة عن معسكر **أنوال** الذي تتحصن فيه القيادة العسكرية الإسبانية. وفي يوم 16 يونيو 1921 هاجمت فرقة من المكافحين قافلة جنود خرجت من ثكنة **بومجان** لسقي الماء. وجاءت قوات من أنوال لنجدتها فتكبدت خسائر بلغت ثلاثمائة قتيل وسقط 17 مكافحا. وأمر **عبد الكريم** قواته بالإنسحاب لأن الأرض غير ملائمة وجيش العدو ضخم. وكانت «**قوات عبد الكريم تخضع لنظام عجيب وامتثال للأوامر لم نعهده في قبائل الريف...**» [4]

وجاء دور **إيغريبن** وهو موقع إستراتيجي يبعد عن منابع المياه بحوالي أربع كيلومترات. وحوله أقام **عبد الكريم** خمسة وعشرين خندقا يتسع كل واحد لخمسة أفراد. وأحاط **أنوال وأزوما** بطوق محكم لمنع القوات من الخروج لتقديم المساعدة للمحاصرين الذين انقطع عنهم الماء والتغذية. وكانت كل محاولة لفك الحصار تسفر عن سقوط العشرات

---

2 – من تقرير الجنرال سيلفيستري بتاريخ 8 يونيو 1921، عن بن عزوز حكيم، معركة أنوال 21 يوليوز 1921، مطبعة الساحل، الرباط 1981، ص 49.

3 – أسماؤهم في : محمد عمر القاضي، أسد الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي، مطبعة ديسبريس تطوان 1978 ص 114.

4 – Casado Escudero, luis, Iguerriben, Madrid 1923, P. 78

من الجنود مما يضطرهم إلى العودة إلى أنوال. وقامت فرقة متكونة من 187 جنديا بهجوم كبير إلا أن الذين تمكنوا من الوصول إلى إيغريبن لا يتعدى عددهم الثلاثين ولم يكن ما يحملونه معهم من زاد وعُدَّة كافيا لحاجيات المحاصرين ولا للقادمين الذين أصبحوا بدورهم محاصرين. [5]

وزاد **عبد الكريم** من تكثيف الهجوم على مركز **إيغريبن** وقامت قواته ليلة 18 يوليوز بمحاولتين لاقتحامه «**وكنا نسمع العدو يشتمنا بالإسبانية ويعرض علينا الماء للشرب**»[6] وفي منتصف الليل أتى مبعوث من **عبد الكريم** يحمل رسالة إلى قائد المركز الكومندار **بينيطيس** يدعوه إلى الإستسلام.[7] ويروي **عمر القاضي** أحد المشاركين في المعركة أن مجندين مغربيين في الجيش الإسباني فرا من مركز إيغريبن وأبلغا **عبد الكريم** بوجود الجنرال **سيلفيستري** في أنوال التي قدم إليها من مليلية وأنه أبرق إلى قائد إيغريبن بأن الهجوم سيقع يوم 21 يوليوز.[8] واستقدم **عبد الكريم** قوات أخرى ووضع أحسن المقاتلين في الصفوف الأمامية بعد أن حفروا الخنادق واختاروا المسالك التي تصلح للإتصال مع بعضهم البعض.[9] وحينما خرجت قافلة من أنوال تحمل المئونة يحرسها ثلاثة آلاف وخمسمائة جندي، أحاط بهم المكافحون من كل جانب وأمطروهم بوابل من الرصاص، ولما يئسوا من الوصول إلى المركز مع تزايد عدد ضحاياهم أمر الجنرال **سيلفيستري** المحاصرين بالإنسحاب من إيغريبن، وبالمقابل أمر **عبد الكريم** المكافحين بأن لا يتركوهم ينسحبون، وألحقوا بهم خسائر فادحة وأسروا عددا آخر ومن بينهم الملازم **كاسادو** الذي نشر كتابه «**إيغريبن**» بعد إطلاق سراحه.

---

5 – Ibid, P. 137

6 – Ibid, P. 164

7 – Ibid, P. 191

8 – عمر القاضي، أسد الريف، م. س. ص 120

9 – أحمد البوعياشي، حرب التحرير الريفية ومراحل النضال، دار الأمل، طنجة 1975، ج2 ص 93.

كان عدد المنسحبين حوالي ثلاثمائة لم يصل منهم إلى أنوال إلا 11 جنديا.[10] ومنذ الفاتح من يوليوز إلى 21 منه بلغت خسائر الجيش الإسباني في إيغريبن وحدها 572 جنديا و 11 ضابطا من مختلف الرتب، وسقط في صفوف المكافحين خمسون قتيلا.[11]

إتخذ الجنرال **سيلفيستري** قرارا بإخلاء أنوال في وقت كان **عبد الكريم** قد أحكم الطوق حول كل الطرق المؤدية إليه. وما أن بدأ الإنسحاب يوم 22 يوليوز 1921 حتى تعرضت القافلة إلى هجوم مباغث فاضطرت إلى التقهقر مما جعلها تصطدم بالقافلة الثانية التي تتبعها وارتطمت بها القافلة الثالثة التي تحمل الرشاشات وتجر المدافع، وعمت الفوضى الصفوف وأصبح عدد الجنود المتساقطين على الأرض أكثر من الواقفين، ودقت ساعة النهاية لقيادة **سيلفيستري** المُتهور. فقد انتفضت القبائل التي كانت تحارب بجانب القوات الإسبانية ضد رؤسائها والتحقت بالثورة، وهاجمت التكنات العسكرية الموجودة بأراضيها. وتحولت كل الأراضي الموجودة خارج مدينة مليلية إلى ميادين للمعارك بين سكان القبائل وبقايا الجيش الإسباني المنهزم.[12] كانت هزيمة أنوال لا تختلف في شيء عما وقع في أدهار أبران وإيغريبن، فهي ثلاثة صور لمأساة واحدة تجسَّدت في انهيار قيادة مليلية العسكرية الذي كلف إسبانيا أودية من الدم ومئات الملايين من البسيطات.[13]

غداة سقوط أنوال جرت من 22 يوليوز إلى 9 غشت 1921 مئات المعارك أدت إلى إستسلام 185 مركزا عسكريا إسبانيا، وأغلب المواجهات المسلحة قامت بها القبائل وحدها بشكل تلقائي.[14]

---

10 – حكيم، معركة أنوال، م. س. ص 98.

11 – ن. م. ص 98.

12 – القاضي، أسد الريف، م. س. ص 122.

13 – حكيم، معركة أنوال، ص 106

14 – ن. م. أورد من الصفحة 123 إلى 152 أسماء المراكز مع القتلى والأسرى الإسبان نقلا عن مصادر إسبانية.



المكافحون في طريقهم الى ميدان المعركة

كان الجيش الإسباني في مختلف مناطق الريف يتكون من 25.790 جنديا من بينهم 5.098 مرتزقا مغربيا، يضاف إليهم مجندون يقودهم القياد الموالون لإسبانيا، وبلغ عدد الضباط 765 ضابطا وجنرالان و 109 برتبة كولونيل. وكان **عبد الكريم** يقود ألف مكافح نظامي وآلاف المتطوعين من القبائل.(15)



الجنـرال سيلفيسـتري

ولقي قائد الجيش الإسباني الجنرال **سيلفيستري** حتفه ومعه الضابط موراليس صديق **عبد الكريم** في مليلية ونجا الجنرال **نافارو** بفضل حماية أعيان القبيلة له بعد لجوئه إلى جبل عروي بينما قضت القبائل على جنوده البالغ عددهم 1.800 جندي.(16) ولم يتمكن **عبد الكريم** من تحديد المسؤولية في تلك المذبحة «**لأن النظام قد إختل وأصبح كل واحد مُستبداً برأيه.**»(17)

15 – ن. م. ص 166.

16 – Vincent Monteil, La guerre révolutionnaire P. 25 in Abd el-krim et la République du Rif, acte du colloque interenational d'études historiques 18-20 janvier 1973, F. Maspero, Paris, 1976

17 –القاضي، أسد الريف ص 124

الخسائر في معركة أنوال

	المغاربة	الإسبان
القتلى	500	19.000
الجرحى	600	4.300
الأسرى	38	570
عدد الجنود	2.000	25.790
الغنائم	20.000 بندقية. 400 بندقية رشاشة . 200 مدفع	


أمحمد الخطابي

وامتدت الحرب إلى جهات أخرى وقاد **أمحمد الخطابي** شقيق القائد **عبد الكريم** هجومات موفقة في وادي لاو على بعد أقل من خمسين كيلو مترا من مدينة تطوان، وقطع المواصلات بين الثكنات العسكرية الصغرى وبين المراكز الكبرى ومنع عنها وصول المؤونة.[18] وتدخل الطيران فأسقط المكافحون سبع طائرات إثنتان وقعتا في قبضتهم، وسقطت خمس داخل المنطقة التي يراقبها الجيش الإسباني[19] وفي نفس اليوم سقطت ثكنة بني حسان والمركز العسكري في باب تازة، وكانت نهاية أربعمائة جندي إسباني مأساوية في ثكنة إفران بعد أن لقوا حتفهم في هجوم كبير. وجاءت النجدات من **شفشاون** لفك الحصار عن أربعة مراكز في تلامبوطي وبني سجل، ودارت معركة حامية الوطيس بين الفريقين وخرج الجنود المحاصَرُون للمشاركة في القتال الذي دام ثلاثة أيام

18 – ن. م. ص 162. .

19 – ن. م. و ص.

ولم ينته إلا بإلتحام المغاربة والإسبان بالسلاح الأبيض، وكانت هزيمة جيش الإحتلال ساحقة وغنمَ المكافحون عشرة مدافع من العيار الكبير ومئات البنادق والرشاشاتَ.[20]

ومن أهم المعارك التي انتهت بهزيمة الجيش الإسباني تلك التي جرت في يونيو 1924 عند قطع المكافحون الطريق على القوات المنسحبة، وشنوا عليها حربا إستنزافية على إمتداد عشر كيلومترات بين شفشاون وتطوان قادها : **أحمد خريرو، أحمد قربط، عبد الرحمان البوحلي، أحمد حضوض، أحمد العمراني الدنفيل، أحمد ولد أطحان، محمد الخمسي**، وشارك في المعارك بشكل فعال متطوعون ينتمون إلى قبائل غمارة والريف، وتكبدت القوات الإسبانية أفدح الخسائر في سوق أربعاء بني حسان، وقُتل **الجنرال سيرانو** وهو قائد الجيش، والكولونيل **طيمبرانو** ومائة وخمسَة وسبعون (175) ضابطا من مختلف الرتب، وأصيب **الجنرالان بيرينكر وخيرونا** بجراح، وخلفت الحرب آلاف القتلى ومئات الجرحى، ولم يصل الناجون من الموت إلى تطوان إلا في بداية شهر دجنبر.[21]

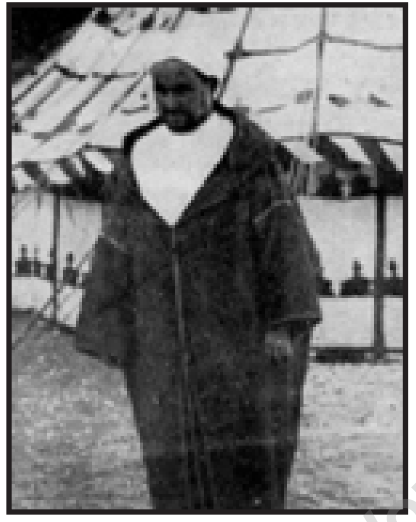
كانت الحرب التي انهزم فيها الجيش الإسباني حربا ثورية شعبية قائمة على التوغل داخل خطوط العدو بأعداد قليلة من المكافحين الصامدين، وقطْع طرق امتداداته، وشلّ تحركاته وفصل فيالقه عن بعضها البعض، وجرها إلى معارك استَنزافية يفضل المغاربة فيها التلاحم عن قرب وتكون فيها الخناجرُ السلاحَ المفضَّل والحاسم، وقد أشاد عدد من قادة الثورات الإشتراكية بالثورة الريفية، وفي مقدمتهم **ماوتسي تونغ** (1893 - 1976) في الصين الشعبية، **وهوشي مينه (1890 - 1969)** في الفيتنام. وكتب البطل الثوري الأممي **تشي كيفارا (1928 - 1967)** :

20 –ن. م. و ص 164.

21 – محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد ج2. ص 101. الناشر مؤسسة الوزاني 1986.

«لقد استخدمنا في كوبا كثيرا من مناهج حرب التحرير والتجربة الكفاحية لعبد الكريم ضد المستعمرين الإسبانيين والفرنسيين.» [22]

دستور جمهورية الريف



عبدالكريم قائد الثورة الشعبية في الريف

إلى جانب العمل العسكري إهتم عبد **الكريم** ببناء المؤسسات، وشرع منذ تحقيق النصر في أنوال سنة 1921 في وضع الأسس القانونية والتنظيمية لحكومة عصرية، وهو ما أثار إنتباه الملاحظين الأجانب الذين زاروا منطقة الريف، وأشادوا في صحف بلدانهم بتطبيق الديمقراطية في مجتمع قبَلي. ولإلقاء نظرة سريعة على تجربة الريف الديمقراطية لابد من استعراض بعض الهياكل التي قامت عليها.

أفاد مصدر أن الدستور الذي وضعته حكومة الريف يشتمل على أربعين مادة. [23] ويقول مصدر آخر أن دستور الريف إرتبط بتأسيس »**الجمعية الوطنية**« من طرف رؤساء القبائل والأعيان، وبالمجلس الحربي الذي ينفذ تعليماتها. [24] ويضيف أن الدستور **«لم يفصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية... ووضع السلطتين معا في يد الجمعية وجعل رئيس الجمهورية هو رئيسها.»** [25] وجاء في الميثاق القومي ما يلي :

1 - عدم الإعتراف بأي معاهدة لها مساس بحقوق البلاد، وخاصة

---

22 – Che GUEVARA, la guerre de guerilla, Paris 1961, P. 27

23 – محمد زنيبر، صفحات من الوطنية المغربية، دار النشر، الدار البيضاء 1990، ص 53.

24 – علال الفاسي، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، دار الطباعة المغربية، تطوان، ص 122.

25 – ن.م.

معاهدة الحماية لعام 1912.

2 – جلاء الإسبان عن منطقة الريف التي لم تكن تحت سيطرتهم قبل إبرام الإتفاقية الإسبانية الفرنسية سنة 1912.

3 – الإعتراف باستقلال جمهورية الريف عن فرنسا وإسبانيا.

4 – أن تدفع إسبانيا تعويضات للريفيين عن الأضرار التي ألحقتها بهم من جراء الإحتلال وأداء فدية الأسرى الإسبان الذين وقعوا في أيدي الريفيين.

5 – إقامة علاقات ودية مع جميع الدول دون تمييز وعقد علاقات تجارية معها.

6 – المطالبة بالإنضمام إلى جمعية الأمم.[26]

وقد أبرز أول بند من الدستور قضيتين مركزيتين وهما : **التشبث بالهوية الوطنية وعدم الإعتراف بمعاهدة الحماية التي تقسم البلاد إلى منطقتين فرنسية وإسبانية.** ونتيجة لذلك قام المستعمرون في فرنسا وإسبانيا بحملة إعلامية شرسة ضد **عبد الكريم الخطابي**، واعتبروه متمردا على سلطة المغرب. وفي رسالة مفتوحة إلى الأمم المتحضرة أعلن **عبد الكريم** موقفه من حكومة المخزن بشكل واضح : «... **إن الريف يأبى أن يرى مقاليد الحكم موكولة لأشخاص ترشيهم جهات أجنبية، ولا يتورعون عن رهن وطنهم وشعبهم لمن يعرض عليهم حفنة من المال، ولا يراعون إلا مصالحهم الشخصية...**»[27]

وهكذا استطاع عبد الكريم بتفكيره النير وقدرته على فضح خيانة الحكام المرتشين أن ينقل مؤسسة القبيلة من عقلية التمزق والتنافر إلى مرحلة التفكير بالوطن. وبفضل إدراكه تمكن من قيادة آلاف الفلاحين الفقراء في حرب تحريرية عارمة، إستعادوا فيها الوحدة والتضامن وتناسوا الأحقاد وعادات الإنتقام والثأر، وحققوا إنتصارات مدوية على القوات الإستعمارية.

---

26 – هذا الشرط الأخير أورده كذلك ميكيل مارتان، الإستعمار الأسباني بالمغرب. م. س، ص 66.

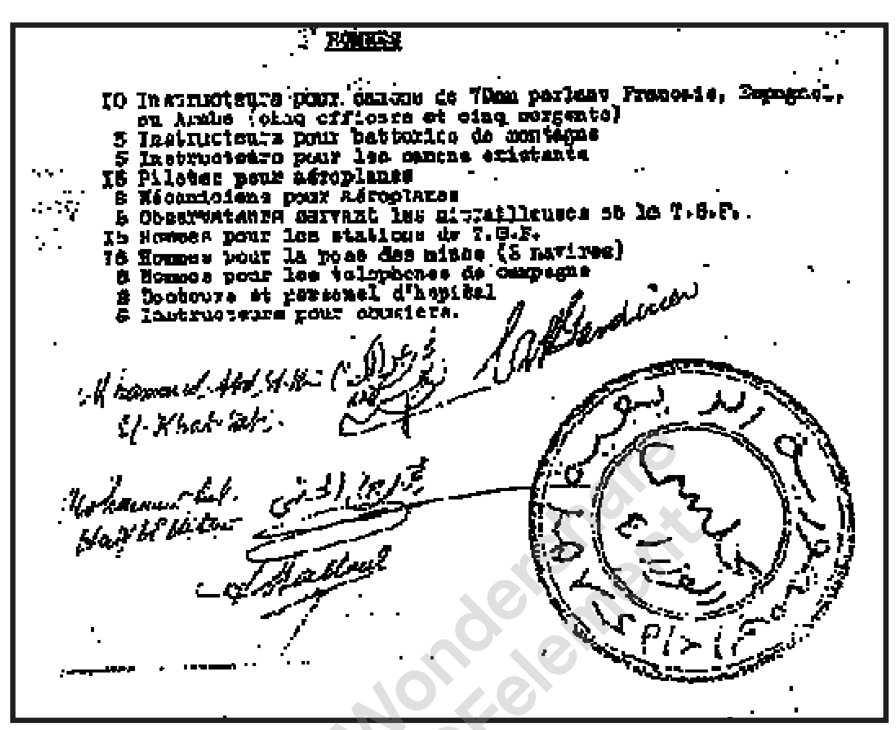
27 – الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، م. س. ج2. ص 72.



الإسبانيون «المتحضرون» في إستعراض همجي في الريف عام 1924

تأسيس حكومة جمهورية الريف

بعد الإنتصارات التي حققتها الثورة بقيادة **عبد الكريم الخطابي** في أنوال وغيرها، إستجاب جميع رؤساء القبائل للدعوة إلى حضور المؤتمر المنعقد يوم 12 يبرائر 1923 في »**ظهر السلوم**«، وفيه إتخذوا عدة قرارات سياسية وعسكرية. وأصبحوا يسمون عبد الكريم بـ »**الأمير عبد الكريم الخطابي**« إلا أنه كان يوقع رساءله ونداءاته بـ »**محمد عبد الكريم الخطابي**«. وإلى ذلك التاريخ يرجع ظهور إسم »**جمهورية الريف**« التي أنكر بعض الكتاب وجودها واعتبروها من إخترا ع الأجانب. وفي مقدمة هؤلاء الشيوعي (**جرمان عياش**) صاحب كتاب (**أصول حرب الريف**) الذي إلتجأ إلى اللمز والغمز والتشكيك في وطنية **عبد الكريم الخطابي**.



IO Instructeurs pour canons de 75mm parlant Français, Espagnol, ou Arabe (cinq officiers et cinq sergents)
5 Instructeurs pour batterie de montagne
5 Instructeurs pour les canons existants
I5 Pilotes pour aéroplanes
6 Mécaniciens pour aéroplanes
5 Observateurs servant les mitrailleuses et la T.S.F.
I5 Hommes pour les stations de T.S.F.
I6 Hommes pour la pose des mines (5 navires)
6 Hommes pour les telephones de campagne
8 Docteurs et personel d'hopital
5 Instructeurs pour [illegible].

طابع جمهورية الريف

وحينما تم رفع الحجز عن الوثائق الفرنسية في السنوات الأخيرة، تأكد وجود عدة رسائل واتفاقيات تجارية مديَّلة بطابع «**الجمهورية الريفية دام علاها**»، وتحمل توقيع **عبد الكريم الخطابي** في حين أن رسائل أجنبية موجهة إليه تخاطبه بصفته رئيس جمهورية الريف.[28]

وكانت الحكومة التي شكلها **عبد الكريم** تضم النخبة المثقفة، وبعض أعضاءها تجولوا في فرنسا وإنجلترا واتصلوا بالشخصيات والأحزاب السياسية وتركوا لديهم إنطباعا جيدا عن نُضجِ وجدية حركة التحرير في منطقة الريف.

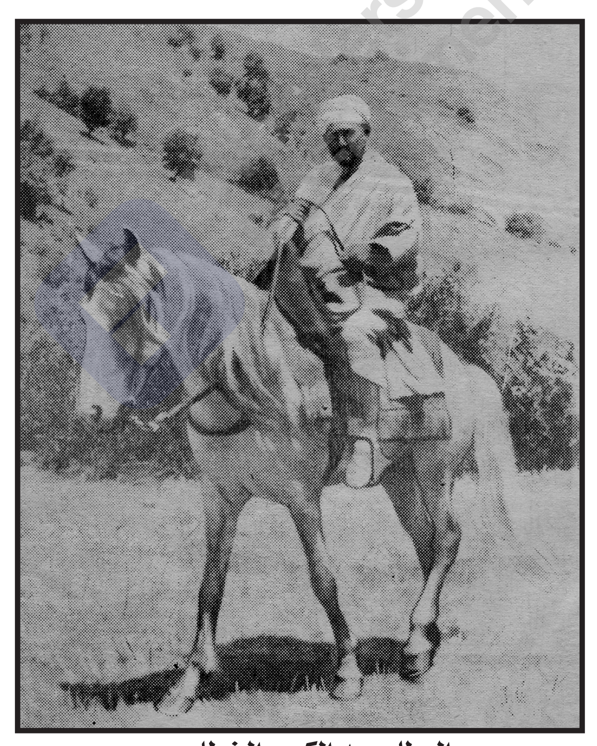
28 – أنظر الوثائق المتعلقة بالريف في : (Les papiers d'Abd–el–Krim)
،Archives du Ministère des Affaires étrangères, Paris
Les Archives du ministère de la guerre – Vincennes

وهذه تشكيلة الحكومة الريفية كما أوردتها مصادر مغربية وفرنسية :

الوظيفة	الإسم	السن	اللغة الأجنبية
رئيس الحكومة	محمد بن عبد الكريم	41 سنة	الإسبانية
نائب الرئيس	أمحمد الخطابي	30 سنة	الإسبانية والفرنسية
وزير الخارجية	محمد أزرقان	36 سنة	الفرنسية والإسبانية
وزير المالية	عبد السلام الخطابي	40 سنة	الإسبانية
نائبه	محمد بوجيبار	30 سنة	الفرنسية
وزير الدفاع	أحمد بودرة	38 سنة	الإسبانية
نائبه	محمد الفقيه بولحية	42 سنة	—
وزير الداخلية	اليزيدي عبد السلام	45 سنة	الإسبانية
نائبه	محمد بشوش	38 سنة	—
وزير العدلية	محمد بن عمار التمسماني	60 سنة	الإسبانية
وزير الأوقاف	أحمد أكردود الجلماني	41 سنة	—
مدير الضرائب	عمار بن محمدي	-	—
مفتش البحرية	حدو بن علي المعلم	39 سنة	الإسبانية
المستشار	محمد ولد الحاج شدي	25 سنة	الإسبانية والفرنسية
الكاتب الأول	محمد محماديں	30 سنة	الإنجليزية والفرنسية
الكاتب الثاني	حسن بن عبد العزيز	28 سنة	الفرنسية (صحفي جزائري)
الكاتب الخاص	القائد الصديق	22 سنة	الإسبانية
قائد المشور	محمد بن حدو بن زيان	25 سنة	الإسبانية

كان معظم الوزراء مثقفين يمتلكون اللغات الأجنبية إلى جانب إتقانهم العربية الفصحى واللغة الأم تمازيغت الريفية وكل رؤساء الجيش لا يقلون ثقافة وعلى رأسهم **الشايب نموح اليعقوبي** المسؤول عن

العمليات في الجبهة الإسبانية قبل أن ينتقل ليقود الحرب ضد الجيش الفرنسي في الورغة، وحدو **أمحاند أمزيان**، كبير المحلة، في منطقة الكيفان، و**القائد حديدان** رئيس الحرس، والقائد **بوحوت** الضابط السابق في الجيش الإسباني الذي أشرف على التداريب العسكرية منذ 1921، والجندي السابق في الجيش الإسباني **أحمد بن محمد خريرو** الذي كان من أبرز المكافحين ضد القوات الإسبانية والفرنسية، وسقط شهيدا في معركة كدية الطاهر في 3 نوفمبر 1926، يضاف إليهم القائد علوش البقيوي المكلف بالإتصال بالسلطة الفرنسية قبل الحرب، و**القائد حدو** ممثل الحكومة الريفية لدى الإدارة الفرنسية بالجزائر.[29]



البطل عبد الكريم الخطابي

29 – حول حكومة الريف أنظر : Gabrielli Léon, Abd–el–krim et les événe–ments du Rif 1924–1926, Casablanca, Ed. Atlantides, 1953

التضامن العالمي مع ثورة الريف

في غمرة الإنتصارات العسكرية التي حققتها الثورة على قوات الإحتلال، شنت وسائل الإعلام في إسبانيا حملة كاذبة لتضليل الرأي العام مدعية أن التطرف الأصولي الإسلامي انبعث من الريف ويريد إستهداف قيَّم العالم الحر. ولم يتأخر **عبد الكريم** في الرد على تلك الإدعاءاتَ المغرضة في استجواب أجراه معه في آيت قمرة صحفيان أمريكيان أحدهما مراسل «**الديلي نيوز**» والثاني يمثل صحيفة «**شيكاكو تريبون**»، ومما قاله لهما : **«إن الحديث عن الحركة الإسلامية الشمولية والمطلقة ليس له غير هدف واحد هو إخافة الفرنسيين والإنجليز لدفعهم إلى معارضة حكومة الريف في صراعها مع إسبانيا... إن نضالنا وطني محض وعدونا الوحيد هو إسبانيا وهذا العداء ناتج عن إرادة الإسبانيين أنفسهم.»** [1]

وأولى **عبد الكريم** الجانب الإعلامي أهمية بالغة، واستعان بالصحف الليبرالية واليسارية في نقل أفكاره إلى العالم الخارجي، وبعث خطابا مفتوحا إلى الشعب الإسباني سنة 1922 جاء فيه :

«إن الحكومة الريفية التي أسست على قواعد عصرية وقوانين مدنية تعتبر نفسها مستقلة سياسيا واقتصاديا آملة أن تعيش حرة كما عاشت قرونا مثل جميع الشعوب. وترى لنفسها أحقية امتلاك ترابها، وتَعُدُّ الجانب الإستعماري الإسباني مُتَعَدّيًا غاصبا لا حق له فيما يزعمه من نشر الحماية على حكومة الريفَ...» [2]

وكشف **عبد الكريم** الغطاء عن العقلية الرجعية التي تستغل الدين في الأغراض الإستعمارية، ووزع على سكان الريف ترجمة لخطاب الملك الإسباني **الفونسو** الذي ألقاه عام 1923 أمام **البابا** متوسلا إليه

---

1 – الوزاني، مذكرات . م. س. ص 92.

2 – ن . م. ص 46.

أن يعلن الحرب الصليبية على الكافر **عبد الكريم**.[3] وحينما زار وفد يتكون من **محمد بوجيبار ومحمد بن محساوي والحاج علي** لندن عقدوا ندوة صحفية وطالبوا من **البابا** التدخل لوقف الحرب والإعتراف بالإستقلال، وأعلنوا أن الريف لا يقوم بحرب دينية وإنما يخوض كفاحا من أجل الحرية. ونشطت الدعاية الإعلامية لحكومة الريف بوصول وفد إلى باريس يتكون من **أمحمد الخطابي والقائد حدو ومحمد أزرقان ومحمادي الحيتمي وعبد الكريم بن زيان**، واتصلوا بعدة شخصيات سياسية وشرحوا للرأي العام الفرنسي حقيقة النزاع مع الحكومة الإسبانية وأطماعها الإستعمارية في منطقة الريف.

وبمناسبة الذكرى المئوية لانتصار الثورة في معركة **أياكوشو** سنة 1824 التي أنهت الإستعمار الإسباني في بلدان أمريكا الجنوبية، بعث **عبد الكريم** رسالة جوابية إلى طلبة جامعة **بوينوس إيريس** في الأرجنتين يعتذر لهم عن عدم تلبية دعوتهم لحضور الإحتفالات بسبب الحصار المضروب على الريف، وجاء فيها : «**إن الفئة العسكرية والكاتوليكية في إسبانيا أعماها التعصب الوطني وجرَّت شعبها إلى ويلات حرب مفجعة، وجعلت من أرض المغرب مقبرة لأبنائه، وطرحت ثرواته في بئر بلا قاع. إنهم يرسلون هنا إلى الموت الفقراء الإسبان كما كانوا يرسلونهم، قبل مائة سنة، ليموتوا عندكم هناك، وكما فعلوا بهم قبل ثلاثين سنة حينما كانوا يدفعون بهم لقضاء نحبهم بحمى المستنقعات في كوبا.**»[4]

وعندما غيرت فرنسا موقفها من حرب الريف وتحالفت مع إسبانيا اعتبر رئيس الحكومة الفرنسية **بانلوفي** سنة 1925 الكفاح ضد الإستعمار صراعا بين حضارتين : «**إن الحضارة الغربية تقف اليوم**

---

3 – ن . م. ص 59

4 – ترجمة الرسالة موجودة بالإنجليزية في صحيفتي :
The New orient و The living age وبالألمانية في :
Neue FREIE presse، Wien، وبالفرنسية في : Revue Europe 15 – 9 – 1925

ضد الحضارة الإسلامية التي تحاول التخلص من نفوذ ثقافتنا.» [5]

وفي تصريح بعثه إلى **هاريس** مراسل صحيفة «**تايمس**» وضع **عبد الكريم** النزاع المسلح في إطار المعركة العادلة من أجل حق طبيعي من حقوق الإنسان :

«... إننا مستعدون لمحاربة أؤلئك الذين يريدون التنكيل بنا وحرماننا من التمتع بحقوقنا المقدسة التي بدونها لن يكون الإنسان إنسانا بل حيوان...»

والجدير بالذكر أن ثورة الريف بدأت بعد مرور ثلاث سنوات على إنتصار ثورة أكتوبر الإشتراكية في روسيا، وتزامنت مع فورة النهوض الوطني في عدد من أقطار إفريقيا وآسيا. ففي مصر إحتدم الكفاح ضد الإستعمار الإنجليزي بعد ثورة 1919، وشهدت سنة 1920 إندلاع حرب التحرير في العراق ضد الإحتلال الإنجليزي، وفي الشام تصاعدت المقاومة المسلحة للإستعمار الفرنسي، واشتد الكفاح في ليبيا ضد الغزو الإيطالي، ووقف الشعب الفلسطيني في وجه المؤامرة البريطانية والتوسع الصهيوني، وفي الهند كان **غاندي** يقود حركة العصيان المدني ضد الهيمنة الإنجليزية، بينما تصاعد النضال في أندونسيا ضد الإحتلال الهولندي.

وفي نطاق التضامن بادر أحرار أوربا إلى تكوين لِجَان لمساندة الريف في فرنسا وإنجلترا ووزعوا بيانات الثورة على الصحف وفضحوا حملة التشويه التي تقوم بها الدوائر الأمبريالية للنيل من كفاح الشعب المغربي، ومنح **عبد الكريم** عدة شخصيات مثل الإنجليزي **جوهن أرنول** صفة وزير مفوض ووكيل الحكومة الريفية في لندن، وترأس **كوردون كانينك** «**لجنة الريف**» بعد أن زار الريف وربط علاقات وطيدة مع قيادة الثورة.

وفي نداء وجهه **عبد الكريم** إلى الأمم المتحضرة ونشرته الصحف في

5 – Charles-André Julien, Le Maroc face aux impérialismes 1415-1956, Ed. JeuneAfrique,Paris,1978,P.56

باريس ولندن ورد ما يلي :

«إننا نناشدكم من جديد المساعدة الإنسانية ونطلب منكم بذل ما وَسعكم الجهدُ من أجل رفاهية البشرية جمعاء بغض النظر عن الدينَ والعقيدة. لقد أصبح اليوم لزاما على أوربا التي طالما نادت في غضون هذا القرن العشرين بأنها تقف لإعلاء مستوى الحضارة والنهوض بالإنسانية أن تنقل هذا المبدأ النبيل من المجال النظري إلى المجال العملي، وأن تقف لحماية المظلوم من بغي المعتدي والتصدي للقوي لصيانة حقوق الضعيف. »[6]

وتجلت المساندة السياسية للريف فيما أبدته الحركات اليسارية عبر العالم. ففي موسكو عقدت الأممية الشيوعية **(الكومنترن)** سنة 1923 مؤتمرا حضرته معظم الأحزاب العمالية وأصدرت بلاغا أشادت فيه بكفاح الشعوب ضد الإستعمار في المغرب وليبيا ومصر وسوريا والهند وأندونيسيا الخ... وفي الإتحاد السوفياتي إهتمت الصحف بنضال المغاربة في الريف، وتعرَّف المواطنون على جوهر الصراع من خلال أبحاث ودراسات كان من بينها مقال كتبه **عبد الكريم** في صحيفة «**النجم الأحمر**» بعنوان : «**نضالنا من اجل الحرية**». وأثناء العدوان الفرنسي الإسباني نظمت الطبقة العاملة في مختلف جهات الإتحاد السوفياتي مهرجانات وتجمعات طيلة أسبوع في المصانع والمزارع للتضامن مع المكافحين في الريف.[7]

وفي فرنسا قام الحزب الشيوعي بدور هام في فضح مناورات **الجنرال ليوطي** وتحضيره للحرب ضد الريف، وطرح شعار : «**جلاء القوات الفرنسية عن الريف والسلام العاجل.**»[8] وفي يوم 2 شتنبر 1924 بعث الفريق النيابي للحزب الشيوعي الفرنسي بإسم اللجنة المركزية والشبيبة الشيوعية برقية إلى **عبد الكريم الخطابي** هنأه فيها

6 –الوزاني، مذكرات، م. س. ص 72.

7 – البرافدا، 13 – 6 – 1925

L›Humanité PARIS 7 – 7 – 1924 – 8

على الإنتصار الكبير الذي حققه في الحرب ضد المستعمرين الإسبان، وتمنى له مواصلة الكفاح إلى جانب البروليتاريا الفرنسية والأوربية ضد الأمبريالية بما فيها الفرنسية من أجل تحرير أرض المغرب. وفي 7 شتنبر نظم الحزب الشيوعي مظاهرة في **سان دوني** ووجه الخطباء نداءات إلى الجنود لكي يمتنعوا عن الذهاب إلى المغرب للمشاركة في الحرب الإستعمارية : «**أيها الجنود ! إن أعداءكم الحقيقيين يجلسون على كراسي البنوك الكبيرة، وأن السلاح الذي يعطونكم يجب أن تجعلوا منه سلاحا لتحرير أنفسكم.**»[9]

وجعل الشيوعيون من البرلمان الفرنسي منبرا للتنديد بسياسة الإستعمار التي ربطوها بالأوضاع الإقتصادية المزرية للعمال والفلاحين الفرنسيين، ولم يترددوا في التصويت ضد ميزانية الحرب الخاصة بالمغرب.[10]

ونشر الكاتب الفرنسي (**هنري باربوس 1873 - 1935 Henri Barbusse**) بيانا تضامنيا مع ثورة الريف وقَّعه عدد من المفكرين والأدباء الفرنسيين ونشرته صحيفة (**كلارطي Clarté**). وكتب القائد الثوري الفتنامي (**هوشي مينه 1890 - 1969**) عدة مقالات تضامنا مع الريف في مجلة (**المنبوذ Le PARIA**) التي كان يصدرها في باريس وجعل منها منبرا للشعوب المكافحة ضد الإستعمار.[11] ونظم الشيوعيون الجزائريون في الجزائر العاصمة وفي بليدة وبلعباس ووهران تجمعات احتجاجية ضد الحرب في الريف وأعلنوا تضامنهم مع الكفاح التحريري الذي قاده عبد الكريم الخطابي.[12]

لم يشهد العالم العربي والإسلامي تظاهرات جماهيرية كتلك التي

---

9 – Ibid, 9-9-1924

10 – Pierre Semard, La guerre du Rif, Paris, 1926, P. 79.

11 – أنظر مقالاته في : HO chi MINH, œuvres choisies, T. 1, HANOÏ, 1960.

12 – Voir : Essai sur le mouvement ouvrier algérien, Ed. du Parti de l'Avant-garde socialiste, Alger 1969.

جرت في روسيا وفرنسا، واقتصر التضامن على نشر مقالات في الصحف العربية، ومجيء وفود إلى الريف من فلسطين وسوريا والعراق وليبيا وتركيا والهند «**وقامت بمعاضتنا بالإسعاف المادي والمعنوي...**» [13]

واحتفظت الوثائق باسم **أحمد حسن مطر** السوداني الذي مكث في الريف بعض الوقت ثم غادره إلى أوربا للقيام بالدعاية لفائدة الثورة، وكان يرأس «**جمعية الدفاع عن الريف**»، وبتلك الصفة شارك في مؤتمر عُصبة مناهضة الإستعمار الذي انعقد في بروكسيل في شهر يبرائر 1927.[14]

كانت حركة التحرير بقيادة البطل الأسطوري عبد الكريم الخطابي ترتدي هنداما أمازيغيا مغربيا موحدا، وتعلن تشبُّتها بإسلام بعيد عن التحجر والتعصب ومتفتح على العصر. وكانت إحدى مميزاتها تتجلى في قدرة قيادتها المستنيرة على ربط جسور التضامن والتفاعل مع الحركات والأحزاب المناضلة ضد الإستعمار في جميع أنحاء العالم، وربطت الوسائل العسكرية بالوسائل السياسية والدبلوماسية، وخاطبت الرأي العام الدولي بالفكر والحجة، ودعت إلى تحالف وثيق يجمع الشعوب المكافحة من أجل الحرية بقطع النظر عن جنسياتها ومعتقداتها الدينية.

---

13 –عبد الكريم الخطابي في : «نداء إلى الأمة الجزائرية والتونسية» نصه منشور في محمد زنيبر، صفحات، م. س. ص 30.

14 – عبد الفتاح هيكل، عصبة مناهضة الأمبريالية والكفاح في سبيل الإستقلال الوطني 1927 – 1932 ودور العرب فيها. مجلة (النهج) عدد 33، ص 120، سوريا 1990.

الأمبرياليون قصفوا المدنيين بالغازات السامة

أمام الهزائم المتكررة لقواتها في ميدان الوغى، إتجهت الحكومة الإسبانية نحو **ألمانيا** التي أمدتها بالغازات السامة، وأخبر القنصل الألماني بتطوان حكومته أن هدف **بريمو دي ريفيرا** من الإنسحاب من شفشاون وأراضي أخرى هو معاقبة السكان بالغازات السامة وإحراق محاصيلهم الزراعية وتدمير بيوتهم.[1]

وشارك **طيارون أمريكيون** بسرب كان يقوده **(تشارلز سيفيني)** في قصف تجمعات المدنيين في الأسواق، وألقوا القنابل المحرقة على القرى، وقصفوا مدينة شفشاون، وقتلوا الاطفال والنساء والشيوخ، لأن جميع القادرين على حمل السلاح كانوا في جبهة القتال.[2]

وأثناء معركة **تيفرسيت** طوق المكافحون التكنات العسكرية في **تيزي عزا**، فأقبل سرب من الطائرات وألقوا قنابل سامة مات بسببها عدد غير قليل وفقد آخرون بصرهم واضطروا إلى التراجع وخلفت الغازات آلاف القتلى والمعطوبين وسط المدنيين. وفي بداية 1925 طلبت حكومة الريف المساعدة من **الصليب الأحمر الدولي** في جنيف – سويسرا، غير أن الطلب بقي بدون جواب. ثم رفعت شكوى إلى **جمعية الأمم (Société des Nations 1920-1946)** التي كان مقرها في نفس المدينة، ولم تتخذ أي قرار، لأنها كانت خاضعة للدول الإستعمارية فرنسا وإسبانيا وإنجلترا وإيطاليا وبلجيكا وهولندا.

1 -- RudiBERT kunz / Rolf – Dieter Müller, Giftgas Gegen Abdelk-rim. Deutschland, Spanien Und Der Gaskieg In Spanisch – Maro-kko 1922 – 1927. Verlag Rombach, Freiburg, 1990.

2 – الوزاني، مذكرات حياة. م. س. ج2. ص 138



الطائرات الإسبانية تلقي الغازات السامة على المدنيين في الريف

وفي خطاب مفتوح فضح عبد الكريم الخطابي جرائم المستعمرين الذين كانوا يلقون القنابل الغازية القاتلة على السكان المدنيين، في وقت كانوا يدَّعون أنهم يسعون إلى إقامة الصلح مع حكومة الريف، ووصف تصريحاتهم في وسائل الإعلام بأنها مجرد مناورات لتغطية أعمال الإبادة : «... **من يريد الصلح لا يزيد الحرب وطيسا باستعمال قنابل الغازات الخانقة، ويرميها بالطائرات على الأسواق والمدن في الليل والنهار، فتقتل النساء والصبيان الآمنين في مساكنهم. إن من يريد الصلح لا يتكالب على حرق المزروعات وقتل الأنعام ظنا منه أن هذه الوسائل تميتنا جوعا فنذعن إلى الخضوع والإستسلام، إن من يفعل ذلك ويدعي أنه يريد الصلح فما هو إلا كاذب ومرائي.**» [3]



3 – نص الرسالة في زنيبر، صفحات م. س. ص 78.

المعارك على الجبهة الفرنسية

كان إلقاء القنابل الغازية الفتاكة على الريف مقدمة لعقد الحلف الإسباني الفرنسي بهدف القضاء على ثورة الفلاحين الفقراء، وكان الفرنسيون في بداية المقاومة الريفية حريصين على ضمان الهدوء في ما كانوا يسمونه «**ممر تازة**» الرابط بين المغرب الشرقي والجزائر والحيلولة دون تلاقي المكافحين في الريف بإخوانهم في الأطلس المتوسط الثائرين ضد الإحتلال الفرنسي.

وقد استغل **الجنرال ليوطي** الظروف التي اشتدت فيها المعارك في منطقة **تفرسيت** وأمر باحتلال النقط الإستراتيجية في أراضي القبائل المحادية للمراكز الفرنسية في آخر مايو 1924. وهبت القبائل للدفاع عن أرضها مدعومة بقوات نظامية ريفية. وبعد ثلاثة أشهر من الإقتتال تمكن الجيش الفرنسي من السيطرة على أولاد قاسم وهم جزء من قبيلة بني زروال، وكانت ذات أهمية استراتيجية واقتصادية بالنسبة للثورة.

ورغم المحاولات التي قامت بها حكومة الريف لإيجاد مخرج للأزمة، إلا أن المستعمرين اتخذوا قرارهم بخوض الحرب، وهو ما كتبه **الجنرال ليوطي** في رسالة إلى رئيس الحكومة الفرنسية : «**ليس هناك ما هو أسوأ على مستقبل نظامنا من قيام دولة مسلمة مستقلة وعصرية بالقرب من مدينة فاس ... تجعل من عبد الكريم نقطة جذب لا للمنشقين علينا فقط، بل لكل العناصر المغربية خاصة الشباب الذين وسَّعت أحداث الشرق آفاقهم وطورت في أذهانهم مشاعر كراهية الأجانب.**» (4)

وأرَّخ يوم 13 أبريل 1925 لبداية الحرب ضد الإستعمار الفرنسي.

---

4 – Paul Marty, le Maroc de demain, Paris 1929, P. 227.

وتقدم **أمحمد الخطابي** على رأس جيش نظامي يتكون من خمسة آلاف مكافح ومعه نخبة من قيادة الثورة وعلى رأسهم **أحمد بودرة** وزير الحربية، و**شعيب أفلاح** رئيس الأركان والفقيه **بولحية** وزير الداخلية، و**عمر أوعلوش** رئيس الجيش، والقادة **محمد بن عمرو**، **محمد ولد عبد الكريم**، **عبد الهادي بن عزوز**، **محمد الخطمي** وغيرهم.[5]

وطارد المكافحون العميل **عبد الرحمان الدرقاوي شيخ الزاوية الدرقاوية** الذي استمال قبيلة بني زروال إلى جانب فرنسا. وأحرقت الثورة زاويته ونكلت بباقي الخونة وجردت القبيلة من السلاح وفرضت عليها أداء نصف مليون بسيطة غرامة.[6] ، وانضم عدد من رؤساء القبيلة إلى صفوف المكافحين وردت القوات الفرنسية بقصف مدفعي بدون تمييز وقتلت العشرات من السكان. وحينذاك أمر **أمحمد الخطابي** بتطبيق المخطط الحربي الشهير والمتمثل في **التسرب ليلا إلى وسط الطرق المؤدية إلى مراكز العدو، ومنع إمدادات التموين عنه، وانتظار قوافل الإغاثة للإنقضاض عليها وإجبار المتحصنين على الإستسلام.**

خلال يومين سقطت اربع ثكنات عسكرية فرنسية وهي ازروميشت وتورض وبيرو أعراب ومركز آخر بجانبه.[7] وغنم المكافحون ستة مدافع وأربعة وعشرين رشاشا ومئات البنادق والقنابل اليدوية والدخيرة الحربية والمواد الغذائية والملابس.[8]

فتح **عبد الكريم** جبهة حربية أخرى في الجهة الشرقية لصنهاجة، وشملت المعارك كل الحدود الفرنسية المتآخمة للريف وجبالة إنطلاقا من قبيلة مستارة إلى قبيلة بني يزناسن. وتساقطت المراكز الفرنسية تحت ضربات المكافحين الذين جعلوا حدًا لعملاء فرنسا في قبائل فشتالة

5 – الوزاني، مذكرات، م. س. ص 119
6 – القاضي، أسد الريف. ص 184
7 – ن. م. ص 183.
8 – ن. م. وص

والبرانس والتسول، وانضمت القبائل إلى الثورة مما زاد رقعة المعارك إتساعا في إتجاه وزان وتازة وفاس. وتكبد الفرنسيون خسائر فادحة في مركز البيبان الذي سقط بعد حصار دام طويلا. وصرح كاتب الدولة لدى وزير الحربية الفرنسي أن الخسائر الفرنسية في الفترة الممتدة من أبريل إلى نونبر 1925 بلغت 2.500 قتيل من بينهم 1.800 جندي فرنسي والباقون من المستعمرات الفرنسية، و 140 ضابطا، والمفقودون 20 ضابطا و 1.200 جندي من بينهم 225 فرنسيا. وبقي مركز الكيفان بشمال تازة صامدا لأن قبيلة أكزناية دافعت عنه بسبب خضوعها لعملاء الإستعمار وعلى رأسهم **القائد المدبوح**.[9] وانكشفت خيانة القائد **صالح التمسماني** و**القائد محمد بن حدو التوزاني**، **والقائد محمد بن عمر أمزيان**، **والقائد اعمر ولد حميدو** في مرنيسة، **والقائد عبد القادر الشيكار**، **والقائد بوصفية** في رأس الماء.

وانتقل المكافحون للهجوم على المراكز العسكرية الواقعة في قبيلة الجايا، واضطر الجيش الفرنسي إلى الإنسحاب في اتجاه وزان وفاس والشراكة، وفقد الجنرال **فريدنبيرك** 1.600 قتيل من جنوده.[10] وتخلى الجيش الفرنسي خلال شهرين عن 85 مركزا كان يراقب 25 قبيلة. ووصل المكافحون إلى السكة الحديدية بناحية أمسون وتوقفت المواصلات البرية بين وجدة وفاس عدة أسابيع.[11]

وفي يوم 27 أبريل 1925 وصل إلى ناحية مدينة فاس ألف مكافح واحتلوا جسرا لا يبعد عن المدينة إلا بحوالي عشرين كيلو مترا، وكتب مراسل صحيفة فرنسية بالمغرب أن الأرستقراطية ذات النفوذ المالي والديني أرسلت إلى عبد الكريم تستعطفه لكي لا يقتحم الجيش الريفي فاس.[12] وأقامت الثورة خطا دفاعيا يمتد من ناحية وزان إلى ناحية

9 - الوزاني، مذكرات، ص 122.

10 - L›humanité 16 – 5 – 1925

11 - الوزاني، مذكرات، ص 188.

12 - L›humanité 15 – 5 – 1925

وجدة، وأخذت تنظم القبائل وتقيم المراكز. وفي غضون شهر يونيو اكتسح المكافحون 43 ثكنة عسكرية من مجموع 66. وقضوا على مئات الجنود الفرنسيين وأسروا ألفين واستولوا على 5.000 بندقية و 200 مدفع رشاش، و 35 مدفع هاون، و 31 مدفعا مضادا للطائرات، و 60 ألف قنبلة يدوية و 16 ألف قذيفة.[13]

وفي نهاية يونيو 1925 وصل **الماريشال بيتان** إلى المغرب لقيادة العمليات الحربية، وغادره **الجنرال ليوطي** جارا وراءه ذيول الهزائم التي مني بها جيشه. وفي اجتماع بمدريد يوم 6 يبرائر 1926 اتفق الجنرال الإسباني **بريمودي ريفييرا** و **الماريشال الفرنسي فيليب بيتان** على خطة عسكرية مشتركة ضد الريف، وتنص على قيام الجيش الإسباني بالهجوم انطلاقا من ناحية أجدير في اتجاه تيركيست، وهجوم آخر من مليلية نحو قبيلة تمسمان، بينما يهاجم الجيش الفرنسي مرتفعات سوق أربعاء النكور لدعم الهجوم الإسباني على قبائل بني توزين، وتنطلق بعد ذلك القوات الفرنسية والإسبانية في هجوم كاسح على منطقة الناضور وسوق خميس النكور العليا وجبل الحمام.

ولتنفيذ المخطط العدواني جهزت فرنسا جيشا يتكون من 350.000 جندي و 60 جنرالا و 3 ماريشالات، ويتوزع كالآتي :

11 فيلقا من اللفيف الأجنبي الأوربي.
30 فيلقا من الجزائريين والتونسيين.
18 فيلقا من المغاربة.
21 فيلقا من السينغال.
3 فيالق من الملغاش.
2 فيلقان من الهند الصينية.
73 طائرة حربية.

---

13 – Vincent Monteil, la guerre révolutionnaire, op. cit. p. 148.

مئات الدبابات والمدافع.[14]

وهكذا يكون الجيش الفرنسي المنتصر في الحرب العالمية الأولى 1914 – 1918 قد انتقل إلى المغرب لمحاربة عشرين ألف من جنود الحرية في الريف.

وشاركت إسبانيا من جانبها بترسانة حربية تتمثل في :

100 ألف جندي.

100 طائرة.

36 باخرة حربية.

يضاف إلى كل ذلك نصف مليون من فقراء الفلاحين جندهم عملاء إسبانيا وفرنسا مثل **الباشا لكلاوي** و**الباشا البغدادي** و**القائد العيادي** وغيرهم. وكان المستعمرون يسمونهم «**الأنصار**» ويدفعون بهم إلى الصفوف الأمامية جاعلين منهم جدارا يحتمي خلفه الجنود الفرنسيون والأسبانيون من ضربات المكافحين، وسقط الآلاف منهم قتلى وجرحى وهم يتقدمون بلا وعي لمقاتلة إخوانهم المدافعين عن كرامة الوطن.

اقترف الإمبرياليون جرائم فظيعة في حق سكان الريف وألقى الإسبانيون على رؤوس الأطفال والنساء قنابل الغازات السامة، وقذف الطيران الفرنسي الأسواق الأسبوعية والمداشر بجحيم من القنابل الحارقة بلغ وزنها، حسب إحصائية رسمية، 11.307 طن، وسحقوا الإنسان والحيوان وأحرقوا الزرع مستخدمين كل أنواع أسلحة الإبادة.

لم تعد الجماهير المكافحة التي واجهت الموت والجوع والأمراض المعدية خاصة حُمَّى التيفوس قادرة على الصمود بعد أن استنفدت كل إمكاناتها المادية والحربية وبقيت وحيدة مفتقدة للدعم والمساندة من إخوانها في باقي المغرب، ولم يعُدْ أمامها سوى التطلع إلى السماء بأعين دامعة وقلوب دامية في الإستنجاد برحمة القدر.

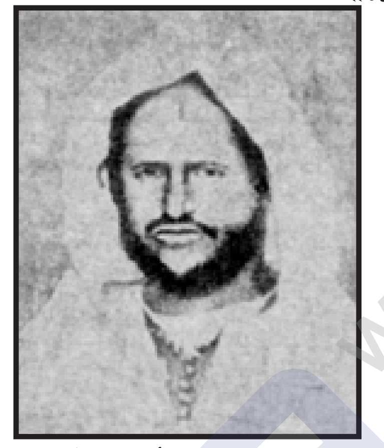
14 – معظم الأرقام ذكرها البرلماني الفرنسي (بيير كلوسترمان) أمام المجلس الوطني الفرنسي يوم 21 مارس 1956.

واضطر **عبد الكريم** إلى القبول يوم 27 - 05 - 1926 بشروط «**الأمان**» التي عرضها عليه الجانب الفرنسي وسط صيحات الغضب المنبعثة من قادة الطغمة العسكرية الإسبانية المتعطشين إلى الإنتقام من رمز المقاومة الذي أذلهم وهزم جيشهم في أكثر من معركة.

مكث **عبد الكريم الخطابي** عشرين سنة معتقلا في المنفى بجزيرة «**لارينيون**» بالمحيط الهندي. وفي سنة 1947 قررت الحكومة الفرنسية نقله إلى فرنسا، فاستغل توقف الباخرة في بورسعيد والتجأ إلى مصر، ومن هناك إستأنف الكفاح في سبيل إستقلال بلدان المغرب بدون أن يفرط في المبادئ والمواقف إلى أن وافاه الأجل المحتوم سنة 1963 **وظل إسمه منقوشا في الذاكرة الجماعية للشعب المغربي التواق إلى بناء مجتمع تسوده الحرية والعدالة والمساواة.**

الحشود الجاهلة وجهت الطعنة إلى ظهر الثورة

لم تكن الحروب تتوقف بين القبائل في ظروف طغت فيها الأمية عن أغلبية السكان. وإذا عجز احدهم عن الإنتقام من عدوه بنفسه، لجأ إلى متخصص في إزهاق الأرواح ودفع له مبلغا ماليا مقابل ارتكاب الجريمة **«ولا يخطئ القاتل المرتزق في إسقاط الضحية برصاصة نارية واحدة يطلقها عليه من مكان بعيد.»** [1]



البطل محمد أمزيان *

وأدى إنعدام أسلوب الإنتاج المتطور في مناطق جبلية تتميز بمحدودية الأرض الصالحة للزراعة إلى تدهور شروط حياة الناس المادية، وتخلف وعيهم الإجتماعي والسياسي. ووجد رؤساء القبائل في المسحوقين أدوات سخروها لخدمة مصالحهم المرتبطة بأهداف الإستعمار الإسباني. ففي بداية القرن العشرين إنتفض **محمد أمزيان** وكان متعلما وصاحب «**أملاك وافرة وأراضي خصبة ومواشي عديدة**». [2] وتزعم حركة المقاومة ضد الإستعمار الإسباني في الريف. وخاض سلسلة معارك كبَّدت الجيش الإسباني خسائر فادحة في الضباط والجنود. فالتجأ الجنرال **(مارينا)** إلى فتح خزائن المال أمام رؤساء وأعيان القبائل الذين تكلفوا بإبعاد السكان عن المقاومة، وجنَّدوا مئآت المرتزقة من أهالي

---

1 – العربي الورياشي، الكشف والبيان عن سيرة بطل الريف الأول محمد أمزيان، المطبعة المهدية، تطوان 1976، ص 73

2 – ن. م، ص 169

* لا يجب خلط إسم هذا البطل البارز مع إسم أمزيان الضابط في الجيش الإسباني الذي حارب ثورة الريف مع رئيسه الجنرال فرانكو.

مدشر **سيدي أمحمد بفرخانة** للقتال ضد المجاهدين، وعلى نهجهم سارت قبائل قُليعة، ووصل وباء الرشوة إلى المقربين من قائد الثورة، ومكّنوا الجيش الإسباني من القضاء عليه مباشرة بعد أداء صلاة الفجر بمسجد قرب **كدية جامد**. فقد وقف مخاطبا المرتزقة : «**أتيتم لمقاتلة إخوانكم مقابل 15 ريال في الشهر**».! وما لبث البطل **محمد أمزيان** أن سقط تحت الرصاص يوم 14 مايو 1912.

وفي العشرينات من القرن الماضي برزت قيادة ثورية وخاضت الحرب على جبهتين داخلية ضد الخيانة وخارجية ضد الإستعمار، وتمكنت بوعيها وثقافتها من التأثير في الأحداث، وإخراج جزء من الحشود الغارقة في الجهل من السلبية والجمود، وتحرير طاقاتها - مؤقتا - من قبضة الأعيان الذين كانوا يعتبرون قباءلهم بمثابة قطيع غنم يسوقونه حسب أهوائهم ومصالحهم.

ففي الساعات الأولى لاندلاع معركة التحرير بقيادة البطل التاريخي **محمد عبد الكريم الخطابي**، دفع الإسبانيون إلى المقدمة أكثر من عشرين ألف من المجندين الريفيين (**الحَرْكة**) وبمجرد سقوط رئيسهم (**علي بوتشوشت**) في المعركة، لاذ المرتزقة بالفرار وبقي جنود إسبانيا هدفا مباشرا لرصاص المكافحين.[3]

وحينما إنهزم الجيش الإسباني في **أنوال** تسابق المقاتلون للفوز بالغنائم، ووقع بينهم نزاع أسفر عن مصرع خمسين شخصا.[4]

وتكررت أعمال الفوضى في **أعروي** بعد إستسلام الجنرال (**نافارو**) مع ثلاثين ضابطا واحتموا بأعيان القبيلة. في حين أن الحشود التي لم تكن لها أية علاقة تنظيمية بالثورة، هاجمت الثكنة العسكرية وقتلت جميع الجنود البالغ عددهم أكثر من ألف واستولت على الأسلحة

3 - ن. م، ص 153

4 - محمد عمر القاضي، أسد الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي، مطبعة ديسبريس، تطوان 1979، ص 121.

والمتاع.[5]

وتواطأت بعض قبائل **اغمارة** مع القوات الإسبانية ومكنتها من أحتلال عدة مناطق في **واد لاو**. وتمرد قياد **اغمارة** على الحكومة الريفية، وكان الإسبان يمدونهم بالمال والسلاح وهاجمت الحشود الجاهلة سنة 1923 مركز **تيكساس** الذي كان يقيم فيه خمسمائة مجاهد برئاسة **عبد الكريم الحتاش**. وأسفرت المعارك عن سقوط عشرات القتلى بين فريق يدفع ضريبة الدم ثمنا للحرية، وفريق قاده الخونة إلى الموت دفاعا عن قضية الإستعمار.[6]

وبعد هزيمة القوات الإسبانية في معركة **دار بن قريش** التي تزعمها البطل **ولد حميدو الخراز**، أعطى الإسبان **أموالا** طائلة إلى أعيان قبائل اغمارة وأنجرة والحوز وقليعة، فقاموا بتجييش آلاف القرويين، وتقاتل المغاربة فيما بينهم ليتقدم الجيش الإسباني ويعيد إحتلال تلك المناطق بدون خسائر في صفوفه.[7]

وفي أواخر عام 1921 تآمر بعض أعيان قبائل **اغمارة** مع الإسبان ضد الثورة. فالتمسوا من **عبد الكريم الخطابي** أن يرسل إليهم فرقة من المكافحين لمساعدتهم على طرد جيش الإحتلال الإسباني. ولما وصل **أمحمد الخطابي** على رأس ألف مقاوم وشن أول هجوم على مركز إسباني في **أسراس**، تبين له غدر الأعيان وقبائلهم برفضهم تقديم المواد الغذائية لجيش المجاهدين، فعرض عليهم شراءها منهم فرفضوا. واتضح أن رئيس المنطقة الإسباني **(كاباص)** صبَّ الأموال على رؤوس الأعيان صبًّا، فأمروا القبائل التابعة لهم بمقاومة الثوار، واضطر المكافحون إلى الإنسحاب عن طريق **بني خالد**قبل أن يتم تطويقهم.[8]

---

5 – ن. م، ص 122 (عمر القاضي شارك في جميع المعارك التي يرويها في كتابه).

6 – ن. م، ص 123.

7 – أحمد البوعياش، حرب الريف، م. س. ج2 ص 32.

8 – ن. م، ص 128.

وفي عام 1922 أصيب الجيش الإسباني بخسائر فادحة في محاولته الإستيلاء على **ميضار بني توزين**، فالتجأ إلى شراء خدمات آلاف المرتزقة الريفيين برآسة **عبد المالك محي الدين حفيد الأمير عبد القادر الجزائري** ونظم **عبد الكريم الخطابي** هجوما كبيرا على الجيش الإسباني والمرتزقة، واستغرقت المعارك عدة ساعات سقط فيها المئات ومن ضمنهم **عبد المالك محي الدين الجزائري**. واستشهد من صفوف الثورة أربعين رجلا.[9]

وفي نفس السنة تآمر أعيان قبيلتي **بني وليشك وبني سعيد** على الثورة بعد ما طلبوا من **عبد الكريم الخطابي** إرسال فرقة من المكافحين لتدريب الرجال والإعداد للمعركة لطرد الإسبان من أرضهم. ولما وصل سبعمائة مجاهد إلى **سيدي شعيب الخلا** وجدوا أنفسهم محاصرين من طرف قوات إسبانية كبيرة بمشاركة الأعيان ومعهم المجندون بينما تخلت باقي القبائل عن إبداء أية مساعدة لمؤازرة المقاومين الذين فقدوا عشرات القتلى قبل أن يتمكنوا من اختراق الحصار والإنسحاب ليلا.[10]

وفي عام 1923 ألحق المقاومون هزائم متتالية بالجيش الإسباني في عدة معارك بين سبتة وتطوان. فأقدم الإسبانيون على دفع الأموال لرؤساء إحدى القرى في مكان يسمى (**تافوغالت**). فحول المرتزقة أسلحتهم إلى صدور المكافحين. وجندت الثورة المئات من الرجال المتمرّسين، وقاموا بهجوم كاسح على القوات الإسبانية وألحقوا بها هزيمَة نكراء واستولوا على أسلحتها، ثم تقدموا لمعاقبة الأعيان الخونة وتأديب المتمردين، وخرج السكان يعلنون توبتهم ويقدمون «**ذبائح العار**» كما يسمونها.[11]

وفي السنة الموالية أمرت فرنسا العميل **محمد بن عبد الرحمان**

9 – القاضي، أسد الريف، م. س. ص 154.

10 – ن. م، ص 156.

11 – البوعياشي، حرب الريف، م. س، ص 217

الدرقاوي شيخ الزاوية الدرقاوية بإثارة قبائل **بني زروال** ضد الثورة. وقام بتنظيم تجمعات مدعيا أن **عبد الكريم الخطابي** خارج عن طاعة السلطان **مولاي يوسف** وثائر على العرش العلوي.[12] وأتى **أمحمد الخطابي** على رأس جيش نظامي إلى **بني زروال** إلا أن الشيخ الدرقاوي العميل تمكن من الهروب واحتمى بالجيش الفرنسي الذي نقله إلى فاس.

وحدث أن اتفق المدعو(**موح عمر أوشن**) من أعيان قبيلة **بني أسعيد** مع الجيش الإسباني للهجوم ليلا على المنزل الذي ينزل فيه **عبد الكريم الخطابي**. وتواطأ معهم صاحب الدار المسمى (**علال بوضليل**). غير أن يقظة ضمير أحد المكافحين مكَّنت قائد الثورة من مغادرة المكان قبل ساعتين من اكتساح الجنود الإسبان للقرية.



عبدالكريم جبهة لاتنحني

وفي سنة 1922 بينما كان **عبد الكريم الخطابي** متوجها إلى ناحية **الورغة** على رأس فرقة من المكافحين إذا بعميل إسبانيا القائد (**اعمر حميدو المرنيسي**) ومعه آلاف المرتزقة المنتمين إلى قبيلتي **مرنيسة وفناسة** يهاجمونهم في قرية **الجنان**، ونشبت معارك طاحنة بين الطرفين، وسقط فيها شهيدا (**الحاج الراضي**) أحد أبطال معركة **أنوال** وكذلك (**أحمد شعيب بن عزوز**) الذي قاد المكافحين إلى النصر في معركة (**بومجان**).

وفي عام 1923 حينما كان **امحمد الخطابي** رئيس أركان الحرب

12 – القاضي، أسد الريف، م. س. ص 180

يتهيأ لبدء المعركة في الجهة الغربية إذا بأعيان قبائل **اغمارة** والقبائل المجاورة لها يسوقون حشود القرويين الفقراء مسلحين بالبنادق التي زودهم بها العدو. فأطلقوا النار على المجاهدين في بني **بوفراح**، وأزهقوا أرواحا كثيرة في بحر من الدماء أمام أنظار ضباط الإحتلال الإسباني.

وفي دجنبر 1924 انتصر المجاهدون بقيادة **عبد الكريم الخطابي** ودخلوا إلى شفشاون فقدم الجيش الإسباني إلى العميل **(الشيخ الريسوني)** وإلى أعيان قبائل **الأخماس** المال والسلاح، وجنَّدوا الفلاحين الفقراء لعرقلة مسيرة الثورة في منطقة جبالة. وحينما وصل المقاوم **(المفضل بنيانو)** على رأس خمسين مكافحا إلى **باب تازة**، أظهرت قبيلة **الأخماس السفلية** الطاعة وقدمت **تنفايا وبني زريلويل وبني صالح «ذبائح العار»**. وحملوا الأعلام البيضاء، ثم اقتربوا من قافلة المكافحين وأطلقوا عليهم النار، وسقط قتلى وجرحى، واعتقلوا **(المفضل بنيانو)** واضطر باقي المكافحين إلى التحصن في مسجد **الشيخ التادلي**.[13]

وتمكن المستعمرون الإسبان من إختراق صفوف قائد الثورة. وقام **(مولود بن محمد)** من أعمام **عبد الكريم الخطابي** بالتجسس لفائدة الجيش الإسباني وكان مسؤولا عن الأسرى الإسبان في معتقل **(قمرة)** ولما اكتشف أمره عن طريق الصدفة، هرب إلى تطوان.[14]

وقاد **(سليمان بن المجاهد)** إبن عم **عبد الكريم الخطابي** فرقة من المرتزقة وهاجم **أجدير** سنة 1925 أي في الأيام الأخيرة من الثورة، وكافأه الإسبان بوظيفة قائد القياد على **بني وارياغل**.[15]

كان سكان القبائل عبارة عن حشود أمية جاهلة يسوقها الرؤساء والأعيان أينما شاؤوا حسب أهوائهم. فإذا أشعلوا حربا جعلوا منهم حَطَبًا لنارها. وإذا قرروا التحالف مع الإستعمار ضد الثورة جروهم

---

13 – البوعياشي، حرب الريف، م. س. ج2 ص 273.

14 – ن. م. ص 141

15 – ن. م. ص 158

معهم. وهذا ما عبر عنه **عبد الكريم الخطابي** في مقال نشره في مجلة «**المصور**» المصرية بعنوان : «**لماذا كان عدونا قويا ؟**» ومما جاء فيه:
«من الغريب أن المستعمرين كانوا إذا احتلوا المناطق التي تقيم فيها القبائل وجدناها ترضخ لهم دون إطلاق رصاصة واحدة، وذلك خوفا ورُعباً منهم. فإذا ما قامت قواتنا بمهاجمتهم وهزمهم، هبَّت تلك القبائل نفسها تطارد فلولهم وتنتقم منهم.» (16)

كان القائد والمثقف الثوري **عبد الكريم** يتحدث عن **الحشود العائمة** الخائفة من الإستعمار، والخاضعة لرؤساء متحالفين مع الإحتلال. أما الجماهير التي كان يؤطرها هو ورفاقه فقد كانت واعيَّة بذاتها، ومتطلعة إلى تحرير الأرض والإنعتاق من عبودية الإستعمار.



الحشود الجاهلة التي جندها الباشا الكلاوي لمحاربة المقاومة بمراكش سنة 1953

16 – مجلة «المصور»، القاهرة، 6 يونيو 1958

المجندون في الجيوش الإستعمارية كانوا بلا وعي ولا ضمير

في يوليوز 1918دشن (الماريشال ليوطي) المدرسة العسكرية بمكناس لتكوين ضباط صغار من أبناء القياد والإقطاعيين والطرقيين، وحدد مهمة المدرسة في هدف «**سياسي يكمُن في اجتذاب واستخدام فئة الأهالي النافذة لخدمة مصالح فرنسا.**» [1]

وفي نهاية الإحتلال العسكري الفرنسي للمغرب، بلغ عدد الذين قُتلوا من المغاربة خريجي مدرسة مكناس في مختلف المعارك 43 ضابطا. [2]

وفي شمال المغرب استعان الإستعمار الإسباني بآلاف المرتزقة في حروب ضد حركات التحرر في الريف وفي إسبانيا. وبعد الإنتصار المُدوّي على الجيش الإسباني في أنوال سنة 1921 بقيادة **عبد الكريم الخطابي**، شنت فرنسا عدوانا أثيما على الثورة الريفية، وجندت، إلى جانب المغاربة، آلاف المأجورين الجزائريين والتونسيين، وأرسلتهم إلى الصفوف الأمامية بهدف التقليل من خسائر الجنود الفرنسيين.

وعن هذه المشاركة وجه **عبد الكريم الخطابي** رسالة إلى التونسيين والجزائريين، جاء فيها :

«أيها المسلمون التونسيون والجزائريون إن الأمر الذي يشق علينا تحمُّله هو أن نرى أبناءكم يُساقون لمحاربتنا، كما أنه يشق علينا أن نرانا ملتزمين بالدفاع عن استقلالنا أن نتقابل في ساحة القتال مع إخواننا في الجنس والدين... إنها حالة والله تنتغص منها قلوبنا جميعا وتتفتّت منها نفوسنا كمدا... إن أربعة أخماس الجيوش التي هي على حدودنا شاهرة السلاح في وجوهنا من أبنائكم أيها الإخوان. أفمن الواجب عليهم أن ينقضُوا على أعدائنا المُضْطَهِدين لنا ولكم، ويديروا سلاحهم عملا بما توصي به

---

1 – C.A. Julien, le Maroc face aux impérialismes, op. cit. P. 145

2 – Ibid, P. 148

الحَميَّة الإسلامية والغيرة الجنسية وإتباعا للأوامر النبوية الشريفة : المؤمن للمؤمن يشُدُّ بعضه بعضا.» (3)

ولابد من الإشارة إلى أن أقلية من المجندين إنضمت إلى الثورة الريفية ووجهت بنادقها ضد الجيش الفرنسي، وأشاد **عبد الكريم الخطابي** بموقفهم النبيل **«إني أثني بإسم الأمة الريفية على هؤلاء الأبطال مثال الهمة والشجاعة المحمدية الذين سيُخَلَّدُ إسمهم على أمَدِ الدهر في صفحات التاريخ تكريما لصنيعهم الجليل... »** (4)

وفي أكتوبر 1934 دفعت الحكومة الرجعية الإسبانية آلآف **(المورو)** المغاربة لقمع إنتفاضة العمال في إقليم **(أستورياس)** بشمال إسبانيا، وتعالت أصوات الإحتجاج في الأوساط السياسية ضد جلب المغاربة لقتل العمال الإسبان. فكان جواب وزير الدفاع **(دييكو هيدالكو)** : **«عوض ان يسقط رجالنا هباء منثورا جلبنا جنودا يبلغ عددهم 12.000 مدربين على كل فنون الحرب بأيادي من حديد. إن حياة كل جندي إسباني هامة جدا... فإذا سقط (المورو) في ساحة الحرب يعتبَر ذلك حادثا مهنيا، بينما إذا حصل نفس الأمر مع جندي إسباني.... ستبقى أم إسبانية تذرف الدموع الساخنة ولن تجد الدولة الإسبانية أي سبيل لمواساتها.»** (5)

وفي شهر بيرائر 1936 إنتصرت الجبهة الشعبية الإسبانية في الإنتخابات وبفارق مليون صوت. فقام الضباط الفاشيست بإعداد التمرد العسكري ضد الجمهورية الإسبانية. وانعقد بمقر الإقامة العامة في تطوان إجتماع ضم الباشوات والقياد والأعيان، ترأسه **(فرانكو)** وطلب منهم تجنيد المحاربين للذهاب إلى إسبانيا.

وبلغ عدد المجنَّدين مائة ألف، إلا أن بعض الكتاب الإسبان قدر عدد المشاركين

---

3 – نص الرسالة في : محمد زنيبر، صفحات من الوطنية المغربية، دار النشر، الدار البيضاء، 1976، ص 78.

4 –ن. م. ص 79.

5 –ماريا روسا دي مادارياغا، مغاربة في خدمة فرانكو، ترجمة كنزة الغالي، الدار البيضاء 2006 ص 82..

المغاربة في الحرب الأهلية الإسبانية بحوالي ثلاثمائة ألف.[6]

وحينما دخل (فرانكو فرنسيس **1892 - 1975**) مدينة (طوليدانو) كان (**محمد أمزيان 1897 - 1975**) شريكه في محاربة الثورة الريفية، يقود المرتزقة المغاربة الذين ارتكبوا مذبحة شنيعة خلفت آلآف القتلى والجرحى في صفوف السكان الإسبانيين بالمدينة.[7]



المغاربة في «الطابور» الإسباني

وفي الحرب العالمية الثانية ساق الإستعمار الفرنسي ثلاثمائة ألف مغربي إلى جبهات القتال من سنة 1939 إلى 1945. وجعل منهم غطاء واقيا للجنود الفرنسيين. وفي حرب إيطاليا وحدها بلغ عدد المغاربة خمسة وسبعين ألفا قادهم إلى جحيمها الجنرال (**الفونس جوان 1888 - 1967**).بينما بلغ عدد الجنود الفرنسيين خمسة وثلاثين ألف فقط. وكان (الكوم) معظمهم أمازيغ مسلحين بالخناجر وفي أحزمتهم تتدلى القنابل اليدوية، ويتسللون في فرق محدودة العدد إلى مواقع المدفعية الألمانية في المناطق الجبلية المنيعة، ويلقون القنابل اليدوية داخل الموقع العسكري، فيضطر الألمان إلى الخروج من مخابئهم ليجدوا سكاكين المغاربة في انتظارهم. وبتلك الطريقة تتوقف المدافع وتتمكن الجيوش الفرنسية والإنجليزية من التقدم إلى الأمام.

وتفيد بعض الإحصائيات أن ثمانية آلآف مغربي قتلوا وأصيب آلآف بجروح، ولم يبق إلا القليل من عشرين ألف التي كانت تؤلف فرق (الكوم) المغاربة في إيطاليا وحدها.

---

6 – محمد حمو الإدريسي، الحركة الوطنية بالشمال ودورها في إستقلال المغرب والجزائر، مطابع البوغاز، طنجة 1990 ص 42.

7 – مغاربة في خدمة فرانكو، م. س. ص 202


«الكوم» المغاربة في الجيش الفرنسي

وفي غمار الحرب العالمية الثانية قام الألمان من جهتهم بتجنيد المرتزقة من بلدان شمال أفريقيا والمنطقة العربية، وجمعوهم في فيلق أطلقوا عليه إسم (اللفيف الألماني العربي D.A.L. Deutsches) (Arabiches Legion وأسس الجيش الألماني كذلك (الفصائل الألمانية العربية .SKADAT (Kommando Deutsche - arabicher Truppen وهي فرق تشبه (الكوم)، وكانت واحدة في تونس تضم خمسمائة من المجندين التونسيين، في حين أن الإيطاليين حلفاء ألمانيا في الحرب جندوا عددا كبيرا من الليبيين بمساعدة شيوخ الطريقة السنوسية، وكونوا منهم فرقا متخصصة في استخدام المدفعية المضادة للطيران، وفرقة مَغاوِر للعمليات الهجومية المباغتة.(8)



المرتزقة من بلدان المغرب العربي في الجيش الألماني

وهكذا وجد الإمبرياليون باختلاف جنسياتهم في المسلمين حَطَباً رخيصا لإشعال النار في كل مكان.

وفي يوم 17 يوليوز 1955 شهدت مدينة الدار البيضاء أحد أكبر المجازر التي ارتكبتها

8 – Les grandes batailles de l›Histoire, la CAMPAGNE de Tunisie 1943, Paris 1993

القوات الفرنسية. فقد قام المجندون المسلحون بالبنادق الرشاشة، بتمزيق صدور إخوانهم المتظاهرين المطالبين بالإستقلال وعودة محمد الخامس إلى عرشه.[9]


المستعمر والمرتزق يحتجزان النساء والأطفال

وكرر المرتزقة فعلتهم في مكناس ومراكش وَالرباط في نفس الشهر. وشاركوا بقساوة متناهية في المذابح التي باشرها الجيش الفرنسي في واد زم وخريبكة وخنيفرة في شهر غشت 1955، وحسب الشرطة الفرنسية فقد بلغ عدد القتلى سبعمائة شخص، وكتب الوزير الفرنسي (بيير جولي) الذي كان مكلفا بالشؤون المغربية والتونسية، إن عدد القتلى يُعد بالمئات.[10]

وبمجرد إعلان الإستقلال الشكلي قام المستعمرون الفرنسيون والإسبان بنزع بدلة جيشهم عن المرتزقة المغاربة، وألبسوهم بدلة عسكرية أخرى تَحمل شعار الجيش الملكي، ومنحوا ضباطهم رُتبًا عسكرية أعلى، وأصبحوا بين عشية وضحاها قادة الجيش الوطني المغربي.

واستأنف الضباط المرتزقة جرائمهم التي بدؤوها بالريف في العشرينات ضد ثورة عبد الكريم الخطابي، وفي الثلاثينيات ضد الثورة السورية الكبرى، وفي الخمسينات ضد الفيتنام وكوريا.

وشنوا هجمة دموية ضد سكان الريف في آخر 58 وبداية 1959

9 – Maroc PRESSE 18-7-1955.

10 – Pierre July, une République pour un Roi, Paris, 1974, P. 176.

بالدبابات والمدافع وبمساعدة الطائرات الحربية التي كان يقودها طيارون فرنسيون لإنعدام وجود طيارين مغاربة آنذاك. وسقط مئات القتلى والجرحى، فقط لأنهم طالبوا بحقهم في العمل وفتح المدارس وإصلاح الطرق.[11]

وعاد المرتزقة ضباطا وجنودا وعلى رأسهم السفاح الجنرال أوفقير إلى ارتكاب مذبحة متناهية الوحشية، واستخدموا البنادق الرشاشة وطائرة عمودية في قمع المظاهرات الشعبية المطالبة بالحق في الشغل والتعليم يوم 23 مارس 1965 بالدار البيضاء. وأنهى الضابط أوفقير المتشبع بفكر المدرسة الإستعمارية مسيرته الإجرامية بمحاولتين لقلب نظام الملك الحسن الثاني في سنتي 1971 - 1972.

إن ماسَرَدْناه بإختصار عن السلوك الشنيع للمرتزقة المغاربة في الجيوش الإستعمارية، ترجع أسبابه بالدرجة الأولى إلى سياسة التفقير التي مارسها الحكام على الجماهير. فإلى نهاية القرن التاسع عشر كان سكان البوادي يمثلون تسعين بالمائة من مجموع الشعب، فالشغل لم يكن متوفرا والزارعة بدائية غير كافية، والمدارس منعدمة، والأمراض منتشرة، وإذا جادت السماء بالمطر وسخت الأرض بزرعها وامتلأت ضروع المواشي لبنا، فإن السلطان يرسل جنوده لجباية الضرائب القديمة والجديدة، ويحكم على القبائل بالعيش في الفقر المدقع. وأنتجت سياسة النهب والتجويع ظروفا قاسية على حياة الناس. واندفع آلآف الأميين المقهورين إلى الإنخراط في جيوش الإستعمار يبيعون أرواحهم من أجل رغيف الخبز الذي لم توفره لهم دولتهم. وهذا ما عبَّر عنه المجاهد **عبد الكريم الخطابي** بألم ومرارة:

«....لولا اعتماد العدو على بعض إخواننا الذين باعوا شرفَهم ودينَهم بثمن بخس دراهم معدودات، لأصبح من زمان هشيما تذروه الرياح على هاته الجبال والبطاح. لكنهم وقفوا عقبة في وجهنا وحاجزًا يمنع وصول ضربتنا إليه وأي مقْتٍ أكبر من أن

11 - حديث مع المقاوم محمد منصور، عامل إقليم الحسيمة أثناء وقوع الأحداث.

يقف المسلم بجنب عدوه وعدو دينه يحارب أخاه المسلم. إن هذا لهو الشقاء الفظيع والعار الشنيع.» [12]

والوثائق الإسبانية تؤكد أن **(فرانكو)** استغل بؤس المغاربة وحالتهم المزرية وأعطاهم «**الراتب الشهري والمواد الغذائية من سكر وزيت وخبز**» وأرسلهم إلى الموت من أجل قضية ليست قضيتهم.

إن أولئك المحاربين الأشداء الذين دخلوا تاريخ الحروب الإستعمارية بصفتهم مرتزقة، كانوا جزءا من الشعب المقهور، فلو وجدوا سلطة وطنية عادلة تخرجهم من الفقر والجهل لما كانت أية دولة إستعمارية قادرة على إحتلال المغرب واستخدام أبنائه في المهام القذرة أينما وكيفما شاءت. فلقد كانوا فعلا في الحروب «**شجعانا ولكنهم بدون رؤية منسوبة ولا هدف إنساني نبيل**».[13]

وليس هناك أدنى شك في أن عشرات الآلاف من المغاربة الذين شاركوا في الحروب الإستعمارية كانوا مواطنين جائعين ومعظمهم بلا وعي ولا ضمير.

12 –محمد زنيبر، صفحات من الوطنية المغربية، م. س. ص 78.

13 –عبد الله إبراهيم، نداء الحرية بين المغرب العميق والمغرب الجديد، الدار البيضاء 1995، ص 116.

الفصل السابع

الفقهاء بين الولاء للسلاطين والتعاون مع الإستعمار

****

تزوير الحديث ومحاربة العقل

في بداية الدولة الإسلامية كان الخلفاء الراشدون يقومون بمهمة القضاء، إلا أن تكاثر الفتوحات وانشغالهم بقضايا جديدة جعلتهم يتركون الوظيفة لمن تتوفر فيه المعرفة بأحكام الشريعة وأصول الدين. وأطلق عليهم **الخليفة الثاني عمر بن الخطاب** (634 – 644م) إسم القُضاة، وأرسل عددا منهم إلى البلدان المفتوحة، وخصص لهم راتبا شهريا يكفيهم للقيام بمهامهم، غير أن طائفة منهم أغواهم الطمع وانغمسوا في جمع الثروة ضدا على تعاليم الدين.

وكان من بينهم **(أبو هُرَيْرة)** الذي عيّنه **سيدنا عمر بن الخطاب** على البحرين، فجاءته الأخبار بأنه أصبح من كبار الأغنياء فاستدعاه وسأله أمام الناس :

«**كيف استأثرت بهذه الأموال يا عدو اللّه وعدو كتابه؟**» فأجابه :

«**خيْل نَتجتْ وغلّة ورقيق لي، وأُعْطيَّة تتابعتْ لي.**» [1]

فعزله الخليفة واَختفى ولم يظهرٍ بشكل علني إلا بعد أن اغتصب **معاوية بن أبي سفيان** السلطة، وأصبح من مناصريه، يروي الأحاديث لدعم حكمه.

وكان **النبي** (ص) اتخذ كُتَّابًا للوحي ونهى عن كتابة شيء آخر حتى لا يختلط بكلام البشر. وقال : «**لا تكتبوا عني غير القرآن، ومن كتب**

1 – بن كثير إسماعيل بن محمد الدمشقي (ت 774هـ 1372م) البداية والنهاية، المجلد الأول، ص 1630. بيروت 2005.

عني شيئا غير القرآن فليَمْحه.» [2]

وكان الخليفة **عمر بن اَلخطاب** أول من استشعر الخطر من الأحاديث المزورة حينما وجَّه كلاما صارما إلى **أبي هريرة** قائلا : **«لتَتركنَّ الحديث عن رسول اللّه أو لألحقنَّك بأرض دوس.»**

وقال لكعب الأحبار : **«لتتركن الحديثَ أو لألحِقنَّك بأرض القردَة.»** [3]

وَعابت السيدة عائشة زوجة **النبي (ص)** على أبي هريرة المبالغة في سرد الأحاديث وقالت له : **«أكثرت الأحاديث عن رسول اللّه يا أبا هريرة.»** [4]

وعندما بعث سيدنا عمر **أبا موسِى الأشعري** إلى العراق قال له : **«إنك تأتي قوما لهم دَويُّ القرآن كَدَوِيِّ النحل فدَعْهم كما هُمْ عليه ولا تُشغلهم بالأحاديث.»** [5]

وأورد **بن عساكر** حديثا عن أبي هُريرة نسبه إلى **رسول اللّه** يقول : **«الأمناء ثلاثة : جبريل وأنا ومُعاوية.»** وعلق الفقيه بن كثير بقوله : **«إن هذا من أنكر الأحاديث.»** [6]

ومع انقسام المسلمين بين المذاهب الأربعة : المالكية والحنفية والشافعية والحنبلية، وتشتتهم بين طوائف الخوارج والمعتزلة والمُرجئة والشيعة والسنة، والرافضة والجعفرية. والإسماعلية والباطنيَة، والقرامطة والظاهرية والزيدية وغيرها، فقد تنافس الفقهاء المنتمون لمختلف المذاهب والطوائف في اختلاق الأحاديث المزيفة التي تخدم مصالح الجهات التي ينتمون إليها.

فهناك من نسب إلى **رسول اللّه (ص)** حديثا يقول : **«إذا رأيتم**

---

2 – رواه مسلم في كتاب الزهد.

3 – بن كثير، البداية والنهاية، ن. م. ص 1626.

4 – ن. م. ص 1627

5 – ن. ص.

6 – ن. م. ص 1635.

معاوية على منبري فاقتلوه.» وفي مُقابله حديث مُضاد يقول : «**إذا رأيتم معاوية على منبري فاقبلوه فإنه أمين مأمون.** [7] »

وفي حديث آخر أن **رسول الله** استشار **جبريل** في استكتاب **معاوية** فقال له **جبريل** : «**استكتبه فإنه أمين.**» [8]

وبما أن الحديث كان شفاهيا تتناقله الأجيال، فإن الشروع في تدوينه لم يبدأ إلا في القرن الثاني الهجري (سنة 143هـ 760م). ولذا فإن معظم الأحاديث المزورة المسماة (موضوعة) ظهرت في عهد بني أميَّة (661 – 750م) وفي الحكم العباسي (750 – 1258م) وهو ما ألحق بالغ الأذى بعقول المسلمين.

وكان الخليفة **عمر بن الخطاب** أول من اجتهد في الشرع ووجد معارضة من بعض الفقهاء. فقد امتنع عن توزيع أراضي الشام والعراق علِي الفاتحين، وقرر إبقاءها في ملكية أصحابها على أن يدفعوا عنها الخَرَاج. [9] فرفض الفاتحون التنازل عن امتيازاتهم، وجاء الفقهاء الموالون لهم يجادلون بالقرآن : «**واعلموا أنَّما غَنمْتم من شيء فإن للّه خُمُسُه وللرسول....**» [10] وطالبوا بتوزيع أَربعة أخماس الباقية على أفراد الجيش الفاتحين لتلك الأرض. وكان مع المهاجرين أيضا فقهاؤهم، واشتد الخلاف بين الطرفين. واقتنع فقهاء من الأنصار برأي الخليفة **عمر بن الخطاب** ورجَّحوا الكفة لصالحه في نقاش مفتوح.

ومن جهتهم أظهر «**المُؤَلَّفَةُ قُلوبُهم**» من رؤساء القبائل غضبهم عندما قطع عنهم الخليفة العطايا التي كان يمنحها لهم **النبي (ص)** لإرضائهم وتجنيب الدولة الإسلامية الوليدة شرَّهم، وتعللوا بالآية القرآنية «**إنَّما الصَّدَقاتُ لِلفُقَراءِ والمَساكِينِ والعَامِلينَ عليْهَا والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهم.**» [11]

---

7 – ن. م. ص 1642

8 – ن. م.

9 – الخَرَاج ما يُخرج من غلة الأرض.

10 – الأنفال، السورة 8، الآية 41

11 – التوبة 9 / 60.

فأجابهم الخليفة بأن النبي كان يعطيكم يوم كان الإسلامُ ضعيفا، أما وقد أصبح الإسلامُ قويا فلا حق لكم فيها.

وفي عام المجاعة رفضِ الخليفة تطبيق العقابِ على السارق: **«والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فاقْطَعُوا أيْدِيَهُمَا جَزَاءَ بما كَسَبَا نَكالاً مِنَ اللَّه واللَّه عَزِيز حَكيمَ.»** [12]

وبذلكَ كان الخَليفة الفاروق[13] **يجتهد بالعقل حتى في قضايا قَطعيَّة الثبوت واردة في القرآن.**

فإذا كانت الأدلة الشرعية هي كتاب اللّٰه وسنة رسوله وإجماع المجتهدين على حكم شرعي وقيَّاس القضايا الطارئة بما جاء في القرآن والسنة النبوية، فإن اجتهاد **عمر بن الخطاب** رضي اللّٰه عنه كان منبثقا من الفكر الثاقب والرأي السديد والعقل النيِّر الواعي بالظروف المُستجدَّة التي سعت فيها الأقلية إلى السيطرة على الإقتصاد للإنحراف بالمجتمع الإسلامي إلى ما نهى عنه القرآن: **«كيْ لا يَكُونَ دَوْلَةً بَيْنَ الأغنيَّاء منكُمْ...»** [14]

وفي ظروف سيطَرة الحكام المستبدين وانحطاط القيم في المجتمع الإسلامي، تقرب الفقهاء من الأمراء والسلاطين، وما لبثوا أن تدخلوا في السياسة يبايعون الحكام وأحيانا يحرضون عليهم العامة، واندفعوا يُحلّلون ويُحرّمون ويُكفّرون المؤمنين، ويستعملون الدين لتبرير دفاعهم عن مصَالح فئوية باستثناء أقلية منهم تحاشوا استغلال الدين لخدمة الأهواء والنزوات، وسنتعرف على بعضهم في مكان آخر من هذا الكتاب.

---

12 - المائدة 5 / 38.

13 - 10 الفاروق من يَفْرُقُ الحقَّ من الباطل وهو لقب الخليفة عمر بن الخطاب.

14 - الحشر 59 / 7.

تخاذل الفقهاء أمام الغزو الصليبي والمنغولي

في سنة 447هـ 1055م اجتاح الأتراك السلجوقيون بغداد، وبعد سنوات تقدموا لاحتلال دمشق. **وخاف الفقهاء على مراكزهم وحاولوا بتبريرات فقهية تزكية الإحتلال بدعوى أن الأتراك مسلمون.**

وفي عام 562هـ 1166م غزت جيوش الصليبيين الأوربيين الديار المصرية **ومعهم القسيسون والرهبان يُحمّسونهم على قتل المسلمين**، وبالمقابل **إنكمش العَلماء والفقهاء في بيوتهم َمع نسائهم**، وفعل الصليبيون ما شاؤوا دون أن يلاقوا أدنى مقاومة.[1]

وشهدت سنة 504هـ 1110م هجوم النصارى على صيدا وغيرها من مدن الشام، وعوض أن يُحرّض الفقهاءُ المؤمنين على القتال لحماية «**دار الإسلام**» تخاذلوا، وتحت ضغطَ السكان الذين أرغموهم على الخروج من بيوتهم لقيادة الكفاح، تجهَّزت جماعة منهم لرد العدوان، وكان على رأسهم الفقيه **ابن الزاغوني**، وما أن قطعوا مسافة من طريقهم إلى الجبهة حتى رجعوا إلى بيوتهم مُدَّعين أنِ عدد النصارى كبير[2]. ونسوا قول الله «**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قليلة غَلَبَتْ فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين.**»[3]

وأمامَ المذابح الفظيعة التي ارتكبها الصليبيون في بيت المقدس سنة 490هـ 1096م، تخلّف معظم الفقهاء عن الدعوة للجهاد وعلى رأسهم **محمد أبو حامد الغزالي** (450 – 505هـ 1058 – 1111م). وكان شاهدا على جرائم الصليبيين ولم يتحرك لنصرة المسلمين. وظل قابعا في بيته على الرغم من شعبيته الواسعة التي لو وظفها في تجييش المؤمنين لكان وفَّر أرواح المسلمين ودماءهم التي سفكها الملوك والأمراء الأوربيون على طول مائة وخمسة وسبعين سنة من سنة 1096 إلى 1270. **وفي خِضمِّ الغزو الصليبي كان أبو حامد**

1 – بن كثير، البداية والنهاية، المجلد 2 و ص 2609.

2 – ن. م. ص 2548

3 – البقرة السورة 2، الآية 247

الغزالي يُفتي بقتل الشيعة والإسماعلية. [4]

ولا يزال َالبعض يسميه «**حُجَّة الإسلام**»، واشتهر بكتابه «**إحياء علوم الدين**» وقد شنَعَ عليه **أبو الفرج الجوزي** (510 – 597هـ 1116 – 1200م) في ذلك تشنيعا كبيرا. وصنَّف كتابا ردا على «**إحياء علوم الدين**» سمَّاه «**إعلامُ الأحياء بأغاليط الإحْيَاء**.»

ورفضه المغاربة وقالوا عنه هذا كتاب »**إحياء علوم دينه. أما ديننا فإحياء علومه هو كتاب اللّه وسنة رسوله.** [5]

وتلقى **محمد بن تومرت**، وهو مؤسس دولة الموحدين، دراسته في علوم الدين من الأصول والفروع على الغزالي وغيره. إلا أنه «**أنكر على الغزالي حُسنَ ملابسه.**» [6]

وقال **بن كثير**، وهو من علماء السنة الكبار، عن «**إحياء علوم الدين**» أنه يحتوي «**أحاديث كثيرة غرائب ومنكرات، ومنها ما هو موضوع... والكتاب الموضوع للرقائق والترغيب والترهيب أسهل أمرا من غيره...**» [7]

وأنهى أبو حامد الغزالي حياته «**في بلدة طوس وابتنى بها رباطا، واتخذ دارا حسنة وغرس فيها بستانا أنيقا...**» [8]

وفي عام 656هـ 1258م سقطت بغداد ومعها **الخلافة العباسية** تحت أقدام قبائل **التتار** الهمجية. ولم ينتبه الخليفة **عبد اللّه المعتصم** إلا بعد أن اخترق سهم النافذة وأصاب جارية كانت ترقص أمامه. [9]

وخرج الخليفة العاهر وهو يرتعد وبصحبته حاشية السوء وجماعة من القضاة والفقهاء يطلبون «**الأمان**» من الغزاة.

فما كان من **(هولاكو)** قائد **التتار** إلا أن أمر بذبحهم جميعا وأبقى على وزيرين عميلين **إبن العلقم البغدادي** وزميله **النصير الطوسي**. واستكان باقي

---

4 – إبن الأثير عز الدين علي (1160 – 1232م) الكامل في التاريخ ج. 6، ص 221.

5 – بن كثير، البداية والنهاية، ص 2549

6 – بن كثير، ن. م. ج2. ص 2558

7 – ن. م. ص 2549.

8 –ن. م. و ص.

9 – ن. م. ص 2815

الفقهاء ولم يحرضوا المؤمنين على القتال، فكان **التتار** يذبحون المسلمين مثل الدجاج ويلقون بهم في الواد إلى أن اصطبغت مياه دِجلة والفُرات بلون الدم.[10]



سيف التتار في رقاب الجبناء

وبعد **(هولاكو)** جاء الطاغية المنغولي **(تيمور لانك)** واحتل جميع الأراضي في العراق والشام بدون مقاومة لا من طرف **الحكام المستبدين** ولا من طرف **الفقهاء والقضاة** الذين كانوا قادرين على تجنيد الفقراء باسم الإسلام.

وعوض تنظيم المقاومة ذهب الفقهاء يطلبون من الطاغية (تيمور) الأمان على بيوتهم ونسائهم « **....فخرجوا إليه فأحسن لقاءهم وكتب لهم الرقاع بالأمان... واتفقوا معه على فتح المدينة من الغد...** »[11]

وهكذا ساق الفقهاء الجبَناء جماهير المسلمين إلى أَتُون الذُّل والمَسْكَنَة والخضوع للمحتلين.

وطال احتلال التتار والمنغول للأراضي العربية حوالي مائتي سنة (1258 – 1339م). ودام الإستعمار التركي قرونا كاملة جاثما على الأراضي العربية باستثناء المغرب الأقصى. واكتمل انهيار الحضارة العربية بسقوط الأندلس سنة 1492م. ودخل المسلمون من الخليج إلى المحيط حتى أدغال أفريقيا عصور التخلف وتعطلت عقولهم، وغرقوا في مستنقعات الإنهزامية العلمية والإقتصادية والعسكرية، وظل العلماء المتواطئون مع الحكام المستبدين يغمضون أعينهم عن كلام اللّه : **«وما أَصَابَكُمْ من مُصِيبَةٍ فبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ...»**[12]

---

10 – ن. م. ص 2818.

11 –عبد الرحمان بن خلدون، كتاب العبَر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطَان الأكبر. دار الكتب العلمية، بيروت 2006. ج7. ص 619.

12 – الشورى الآية 30.

عُلماء مغاربة ساروا في قافلة الإستعمار

لم تسجل الوقائع التاريخية اختلافا كبيرا بين مواقف الفقهاء في المشرق والمغرب.فأغلبيتهم الساحقة كانت مطبوعة بالخضوع والانبطاح أمام الحكام المستبدين، والإنصياع لأوامر الغزاة الأجانب، وارتبطوا على الدوام بالولاء للقوي يصدرون فتاوى آثمة لفائدته خوفا من عقابه وطمعا في ماله، بينما ظلت الأقلية الصادقة المدافعة عن الحق مقموعة ومُحَاصَرَة.

وفي تاريخ المغرب عشرات الفتاوى الظالمة التي أصدرها العلماء لخدمة السلاطين واستجابة لطلب الإستعمار الأجنبي. ومن بين الفتاوى المزيفة تلك التي أجازوا فيها للسلطان **أحمد المنصور السعدي** (1578 – 1603م) غزو السودان وقتل المسلمين بهدف الإستيلاء على معادن الملح والذهب.

وأضفى العدد الأكبر من الفقهاء الشرعية الدينية على قرار السلطان **مولاي إسماعيل العلوي** (1672 – 1727م) باعتبار المغاربة من أصل إفريقي **عبيدا في ملك الدولة**، وأفتوا بتجنيدهم في «**جيش العبيد**» ليحاربوا القبائل الثائرة.

وفي عهد السلطان **مولاي عبد الرحمان** (1822 – 1859م) أصدر العلماء فتاوى وصفوا فيها القبائل الثائرة ضد الحكام الظالمين بـ : «**قُطَّاع الطرق**» التي يجوز قتالها. [1]

وإلى عهد قريب وبمناسبة «**المسيرة الخضراء**» إرتفعت أصوات الفقهاء فوق المنابر تردد «**إنا فتحنا لك فتحا مبينا**»، وهي آية خاطبت **النبي (ص)** وهو يواجه المشركين في **الحُديْبِيَّة**. وملك المغرب ليس نبيا والصحراويون ليسوا مشركين.

ومنذ توقيع معاهدة «**الحماية**» بالمغرب يوم 30 مارس 1912. هَرْوَلَ فقهاء كانوا يعتبرون أنفسهم إصلاحيين إلى الركوع أمام ضباط الإستعمار الفرنسي والإسباني. فالفقيه أحمد بن الموَّاز تزلَّف للسلطة الإستعمارية ورآى فيها «**منبع الإنسانية التي تميزت بها العوالم، ومنشأ المساعي الجميلة التي**

1 – الإستقصا، ج5 – ص. 22.

لا يُحصيها لا فطن ولا راقم، ومظهر المعارف التي اكتسبت التمدن أحسن الصفات، وينتجُ الإستعمارُ بفضلها إن شاء اللّه نتائج الخيرات.» [2]

وأعلن الفقيه محمد بن الحسن الحجوي أِن التجار وكل الفئات التي لها مصلحة في الهدوء والإستقرار «**سمعت عدل فرنسا وقوة نظامها، فعشقت ذلك ومالت إليه بكلية جمهورها، ونفضت من فكرها كل تعصب ديني أو جنسي.»** [3]

ولم يترك الفقيهان الوزير الحجوي والموظف السامي بن المواز مناسبة تمر دون أن يمتدحا المقيم الفرنسي العام الجنرال ليوطي. قال فيه الفقيه الحجوي «**سَحَرَ الشعبَ المغربي ونوَّمَه تنويما مغناطيسيا، فأحبه محبةَ بني اسرائيل للعجل. وقبض على أعصاب المغرب بأصابيع فولاذية تحت قفاز من حرير. فصار الجنرال هو دماغ المغرب، وجميع المغاربة أعصابًا يصرفهم كيف يشاء.»** [4]

وقال الفقيه بن المواز «**إن المقيم العام انفرد بمزيات مقدرة وتدبير وعدالة، وأوصافه لا تُحصر وشُكرَ أعماله لا يُنكر...»** [5]

ووصف الفقيه الحجوي القبائل التي كانت تقاوم الغزو الفرنسي بأنها «**رعيّة جاهلة بسيطة الفكر...»** [6] وأثنى الفقيه بن المواز على الإدارة الفرنسية : «**مازال فضل أركان السياسة ظاهرا في قطع الفتن وعموم الأمن، وتأسيس التنظيمات مادة وأدبا وشجرا وفلاحة واقتصادا.»** [7]

ولم يتردد الفقيه **عبد الحي الكتاني**، وكان من المراجع الدينية المهمة، في

---

2 – أحمد بن المواز، حجة المنذرين على تنطع المنكرين، طبعة حجرية بفاس، نقلا عن سعيد بن سعيد العلوي، الإجتهاد والتحديث. دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا 1992 ص 71.

3 –محمد الحجوي، تقرير تاريخي من حالة المغرب بعد الحماية، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط (ح 254)

4 – بن سعيد، الإجتهاد والتحديث، ص 75

5 – ن. م. ص 123

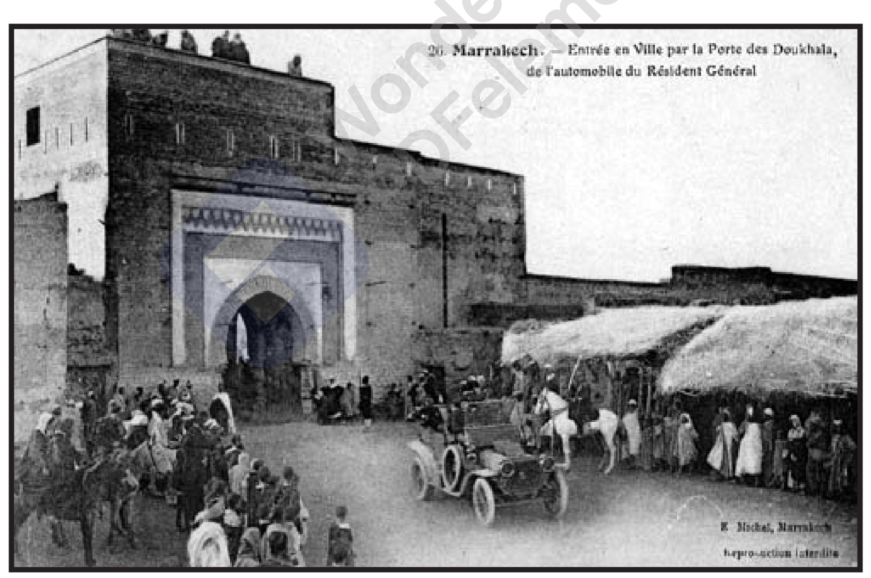
6 – ن. م. ص 74

7 – ن. م. ص 123

الارتماء في أحضان الجيش الفرنسي بمجرد الاستيلاء على فاس، وكان ينتظر الفرصة الملائمة للإنتقام لأخيه الفقيه **محمد عبد الكبير الكتاني** المقتول سنة 1909 في السجن تحت سياط الجلادين.

ولم يتخلف **الفقيه والشيخ أبو شعيب الدكالي** عن إبداء ولائه للسلطة الإستعمارية. وتولى القضاء ومهَّدَ النفوسَ لدخول الجيش الفرنسي إلى مدينة مراكش بإلقاء الخطب في المساجد مُدعيّا أن الدول الأوربية قوية ولا تمكن مقاومتها. وواجه بعُنْف الكلام **الشيخَ الهيبة ماء العينين** الذي جاء من **السمارة** على رأس المكافحين الصحراويين لمقاومة الغزو الفرنسي.[8]

ولما انسحب **ماء العينين** من مراكش بعد هزيمة جيشه في سيدي بوعثمان.[9] وقف **العالم السلفي أبو شعيب الدكالي** في باب المدينة ليُهنِّئَ الجنرال (مانجان) قائد الجيش الفرنسي على انتصاره.[10]



الجنرال ليوطي يدخل مدينة مراكش

---

8 – عبد الوهاب بن منصور، مؤرخ المملكة، أعلام المغرب العربي، ج2. ص 200، الرباط 1971.

9 – أنظر الفصل الخامس

10 – المختار السوسي، المعسول، ج4. ص 158.

وتمت ترقيته من قاضي إلى وزير العدل، وحاز أملاكا واسعة. وعندما أُعْفي سنة 1923 من الوزارة بسبب مرضه، إحتفظ بلقب وزير شرفي، ومنحته الإدارة الفرنسية وسام الشرف من درجة (كوماندون) [11]

وكما كان السلاطين يُسخّرون العلماء لتزكية حكمهم بفتاوي وتبريرات دينية، فإن المستعمرين استَعانوا بهم في تخدير عقول العامة بالمواعظ الضالة والمخادعة لإبعادهم عن المقاومة الشعبية. وقام عدد منهم بإلقاء الخطب في المساجد ضد رجل الدين المستنير عبد الكريم الخطابي حينما كان يلحق أقسى الهزائم بالجيوش الإسبانية والفرنسية في جبال الريف.

وبلغ الإنحطاط والنفاق بفقهاء السلطة إلى الإحتشاد أمام نافذة الغرفة التي كان **الماريشال ليوطي** يتلقى فيها العلاج، ورددوا على مسمعه «**اللهم يا لطيف ألطف بما جرت به المقادير**» ورفعوا أكفهم بالضراعة إلى اللّٰه أن يُمَتّعه بالشفاء في الوقت الذي كانت فيه قواته تسحق إخوانهم في جبال الأطلسَ. [12]

---

11 – عبد اللّٰه الجراري، من أعلام الفكر المعاصر، ج2، ص 271، الرباط 1969.

12 – Marc de Mosiers, Promenade a Fès, Casablanca 1933, P. 8.

العلماء المنحرفون طالبوا بإعدام الفدائيين

في سنة 1930 أيَّدَ العلماءُ الرسميون «**الظهير البربري**» الهادف إلى تقسيم المغاربة على أساس عرقي. وكان في مقدمة المتحمسين لمخطط التقسيم العالم **أحمد بن الجيلالي لمغاري** رئيس المجلس العلمي لعلماء القرويين بفاس. وأثناء زيارة رئيس الجمهورية الفرنسية (كاستون دوميرك 1863 – 1937 Gaston Doumergue) إلى مدينة فاس سنة 1931، وشَّحَ صدره بوسام فرنسي من درجة (**ليجيون دونور**) [13] وأعطاه عشرين ألف فرنك فرنسي وهو مبلغ كبير في ذلك الوقت، مكافأة له على موقفه المؤيد لفصل الأمازيغ عن العرب، وأطلق عليه سكان فاس (**الكومندان أحمد**). [14]

وخصصت السلطة الإستعمارية لكثير من علماء الإرتزاق رواتب مالية من أموال الأوقاف لكي يلتزموا الصمت حول مخطط تقسيم المغاربة. [15] وقال عنهم الداعية الإسلامي **شكيب أرسلان** في رسالة له : «**لقد ظهر من العلماء الرسميين في مسألة (الظهير البربري) نذالة تامة بل هي لا مَرَاءَ نوع من الردَّة لأنهم كانوا يوبخون الشبان والعامة على هيجانهم تزلفا للفرنسيين، وبعضهم لأجل تسويغ هذه المؤامرة على دينه كان يقول : إن البربر هُمْ أكفَرُ من الإفرنج.**» [16]

والتجأ المقيم الفرنسي العام (**الجنرال نوجيس 1876 – 1971 Charles Nogués**) في حربه ضد الحركة الوطنية إلى طلب مساعدة العلماء الذين أصدروا فتوى يوم 18 مارس 1937 تقول : إن ما تقوم به (**كتلة العمل الوطني**) من تنظيم الناس وأداء قَسَم الوفاء للمبادئ النضالية مُنافي لتعاليم الدين الإسلامي، واعتمد الجنرال على الفتوى الكاذبة وأقدم على حل (**الكتلة**)

13 – محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، ج3. ص 84.

14 –الحسن بوعياد، الحركة الوطنية والظهير البربري، الدار البيضاء 1979 ص 294.

15 – ن. م. ص 467.

16 – ن. م. ص 88.

ومنعها من كل نشاط، ثم قام بحملة قمع شرسة ضد الوطنيين.[17] وفي سنة 1944 سقط عشرات المغاربة بمدينة فاس وغيرها وهم يطالبون بالإستقلال. فذهب المقيم العام (كابرييل بيو **1943 - 1946 Gabriel Puaux**) إلى العاصمة العلمية وكان في مقدمة المستقبلين **الفقيه العلامة مولاي عبد اللّه الفضيلي رئيس المجلس العلمي والعلماء مولاي إسماعيل الإدريسي قاضي السماط والعربي لحريشي عضو المجلس العلمي، والفقيه الزرمزمي الكتاني كاتب المجلس العلمي، والفقيه محمد بناني والعالم بن سودة الطالب،** وعبَّروا له عن تأييدهم للإستعمار.[18] وشارك **القاضي أحمد سكيرج** بحملة هوجاء ضد الوطنيين بمقالاته في الصحف التابعة للإدارة الفرنسية في المغرب والجزائر.[19]

وفي منطقة الإحتلال الإسباني بشمال المغرب، وضع معظم العلماء أنفسهم رهن إشارة ضباط الإستعمار، وأصدروا فتوى تُلزم المسلمين بالإنخراط في جيش (فرانكو **1892 - 1975 FRANCO**) الدكتاتور الذي ذبح المغاربة في الريف من سنة 1921 إلى 1927. وتزعم عام 1936 التمرد المسلح ضد الجمهورية الشعبية الإسبانية.

وانكشفت عورة العلماء المتاجرين بالإسلام حينما قادوا حملة دعائية لتشويه سمعة **الملك الوطني محمد الخامس** بعد إصراره على المطالبة بالإستقلال. وبحضور كبار المسؤولين الفرنسيين قاموا يوم 13 غشت 1953 في قصر **الباشا لكلاوي** بمبايعة **محمد بن عرفة «إماما للمؤمنين»** ومنحوا للإستعمار غطاء دينيا لتنفيذ مؤامرته بإبعاد **محمد الخامس** عن العرش. وكان على رأس الموقعين على البيعة الباطلة **الحسن مزور المفتي الأكبر** لمدينة فاس، **والطائع بلحاج رئيس المجلس العلمي** والعشرات من العلماء المنحرفين عن الدين.[20]

وفي يوم 20 غشت 1953 نشرت صحف الإدارة الفرنسية بيعة علماء فاس

17 – الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، ج3. ص 390.

18 – جريدة «السعادة» 3 – 2 – 1944

19 – عبد اللّه كنون، التقليد والتجديد، مجلة (الكرمل) عدد 11 ص 138. قبرص 1984

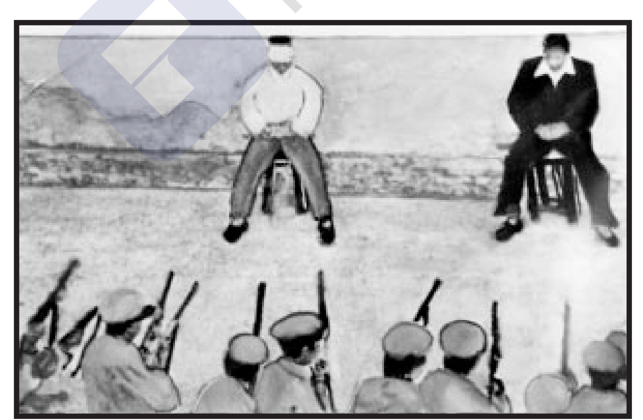
20 – أنظر كتابنا : كفاح المغاربة في سبيل الإستقلال والديمقراطية 1953 – 1973. الدار البيضاء 2004.

للسلطان الذي أجلسته فرنسا على العرش. وحملت توقيع أزيد من خمسين **عالما كلهم ينتمون إلى جامعة القرويين، ويُعدُّ عدد منهم من المراجع في الفقه والحديث.**(21)

ونفس الموقف المُشين اتخذه بالإجماع علماء مكناس والرباط ومراكش وغيرها في إعلانهم **"البيعة"** بطلب من سلطة الاحتلال.

وحينما اشتدت المقاومة المسلحة بالمدن، وجَّهت الإدارة الفرنسية رسالة باسم **«المخزن»** إلى العلماء ورؤساء جامعة القرويين ومعهد مكناس وكلية بن يوسف بمراكش وطلبت منهم **«إعطاء نظرهم الشرعي في مرتكب الأعمال الإجرامية... ويُبَيّنوا ما يستحقونه من العقاب جزاء أعمالهم التي بلبلت الأفكار وأذهبت الراحة والإطمئنان، وألقت في القلب الفزع والخوف.»**(22)

ولم يتأخر العلماء المأجورون في إصدار فتوى تطالب بإعدام الفدائيين وركَّزوا فتواهم الظالمة على الآية القرآنية **«إِنَّمَا جَزَاؤا الَّذين يُحَارِبُونَ اللّه وَرَسُولِه ويَسْعَوْن في الأرض فسادًا أن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أيْديهم وأرْجُلهم من خلافَ أَوْ يُنفوا من الأرض ذلك لهم خِزْي فِي الدُّنيا ولهمَ فَي الآخرَةِ عذاب عَظيمً.»**(23)



تنفيذ حكم الإعدام في حق المقاومين أحمد الراشدي والطاهر العلوي

21 – جريدة «السعادة» 22 غشت 1953

22 – «السعادة» 23 – 12 – 1953. وبالفرنسية في: La Vigie marocaine 22 – 12– 1953

23 – المائدة، السورة 5 الآية 33

وهكذا أَلْبَسَ العلماءُ المُدَلّسُون الحق بالباطل وتآمروا على المقاومين الصادقين، وتركوا الشرْعَ وراء ظهورهم وباعوا أنفسهم للاستعمار بأبخس الأثمان.

فتوى العلماء

الحمد لله

بعد انعقاد الهيئة المأمور بإجتماعها أعلاه واطلاعها على السؤال ثمة ودراستها له ممعنة النظر فيه ظهر لها حسب معلوماتها الشرعية أن من باشر قتلا وتبث عليه كما يجب يقام عليه الحد الشرعي المنصوص عليه في قوله تعالى : ”وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس“ وفي الشيخ خليل رحمه الله : وبالقتل يجب قتله إلى أن قال : وإن بإعانة، وتفصيل ذلك في شروحه : كما أن من باشر عملا إجراميا غير القتل، من تخريب أو إتلاف أو إرهاب أو أخذ مال مما يعد فسادا في الأرض كقطع الطريق وتخويفها وما في معناه وثبت عليه ذلك كما يجب يعتبر محاربا وتجب عقوبته وفق المنصوص عليه في كتاب الله تعالى : ”إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله“ – الآية – وإذا ظهر للإمام اختيار طريقة القتل للمحارب فله ذلك حسبما تقتضيه المصلحة بناء على ما تأول الأكثر عليه المدونة كما في حاشية الشيخ بناني. قال الإمام مالك وجماعه : إن المحارب هو من حمل السلاح على الناس في مصر أو برية فكادهم عن أنفسهم وأموالهم دون تائرة ولا دخل ولا عداوة. وقال مالك أيضا : استحسن أن يأخذ – أي الإمام – في الذي لم يقتل بأيسر العقاب ولا سيما أن لم يكن ذا شرور معروفة وإما أن قتل فلابد من قتله.

نقله أبو حيان في تفسيره البحر ومن أتلف شيئا لزمه غرمه وعزز باجتهاد الإمام بعد الثبوت عليه كما يجب لقول الشيخ خليل بالنسبة للتعزيز وعزز الإمام لمعصية الله أو لحق أدمي.

وحرر بالأعتاب الشريفة بالرباط في 11 ربيع الثاني عام 1373 الموافق 18 - 12 - 1953.

إن تاريخ المغرب الحديث لا يدع مجالا للشك في الإنحراف المريع لفقهاء السلطة في عهد الإستعمار أو في ظل الإستقلال. فقد صمتوا أثناء أحداث 23 مارس 1965، عن مجزرة الدار البيضاء التي شارك فيها شخصيا السفاح **الجنرال أوفقير** بإطلاق نيران المدافع الرشاشة من طائرة مروحية في حين أن الدبابات عملت عملها في الجماهير الفقيرة التي كانت تتظاهر سلميا مطالبة بحق أبنائها في التسجيل بالمدرسة وتحسين أوضاعها المعيشية. ولم يكتف الفقهاء بالصمت، بل شارك بعضهم بالقمع الروحي والنفسي وبالتضليل الديني من فوق المنابر بدعوة المظلومين إلى طاعة «ولي الأمر».



جانب من المظاهرات الشعبية يوم 23 مارس 1965

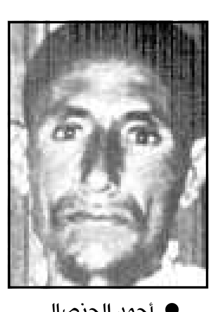
وشهدت سنوات الرصاص مظاهرات شعبية متعددة، والمزيد من القتلى والإختطافات والتعذيب وأحكام الإعدام والقتل والدفن في المقابر الجماعية، وسكت الفقهاء وتناسوا لغة «**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»، ولكي يخفوا انحيازهم للجلادين، ادعوا أنهم لا يمارسون السياسة ولم يصدقهم أحد لأنهم لا يتوقفون عن إصدار الفتاوى السياسية تحت غطاء الدين كلما طلبتها منهم السلطة.

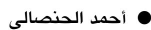
وإنصافا للحقيقة فإن أقلية من الفقهاء حافظت على استقلالها الفكري وتصرَّفت حسب قناعاتها، ولم تتورط في تزكية الجرائم السياسية.

العلماء اصدروا فتوى الإعدام، والاستعمار نفذها في رؤوس المقاومين

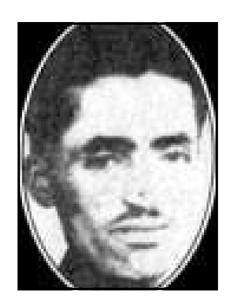


● محمد سميحة

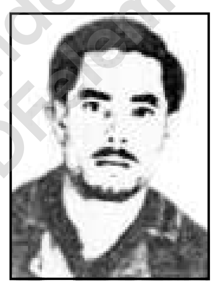




● أحمد الحنصالي



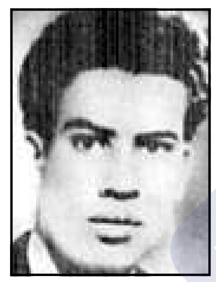
● العربي أباعدي



● محمد البقال



● الحسن بن يدر



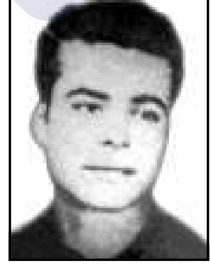
● عبداللطيف بن قدور



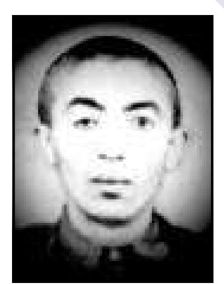
● أحمد بن محمد الراشدي



● الحسين بن أحمد (طوطو)



● محمد بن المكي



● علي بن طاهر



● محمد بن أمحمد الحياني ● محمد بن الراضي السلاوي ● عبدالعالي بنشقرون ● مولاي الطاهر بن عبدالكريم

● علال بن أحمد المكيك ● أمبارك بن بوبكر بن حمادي ● محمد بن بريك (حمان الفطواكي) ● عبدالعزيز بنشقرون

● إدريس بن محمد الحريزي ● علال بن أحمد الأودي ● عبدالله الشفشاوني ● مولاي علي بن العربي

رفضت إدارة
السجون ووزارة
العدل تزويدنا
بصورة الشهيد
رحال بن أحمد

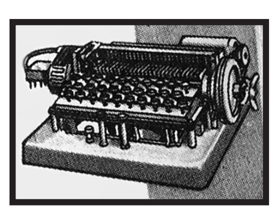
الفقهاء المتخلفون حاربوا العلم والعقل

لم يكتف الفقهاء على طول التاريخ الإسلامي بشحْنِ نفوس المؤمنين بالطقوس والخرافات وبأساليب الترهيب والترغيب، بل حاربوا الاجتهاد الإنساني في كل ما يتعلق بالعلوم الطبية والاقتصادية والاجتماعية والتقنية، وساهموا في تعطيل عقل المسلم حتى أصبح المسلمون مضرب الأمثال في التخلف والعجز من طرف باقي شعوب العالم المتمدن.

وفي المغرب استيقظ الفقهاء، في بداية القرن العشرين وما بعده، على دوي الإكتشافات العلمية والصناعية والتقنية التي أنجزها العقل الإنساني في أوربا وأمريكا واعتبرها المتشبثون بأساطير الماضي خطرا يهدد نفوذهم ومراكزهم. فرفضوا الخروج من النفق المظلم الذي سجنوا فيه المسلمين منذ قرون خَلَتْ، وتحالفوا مع الحكام المستبدين، وجعلوا من أنفسهم حُرَّاسًا يرفعون الهراوة الدينية على الفكر المُتَفَتِّح ويحاربون الإجتهاد والإبداع.

التلغـــــــراف

عانى الناس بالمغرب من استحالة رؤية هلال رمضان في بعض الجهات بسبب أحوال الطقس وانعدام وسائل الإتصال السريع.



التلغراف حرام

فكان سكان مدينة معينة يصومون رمضان ويحتفلون بالعيد، بينما كان سكان المناطق التي يكسوها الضباب لا يرون الهلال ويتخلفون عن الصوم. وحرمَّت الأغلبية الساحقة من الفقهاء الإعتماد عماً يحمله **(التلغراف)** في الإخبار برؤية هلال رمضان وعيد الفطر بدعوى أن الآلة هي من صنع الكفار. إلا أن بعض الفقهاء المتنورين ومن بينهم **محمد الحجوي** و**عبد الله الفاسي** و**محمد بن عبد السلام الشبيهي** أجازوا استخدامه.

التلفـــــــــون

حينما دخل الهاتف إلى القنصليات والشركات التجارية، ذهل الفقهاءُ ورفضوه باعتباره (بدعة)



التليفون حرام

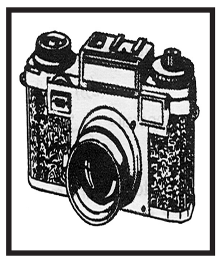
وفي سنة 1922 ربط **عبد الكريم الخطابي** الاتصال بجميع مراكز الثورة عن طريق الهاتف حيث أشرف على إقامته أخوه **أمحمد** الذي درس الهندسة في إسبانيا. فاتجه عملاء الإستعمار لتحريض العامة على تخريب خطوط الهاتف لأنها تحمل أصوات الشياطين من مناطق بعيدة.[1]

آلــة التسجيــل والتصوير والموسيقى

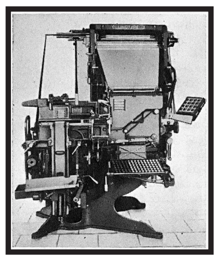
أصدر الفقيه **أحمد بن الخياط** فتوى تُحرِّم استعمال آلة التسجيل، ولم يتردد زميله الفقيه **محمد بن المدني كنون** في إصدار فتوى تحرم استعمال آلة الموسيقى. وعارض فقيه آخر استعمال الطباعة في النشر مدعيًّا أنها تهدد التعليم السمعي.[2]



آلة التسجيل والموسيقى حرام



التصوير حرام



المطبعة حرام

1 – أحمد البوعياشي، حرب التحرير الريفية ومراحل النضال، ج2. ص 203، طنجة 1975

2 – Abdallah Laroui, les origines sociales et culturelles du Nationalisme marocain, Paris 1977. P 221.

ولم يعُد الفقهاء يُحرمون رسمَ الإنسان والحيوان، فقد أضحت **(الكاميرا)** تصور بالصوت والصورة الإنسان وتسجل حركاته ونشاطه، ويبقى حاضرا في المشهد الدُّنيوي بعد أن يتحول في قبره إلى تراب.
وبشكل عام حارب الفقهاء جميع الإختراعات بدعوى أنها «**بدعة ضالة**»، إلا أقلية أجازتها لكن بشروط.

البنـــــك



البنك حرام

وإذا كانت أقلية من الفقهاء الإصلاحيين قد حاولت التوفيق بين الدين والعلم، فإن الفقهاء الجامدين، وهم الأكثرية، رفضوا طلب السلطان بتزكية أخذ سلف إنجليزي كان في حاجة إليه لتأدية جزء من الغرامة المالية التي فرضتها عليه إسبانيا كشرط لجلائها عن مدينة تطوان. فكان جوابهم «**إن الرِّبا حرام في الإسلام**»، في وقت كان فيه جميع تجار فاس مُرَابين.
وأمام هذا الرفض أقدم الإنجليز على طلب مساعدة من أحدهم، فأصدر فتوى يقول فيها «**إن المسألة جائزة في الإسلام ولا خلاف فيها.**»
وبعد هذه الفتوى المدفوعة الثمن، وقَّع السلطان على شروط السلف الإنجليزي. [3]

وطلب ممثلو البنوك من السلطان الترخيص بإستعمال الحوالات بدل النقود لانعدام الأمن فاضطر مرة أخرى إلى إستفتاء الفقهاء في الأمر، فكان جوابهم «**إن هذا حرام في ديننا**». [4]
واعتبر **الفقيه بن المواز** العملية جائزة شرعا وقارن الحوالة بالسَّفْتجة. [5]

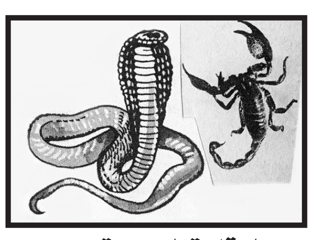
---

3 – عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، الرباط، 1931 ج2، ص 324.

4 – ن. م. ص 321

5 – السَّفْتجة كلمة فارسية تعني الحوالة المالية الصادرة من دائن يكلف فيها ممثله بدفع مبلغ معيَّن لحاملها.

الوقايـة الصحيـة


الوقاية الصحية حرام

كانت الهيأة الدبلوماسية في طنجة تفرض الحجر الصحي (La Quarantaine) على البواخر القادمة من المناطق الموبوءة. فأعلن الفقهاء الجاهلون بالحديث والتاريخ رفضهم للوقاية الصحية. وحرَّم الفقيه والموظف **أحمد الناصري** تطبيق الحجر الصحي بدعوى أنه يمثل «**تشويشا لعقائد المؤمنين، والقدح في توكلهم وإيهامهم أن ذلك دافع لقدر اللّه...**»[6]

وأقدم القاضي **عبد اللّه بن خضراء السلاوي** على تحريم اللجوء إلى الوقاية الصحية مُدَّعيًا أن في تطبيقها فرارا من القضاء.[7]

وموقف الخليفة سيدنا **عمر بن الخطاب** في هذه القضية معروف. فقد كان متجها في عام 16 هـ - 637م إلى الشام فعلَم أن الوباء وقع في بلدة إسمها **عمواس**، فأمر الناس بالرجوع. فقال له **أبو عَبيدة** :

- **أفرَارَ من قدر اللّه ؟ فقال عمر بن الخطاب** :

- **نعَم ! نَفرُّ من قَدَرِ اللّه إلى قدر اللّه.** وقال : سمعت رسول اللّه يقول : «**إذا سمعتم َبه بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فرارا منه.**»

وهذا هو الحجر الصحي الذي سبق الإسلامُ إلى تطبيقه قبل مئات السنين.

وعندما حوَّل **سيدنا عمر** غنمَه من ضفة الوادي الجافة إلى ضِفَّته الخصبة، سألوه : **لماذا تفرُّ يا عمر من قدر اللّه.** فأجابَهم : **لقد فَرَرْتُ من قَدَرِ اللّه إلى قَدَرِ اللّه. (أرأيتَ َلو هَبَطتَ واديًا ذا عُدْوَتَيْن، إحداهما مُخصبة والأَخرى مُجدبةَ، فإنَ رعيتَ الخصبة رعيتها بقدر اللّه وإنَ أنت رعيتَ الجدبة رعيتها بقدر اللّه.)**[8]

وهذا تأكيد على حرية الإنسان وقدرته على الإختيار.

---

6 - الناصري، الإستقصا، ج5، ص 148.

7 - ن. م. ص 185

8 - بن كثير، البداية والنهاية، المجلد الأول، ص 1384.

الفصل الثامن

العلماء المكافحون في سبيل الحق العدل

ظهرت في صدر الإسلام أقلية من العلماء محسوبين على رؤوس الأصابع، أعلنوا جهارا رفضهم تسخير الدين للحصول على الوظائف والهبات المالية من الحكام الظالمين. واتصفوا بالصدق والإيمان الصحيح وتحاشوا تسخير دين اللّه لخدمة المصالح الشخصية. ومن أبرزهم **أبو حنيفة النعمان (699 - 767م)** وكان جريئا في فتواه وكثير النقد للقضاة وأحكامهم، ولتصرفات الولاة وظلمهم. وحاول **أبو جعفر المنصور** شراء ضميره بالمنح والعطايا فاعتذر عن تولية منصب قاضي القضاة. فاعتقله الحاكم المتجبر، وكان يتعرض للتعذيب بالسياط يوميا إلى أن خارت قواه ولم يعد قادرا على الوقوف، وتقول بعض الروايات أنه قُتل مسموما في السجن. [1]

وأصدر **مالك بن أنس (711َ - 795م)** فتوى بعَدَم جواز بيعة المُكْرَه. واعتبرها **جعفر بن سليمان** حاكم المدينة المستَبد دعوةً للتمردَ عليه،َ وأخضعه للتعذيب بالسياط لكي يغير الفتوى، إلا أن رجل الدين الشجاع تمسك برأيه مما أطال أمد تعذيبه.

وكان **أحمد بن تيمية (1262 - 1327م)** ينتقد في القاهرة سلوك الفقهاء المنافي للدين، فحَرَّضُوا عليه حاكم المدينة وزجَّ به في السجن مرتين بلغت فيها مدة الإعتقال ثلاث سنوات.

ولما عاد إلى دمشق أصدر فتوى في مسألة الحلْف بالطلاق، لأن الطلاق يُمَزّق الأسرة وتنتج عنه مآسي كثيرة، وأصرَّ على أن الطلاق لا يقع بالحَلف من قبل الزوج، ولا تنفصم به عقدة الزوجية • فثار عليه

---

1 - عبد العزيز البدري، الإسلام بين العلماء والحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ ص 154.

الفقهاء الرجعيون ولإرضائهم اعتقله الحاكم وأبقاه في السجن مدة خمسة أشهر.

وحينما هاجم **التتار** المدينة برزت أقلية صامدة من الفقهاء وفي مقدمتهم **أحمد بن تيمية** ومعه **زين الدين الفارقي** و**إبراهيم الرقي** و**إبن القوام** و**إبن خيارة** و**شرف الدين بن تيمية**. وطافوا على المساجد ودعوا الناس إلى الجهاد والصمود في وجه المعتدين. وخاض المكافحون معارك بطولية ضد قُطْعَانِ **التتار** الهمج وألحقوا بهم هزيمة شنيعة في معركة **(شقحب)** عام 728هـ 1327م.

وانزعج الحاكم المستبد من بن تيمية ورفاقه، وأطلق عليه فقهاء السوء الذين أخذوا عليه مواقفه الفقهية التي لا تروق الحاكمين وألقى عليه القبض مرة أخرى ليموت في سجنه بقلعة دمشق. [2]

وفي تاريخ الحروب الصليبية والغزو التركي والمنغولي، كان عدد الفقهاء الذين صمدوا في وجه الطغاة قليلا جدا مقارنة مع تلك الأعداد الكثيرة التي ارتبطت بالحكام المنهزمين والمتواطئين مع الأعداء للحفاظ على مناصبهم. وفي الجهة الأخرى كانت طائفة أخرى من رجال الدين منعزلة عن الجهاد وعن الحكام، تلتزم الصمت وتكتفي بالأكل والنوم.

وفي القرن الثامن عشر بلغت الرأسمالية في أوربا ذروة التطور الصناعي وامتدت هيمنتُها إلى البلدان الإسلامية. واكتشف المثقفون التخلف الذي غاصت فيه مجتمعاتهم ورأوا أوطانهم مهددة في ظل السيطرة الإقتصادية والثقافية للإستعمار الزاحف، وقاموا يدُقُّون ناقوس الخطر بهدف إيقاظ الجماهير، وشهروا الحرب على البدَع والتَّواكليَّة، وواجهوا الغزو الأجنبي تحت شعارات الوطنية والسلفيَة.

وكان أول الناطقين باسم تلك الفئة العالمَة **جمال الدين الأفغاني** **(1839 - 1897م)** الذي اضطر إلى مَغادرة وطنه **أفغانستان** والتجأ إلى مصر ومنها تنقل في عدة بلدان أوربية، وكان متعدد اللغات، واستقر بفرنسا بضع سنين حيث أصدر جريدته الشهيرة «**العُرْوَةُ**

2 – بن كثير، البداية والنهاية، م. س. ص 2945.

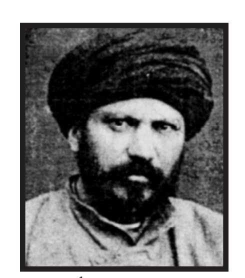
الوُثْقَى» بداية من عام 1883م. ودافع فيها عن **سيادة العقل الذي بدونه لا يمكن فهم الدين**، ودعا لدراسة التراث الحضاري الغربي ومعرفة أسرار تفوقه وانتقاء المفيد منه.

وتابع تلميذه **محمد عبده (1849 - 1905م)** نشر الأفكار الداعية إلى تجديد المجتمع الإسلامي والإستعانة بكل التجارب والعلوم والنظريات وتمكن بصفته مُفتي مصر وعميد جامعة الأزهر من إشهار سلاح العقل على الفقهاء الرجعيين بواسطة مجلة «**المنار**» التي كان يصدرها **الشيخ رشيد رضا** وتُوَزَّعُ في أنحاء العالم الإسلامي.

وأصدر **محمد عبده** عدة فتاوى دينية أثارت غضب الفقهاء كقوله بجواز أكل الذبائح التي يعدها غير المسلمين، والسماح بارتداء اللباس الأوربي، وادّخار الأموال في البنوك **والحصول على الفائدة**، وأجاز التأمين على الحياة والممتلكات. ودافع عن حقوق المرأة وقال بشأنها :

«... إعْلَمُوا أن الرجال الذين يُحاولون بِظُلْمِ النساء أن يكونوا سادة في بيوتهم، إنما يَلدُون عبيدا لغيرهم.»

وألقى بمسؤولية الانحطاط الذي يسبح فيه المسلمون على الحكام المستبدين الفاسدين، وعلى الفقهاء الجامدين الرجعيين.


جمال الدين الأفغاني


الشيخ محمد عبده


الشيخ محمد رضا

العلماء الوطنيون قادوا معركة الإستقلال

في المغرب سجلت الحقائق التاريخية الدور القيادي البارز الذي قام به العلماء الوطنيون في نشر الوعي السياسي وتجنيد الجماهير للكفاح من أجل الحرية. فقد عبروا بكثير من الجرأة عن معاداتهم للإستعمار الإستيطاني، ونادوا بالإصلاح ومحاربة الفكر الخرافي الظلامي، ودافعوا عن مجتمع يسود فيه الإشباع المادي والروحي في ظل العدل والتضامن.

ففي عهد السلطان مولاي الحسن الأول (1873 - 1894م)، عاد من المشرق العربي عبد الله بن إدريس السنوسي بعد أن أنهى دراسته. وشرع في إلقاء محاضرات في جامعة القرويين وكان يُبشر بأفكار سلفية ويَحنّ إلى عصر الإسلام الذهبي في بغداد والأندلس. فثار عليه الفقهاءَ الرجعيون وكتبوا به إلى السلطان، وهددوا بإثارة العامة عليه، فاضطر إلى مغادرة المدينة.[3]

ولقي نفس المصير محمد العربي الخطيب الذي رجع إلى تطوان بعد أن تتلمذ على يد رشيد رضا في مصر.[4]

وفي سنة 1915 إستنكر محمد العتابي، وكان من علماء القرويين وكاتبا في حكومة المخزن، تصرفات الموظفين الفرنسيين تجاه المغاربة، وغادر إلى تركيا وقام بجولة في البلدان الإسكندنافية وشن حملة دعائية ضد الإستعمار الفرنسي. فقامت الإدارة الفرنسية بمصادرة أملاكه ومنعته من العودة إلى وطنه.[5]

وفي العشرينات من القرن الماضي انخرط عدد من الفقهاء

---

3 – عبد القادر الصحراوي، شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، الدار البيضاء، 1965، ص 39.

4 – الطيب بنونة، نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة. طنجة 1980، ص 161.

5 – علال الفاسي، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، تطوان (بدون تاريخ) ص 129.

في الكفاح المسلح بقيادة القاضي الإصلاحي **محمد بن عبد الكريم الخطابي** الذي سكن ذاكرة المغاربة بإعتباره بطلا تاريخيا ورمزا للتضحية في سبيل الحرية.

وشارك عدد من العلماء المتخرجين من المعاهد الدينية خاصة من جامعة القرويين وكلية بن يوسف بمراكش في الكفاح الوطني بداية من 1930. وكثيرون منهم عملوا في سِلك التعليم. وتحمل المراجع الوطنية الكثير من الأسماء من بينها :

علال الفاسي، عبد العزيز بن إدريس، بوشتى الجامعي، عبد الوهاب الفاسي الفهري، محمد القُري، محمد غازي، الحسن بوعياد، محمد الحمداوي، أحمد بن سودة أحمد بنشقرون، عبد الوهاب الفاسي الفهري. عبد اللّٰه إبراهيم، الحسين الورزازي، عمر الساحلي، عبد القادر حسن، المختار السوسي، محيي محمد، الحبيب بن موح، بريك الغراس، الحبيب الفرقاني، الصديق الغراس، عبد النبي بن العادل، عبد السلام بن الشرقي أبو بكر القادري، أحمد معنينو، عبد اللّٰه الجراري الفقيه محمد طنانة، عبد اللّٰه كنون، أحمد الرهوني، إبراهيم الوزاني، إبراهيم الكتاني، الحاج محمد البوعمراني، الحاج أحمد بن عبدالسلام بنشقرون.

وتحمل عريضة المطالبة بالإستقلال سنة 1944 توقيع تسعة قُضاة تابعين لحزب الإستقلال، وقاضي واحد منتمي إلى حزب الشورى والإستقلال.

وقام رجل الدين المصلح **محمد بن العربي العلوي (1880 - 1964م)** بدور فعال في نشر الفكر الوطني وسط الشباب الذين مزجوا **«الدعوة السلفية بالدعوة الوطنية»** وكان له من **«الجرأة والثبات ما جعله يلاقي في دعوته نجاحا كبيرا وإقبالا عظيما.»** [6]

---

6 - ن. م. ص 133.



شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي

وقبل نشوء الحركة الوطنية في الثلاثينات كان العلامة محمد **بن العربي العلوي** يقوم بحملة توعية نشيطة في فضح شعوذة الطرقيين وضلال رؤساء الزوايا، ويدعو إلى العقيدة السلفية العقلانية. وكتب عنه تلميذه العالم علال الفاسي : «... **الحركة السلفية دعا إليها وبثها وخرَّج رجالها أستاذُنا العلامة المصلح السيد محمد بن العربي العلوي حفظه اللّه ... ونحن من حول أستاذنا نعمل لهذه العقيدة ونجاهد في نشرها.»** [7]

وكانت حياة العلامة **بن العربي العلوي** حافلة بالنضال ضد الإستعمار الخارجي والإستبداد الداخلي. فهو العالم الوحيد الذي واجه مدير الداخلية الفرنسي عندما طلب منه توقيع «**بيعة**» بن عرفة. وكان جوابه قاطعا : «**لن أوقِّع على بيعة مفروضة، وإذا كنتم مُصرِّين على ذلك فهذه يدي اقطعوها ووقِّعوا بها.»**

وحينما كان ضباط الجيش الفرنسي يسوقونه إلى المعتقل في أقصى جنوب البلاد، التفت إلى أبنائه قائلا :

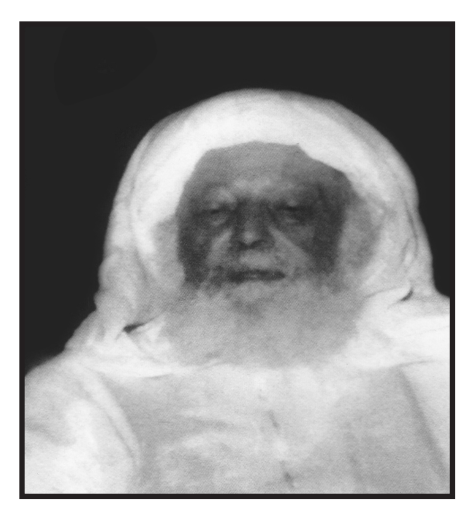
- **إنني لست من شمع فلا تخافوا عليَّ أن أذوب !** [8]

وكان رحمه اللّه بَديناً، وحينما أُطلق سراحُه ذهب ابنه بسيارته ليأتي به من الصحراء فوجده على شكل هيكل َعظمي، شديد الهُزَال وقد كاد أن يذوب.

---

7 – ن. م. ص 134.

8 – عبد القادر الصحراوي، شيخ الإسلام، م. س. ص 21.



شيخ مولاي العربي العلوي سنة 1960

وفي الستينات رافقتُ **الفقيه البصري** وبوشعيب **الحريري** والحاج **السعيدي المومني** لزيارة محمد بن **العربي العلوي** الذي كنا نكتب اسمه في جريدة «**التحرير**» مسبوقا بوصف «**شيخ الإسلام**».

ولما سألته عن ظروف الإعتقال في الصحراء قال : **لكل شيء ثمنه والإيمان بالمبادئ له أيضا ثمنه**. وروى باختصار ظروف المنفى اللاإنسانية التي فرضها عليه المستعمرون الذين مارسوا عليه أسلوب التجويع ولم يكن يقتات إلا من زيت الزيتون والتمر الذي حمله معه في أمتعته قبل أن يمتطي الشاحنة العسكرية التي نقلته إلى الصحراء.

وعانى طيلة مدة الإعتقال من كل أصناف التعذيب الجسدي والنفسي، وتحمَّل ما لا يستطيع أن يتحمله «**إلاَّ الَّذينَ صَبَرُوا وعَمِلوا الصَّالحَات أُوْلَئَكَ لَهُمْ مَغْفرَة وأجْر كبير.**» (9)

وبعد حصول البلاد على الإستقلال واصل **شيخ الإسلام** الدفاع عن حقوق المستضعفين رغم تعيينه وزيرا من طرف الملك **محمد الخامس**، وظل على ارتباط وثيق بالحركة التقدمية قبل وبعد تأسيس **الإتحاد الوطني للقوات الشعبية** في شهر سبتمبر 1959. وكانت إتصالاته لا تنقطع **بالمهدي بن بركة** و**عبد اللّه إبراهيم** و**الفقيه البصري** و**عبد الرحيم بوعبيد**.

9 – سورة هود، الآية11.

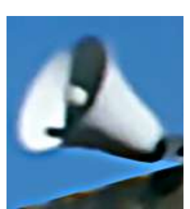
وفي سنة 1960 ألقى جهاز البوليس القبض على مجموعة من المقاومين بتهمة محاولة إغتيال **ولي العهد مولاي الحسن**. فبادر **مولاي العربي العلوي** إلى تقديم إستقالته من وزارة التاج إحتجاجا على قمع المخلصين من أبناء الوطن، ونطق بجملة شهيرة «**إنَّ الدولة التي تعتقل أبناءها الذين حرروها ليست بدولة.**»

ولما اشتد الصراع بين الحركة التقدمية وبين الحكم المطلق، شارك **شيخ الإسلام** في المؤتمر الثاني **للإتحاد الوطني للقوات الشعبية** الذي إنعقد في المعرض الدولي بالدار البيضاء في مايو سنة 1960، ومن أعلى المنصة تحدث عن الشورى والعدالة في الإسلام، ونطق بجملة إهتزت لها فرائص الإستبداد وتركت إنطباعا قويا لدى الوفود الأجنبية الحاضرة. وبكل هدوء وثقة في النفس قال:

«**سَيِّدُنَا هُوَ خَالِقَنَا ولاَ عُبُودِيَّةَ علينا لأَيِّ مَخْلُوقٍ كيفما كان.**»[10]

ويعترف العلماء الوطنيون بفضل **شيخ الإسلام** على تطوير تفكيرهم ورَفْعِ مستوى وعيهم الوطني والسياسي، وانخراطهم في كفاح الشعب ضد ظهير التقسيم البربري، ومن أجل الحصول على الإستقلال الوطني.

10 – جريدة «التحرير» 26 مايو 1960.



النبي (ص) رفض استعمال البوق في الاذان والحكام رفعوه فوق الصومعة

كَثُرَ الجدلُ في عدة بلدان عربية حول الأبواق المنصوبة على رأس الصوامع والمآذن، وصرح الدكتور **محمود حمدي** وزير الأوقاف المصري سنة 2010 : **«إن الفظاظة والصراخ على المنابر ليس من الإسلام في شيء، ويمثل دليلا صارخا على الإفلاس العلمي للداعية»**.

وبعد شكاوى الناس من الأذى الذي يلحقهم من جراء الصراخ في مكبر الصوت، حاول المسؤولون تطبيق الأذان الموحد بصوت واحد في كل المساجد عبر جهاز إلكتروني للإتصال. غير أن الفقهاء حاربوا الفكرة خوفا من أن يُصبحوا عاطلين.

وفي **المملكة العربية السعودية** التي استعملت مكبر الصوت في المسجد الحرام عام 1367هـ 1947م، فإن وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف الدكتور **صالح آل الشيخ** منع تشغيل مكبرات الصوت بالمساجد أثناء أداء **صلاة التراويح**، وإعتبر أن المنع يهدف تفادي إزعاج الناس خصوصا **المرضى والمسنِّين والأطفال، والسكان المجاورين للمساجد** [1] .

وجاء القرار بعد أن اشتكى الناس وساندهم المثقفون السعوديون بالكتابة في الصحف، وأيَّد **قرار المنع عدد من الأئمة وكبار العلماء في فتاوٍي دينية.**

وكلفت الحكومة المهندسين المختصين، بإزالة أكثر من مائة مكبر صوت من جوامع منطقة الباحة ومن خمسة عشر مسجدا بمكة المكرمة.

فالمهندس الألماني **(إرنست ويرمر)** هو مخترع مكبر الصوت

---

1 – عن الموقع الإليكتروني «مدرستي» 6 غشت 2010

سنة 1877م، ولم يصل إلى المغرب إلا في الخمسينات من القرن الماضي، وفي أواخر الستينات بدأ استعماله في الحفلات. ثم انتقل بأمر من الحكام إلى المساجد. وأيَّدهم الفقهاء الذين رأوا في هذه البدْعة «**نعمةً من اللّه**» وهذا الموقف يتنافى مع سنة **رسول اللّه.** فالنبي (ص) إستشار الناس لمَا يُهمُّهُم إلى الصلاة. فذكروا **البوق** فكَرِهَهُ من أجل اليهود، ثم ذكروَا **النَاقوس** فكرهه من أجل النصارى. فرأَى عبد اللّه بن زيد، وهو من الأنصار، أن يكون النداء للصلاة كما هو عليه الآن : **اللّه أكبر... أشهد أن لا إله إلا اللّه... الخ.** فأمر النبي (ص) بلال فأذَّن به.[2]

وهذه الرواية أوردها عدد من المؤرخين القُدامى، لكن **الفقهاء المتعصبين** تجاهلوها وساندوا الحكام في وضع مكبر الصوت على رأس الصومعات. لكنه، بعد توفر الإذاعة والتلفزيون والساعة الإلكترونية والهاتف النقال، لم يعد مكبر الصوت يحظى بالأهمية التي كانت له في زمان انعدام وسائل الإتصال. وأصبح أداة إزعاج دائم **للمرضى والشيوخ والأطفال.** ومما يضاعف من حدة الإزعاج هو **الصياح والصراخ والزعيق المُنَفِّرْ. فالنبي (ص) إختارَ بلال بن رباح الحبشي الذي كان صوته أندىَ وأحلى وباعث الراحة في النفوس.** وذات يوم كان **رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم مُعْتَكفاً** في المسجد، فسمع الناس يجهرون بالقراءة في السَّحَرْ (آخر الليل) فقال :

«**يا أيُّها الناس كلكم يُنَاجي ربه، فلا يجهر بعضكم على بعض في القراءة**».[3]

وفي حديث آخر أن **النبي** (ص) قال : «**ليس لأحد أن يجهر بالقراءة بحيث يؤذي غيره.**» [4]

وفي المملكة العربية السعودية أصدر الشيخ **محمد بن عثمين** في المدة الأخيرة فتوى جاء فيها : «... **بعض الناس استعمل مُكبِّرات**

2 – إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، المجلد الأول ص 594، بيروت 2005.

3 – رواه أبو داود في كتاب التطوع، باب في صلاة الليل.

4 – أورده الإمام إبن تيمية في (الفتاوى الكبرى)

الصوت استعمالا سيئا، فرفعها على المنارة وهذا حرام لأنه وقوع في ما نهى فيه رسول الله (ص) حيث خرج على أصحابه وهم يصلون ويجهرون بالقراءة فقال لهم : كلكم يناجي ربه، فلا يجهر بعضكم على بعض في القرآن»

وفي المغرب لا يشتكي المواطن ولا يحتج على ضجيج مكبر الصوت الذي يلاحقه داخل بيته ويحرمه من حقه في النوم، لأنه يخاف أن يُوصَفَ بالملحد وعدو الدين.

«والذينَ يُؤْذُونَ المُؤمنينَ والمُؤمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وإثْمًا مُبينًا.» (5)



12**بوق فوق الصومعة والمسجد فارغ**

فالسلطة تسهر على راحة السياح الأجانب وتمنع استعمال مكبرات الصوت بالقرب من الفنادق والإقامات السياحية.

ويتمتع كبار المسؤولين أيضا بحقهم في الراحة والهدوء، حيث تَصْمُتْ مُكبّرات الصوت القريبة من سكناهم، ويسود الهدوء أعماق

5 – سورة الأحزاب، الآية 58

الليل.

فلقد اتفقت الأبحاث الطبية في أوربا على أن (ديسيبل DECIBEL) وهو وحدة لقياس درجة الصوت، يصبح خطيرا على صحة الإنسان إذا تجاوزت قوته 85 درجة. ويُحدد القانون الفرنسي قوة الصوت في 85 ديسيبل بالمعامل والمصانع ومحركات الآلات وغيرها. ويَعْتَبِرُ الضجيج مرضًا مهنيًّا إذا تجاوز الحد المنصوص عليه، ويُعرض رب العمل للعقوبة، ويُرغِمُه على تسجيل عماله في شركة التأمين الصحي.

وبالمغرب يمنع استعمال مكبرات الصوت وغيرها من وسائل الضجيج في الأعراس والحفلات بعد منتصف الليل. وليس هناك قانون ينظم استخدام مكبرات الصوت في الصومعات والمساجد. ويضع بعضهم على رأس الصومعة 12 مكبر صوت، أي ما يفوق الضجيج الذي تُحدثه الطائرةُ النفاثة.

وتُجمع الدراسات العلمية والطبية على أن الضجيج القوي يمثل خطرا على حاسة السمع وتنتج عنه أمراض الأعصاب وارتفاع ضغط الدم والصداع والأضرار النفسية.

وقبل قرون من الإكتشافات الطبية، حَسَمَ القرآن في المسألة وأرشد المؤمنين إلي طريق العبادة في الآيتين الكريمتين :

«أدْعُوا رَبَّكُمْ تضَرُّعًا وخُفْيَةً إنَّهُ لا يُحِبُّ المُعْتَدِين.»

«واذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسك تَضَرُّعًا وخيفَةً ودُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بالْغُدُوِّ والأَصَالِ وَلاَ تَكُنْ مَنَ الغَافِلينَ.» (6)

6 – سورة الأعراف، آية 55 – والآية 205.

الفصل التاسع

الاستعمار شيد البنيات التحتية للمغرب العتيق

تتشكل البنيات التحتية (les infrastructures) من مجموع التجهيزات والمنشآت الإدارية والمالية والطرقية والسكة الحديدية والمدارس والمستشفيات والمعامل وغيرها.

ولن يُفاجأ جيل الشباب الحالي إذا عَلم أنها كانت مجهولة ومنعدمة في المغرب العتيق وهو يتعرض للغزو العسكرَي الأجنبي.

فبمجرد احتلال الدار البيضاء في غشت 1907، شرع الجيش الفرنسي في تشييد الطرق التي توصله إلى المناطق الزاخرة بالمعادن، و بناء المحطات الكهربائية، التي تساعده على استخراج الثروات من باطن الأرض، كما أن نقلها استوجب إيجاد الشاحنات والقطارات، وتطلب تصديرها إصلاح الموانئ وتوسيعها وتجهيزها بالمعدات لإرساء البواخر العملاقة. ولضمان الاتصالات السريعة بفرنسا كان لابد من إقامة نظام البريد والتلغراف.

إن تشييد البنيات التحتية كانت استجابة ضرورية لمصالح الرأسمالية الامبريالية، ولم تكن موجهة لانقاد المغرب الذي أغرقه حُكَّامُه المستبدون الجهلاء في مستنقع التخلف الحضاري .

لكن عملية التحديث التي وضعت أساسها الرأسمالية الفرنسية في الجنوب والوسط والاسبانية في الشمال والصحراء، كانت ظاهرة تاريخية لاسبيل إلى تجاهلها وبالأحرى إنكارها.

فالمخزن بجموده و أزماته و تخلفه الاقتصادي و العلمي والثُقافي هيَّأ جميع الشروط التي ساعدت الاستعمار على احتلال البلاد .

لقد كانت سفارات الدول الأجنبية بمدينة طنجة تَعُجُ بعلماء الاجتماع والمؤرخين والمهندسين وأقسام التجسس. و كان كل واحد يعمل في نطاق اختصاصه على جَمع المعلومات المتعلقة بقبائل المغرب و لغاتها و انقساماتها و حاجاتها والحالة بالمدن وتجارها وفساد حكامها. وعلى أساس تلك المعرفة

الميدانية بأوضاع البلد تم تهيئ احتلاله عسكريا واقتصاديا وثقافيا.

وفي الصفحات التالية نستعرض باختصار بعض انجازات الاستعمار الاستيطاني التي استفاد منها جزئيا المجتمع المغربي :

الطـــــــرق

لم يكن المغرب، قبل الاحتلال الفرنسي والإسباني، يتوفر على طرق معبَّدة ومُرصَّفة على النمط الحديث، ولم تكن فيه سيارات ولا حتى العربة الخشبية ذات العجلات , فالتنقل كان يتم بواسطة الحمير والبغال والجمال، ولم تكن هناك سوى «**طريق السلطان**» التي يتم إعدادها، بمناسبة الزيارات الرسمية، من طرف القبائل غير أن هذه الطريق سرعان ما تنغلق بفعل الأمطار وانجراف التربة.[1]

وكان قطع المسافة الفاصلة بين فاس وطنجة يتطلب **سبعة أيام**، وبين الدار البيضاء وفاس ستة أيام.[2]

و في سنة 1912، اشتكى المقيم الفرنسي العام **الجنرال ليوطي** في رسالة إلى الضابط (ألبير دومون A. DE Mun) من أن قطع المسافة بين الدار البيضاء وطنجة تستغرق **ثمانية أيام**، وطلب منه التعجيل بفتح الطرق وتعبيدها والإسراع بإرسال المهندسين في الأشغال العمومية لبناء السكة الحديدية وتشييد الموانئ.[3]

ولأهداف عسكرية وتجارية عمدت سلطة الاحتلال إلى إرغام القبائل على الحفر وتعبيد الطرق بالتناوب وبدون أجرة وذلك باسم « **التويزة**» التي تعني في التقاليد الشعبية عملا تطوعيا وتضامنيا بين القبائل والعائلات خاصة في مواسم الحرث والحصاد والبناء بشكل خاص.

وفي ظرف أربعين سنة من الاستعمار تم إنجاز **سبعة آلاف كيلو متر**

---

1 – Mohamed Ennaji, Expension européenne et changement social au Maroc (XVI–XIXe siècles), Eddif Casablanca, 1996, P. 93.

2 –أنظر التفاصيل في : عبد الرحمان بن زيدان، العزّ والصولة في معالم نُظم الدولة، ج1، ص 192 – 264، المطبعة الملكية، الرباط، 1961. وَكذلك : Abdellah Laroui, Les origines... Op. cité, P. 54.

3 – الرسالة منشورة في مجلة : L'Afrique française, n° 5, Paris, 1929, P. 242

من الطرق الرئيسية وأربعة آلاف وثمانمائة كيلو متر من الطرق الثانوية، وحوالي ثمانية آلاف كيلو متر من الممرات العادية المؤدية إلى ضيعات المعمرين الأجانب.[4]

وبعد مرور خمسين سنة على حصول المغرب على الاستقلال بقيت حالة الطرق كما تركتها فرنسا، وبداية من 1999 إلى 2011 بدأت الأشغال تخرج إلى مجال التطبيق، وأنجزت طرق سيارة بين أكبر المدن في الشمال والجنوب، وتجاوز طولها ألف وخمسمائة كيلو متر، ولا تزال مناطق شاسعة من البلاد تفتقر إلى الطرق العادية، ومعزولة في الجبال والأودية.

السكــة الحديديــة

في سبتمبر 1908 تم وضع خط سككي بين الدار البيضاء وبرشيد لنقل العتاد العسكري والجنود، وفي عام 1911 طلب الجنرال (مواني) قائد القوات الفرنسية بالمغرب من وزير الدفاع الفرنسي المساعدة على إرساء السكة الحديدية بين الدار البيضاء والرباط، لأن مسافة تسعين كيلو مترا الفاصلة بين المدينتين تتطلب لإيصال التموين للقوات الفرنسية تسعمائة ألف فرنك شهريا، وتجنيد آلاف الجمال من منطقة الشاوية مما يسبب عرقلة كبيرة للحياة الاقتصادية في تلك الجهة.[5]

وفي سنة 1927، أي في ظرف خمس عشرة سنة من الاحتلال، تم الانتهاء من بناء خطوط متعددة للسكة الحديدية ربطت وجدة في الشرق ومراكش في الجنوب مرورا بمكناس وفاس والرباط والدار البيضاء.

و بلغ طول السكة الحديدية في منطقة الاحتلال الفرنسي ألف وسبعمائة وأربعين كيلو مترا معظمها يعتمد على الكهرباء، وتطلب إنجازها إنشاء عدد من القناطر، أما في الشمال فإن ما تم تشييده لا يتعدى خط حديدي واحد بين سبتة وتطوان والعرائش والقصر الكبير.

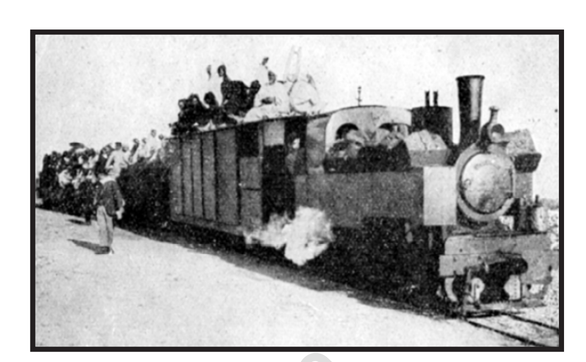
وبدورها ظلت السكك الحديدية طيلة عهد الاستقلال في نفس الحالة التي تركتها عليها فرنسا، ولا تزال عدة قطارات تسير بالفحم خاصة في شرق

---

4 – Histoire du Maroc, collectif, Hatier, Paris, 1982, P. 351

5 – Colonel Paul Azan, L>expédition de Fez, Paris, 1924, P. 298

البلاد.



صورة أول قطار بالدار البيضاء

وفي عهد الملك محمد السادس دخلت إصلاحات واسعة على مؤسسة القطارات، وعرفت خطوط السكة توسيعا في عدة اتجاهات وتحققت عملية تثنيتها ذهابا وإيابا عوض خط في اتجاه واحد . وستكون مدينة طنجة منطلقا لأول قطار فائق السرعة في اتجاه الدار البيضاء في أفق عام 2015.

الموانـــئ

في سنة 1911 تم توسيع ميناء الدار البيضاء، ورست في رصيفه ألف ومائة باخرة، بلغ مجموع حمولتها سبعمائة وسبعين ألف طن من البضائع والمعدات كان جزء منها خاصا بالأجهزة التي يحتاجها الجيش الفرنسي.(6)

وفي عام 1922 توسعت تهيئة وترصيف ميناء الدار البيضاء وبلغ طول الرصيف مائتين وخمسة وسبعين مترا .

وشهدت موانئ طنجة, الرباط, القنيطرة, أسفي, الجديدة, أكادير والصويرة, إصلاحات واسعة وتم تزويدها بالمنارات البحرية, وتوسعت مما جعلها قادرة على استقبال البواخر التجارية الكبرى.

وكان لابد من انتظار عام 2008م حيث وقع تشييد ميناء المتوسط في طنجة, وهو أكبر انجاز تحقق بعد مرور نصف قرن على إعلان الاستقلال السياسي.

---

6 – Bulletin de la Chambre du commerce et d'industrie de Casablanca, N° 280, Janvier – Février 1949, P. 11.

السـدود

لمواجهة الفيضانات في فصل الشتاء, وتجميع المياه لسقي ضيعات المعمرين بشكل خاص شيدت الإدارة الفرنسية حوالي عشرين سدا صغيرا ومتوسطا, و يُعَدُّ سَدُّ **بين الويدان** الواقع على بعد ستين كيلو مترا من بني ملال, من أكبر السدود, وتم تدشينه سنة 1954, ويسع أزيد من مليار ونصف متر مكعب من الماء, ويروي أكثر من مائة وخمسين ألف هكتار.

وفي عام 1966 بدأ مخطط بناء السدود وسار بوتيرة متواصلة إلى أن بلغ عددها حوالي مائة سد تَسَعُ خمسة عشر مليار متر مكعب, وتسقي سبعمائة وسبعين ألف هكتار من الأراضي القابلة للاستغلال.

وعلى الرغم من الأهمية الكبرى للسدود في تجنيب عدة مناطق خطر الفيضانات وتزويد السكان بمياه الشرب، **فإن المقربين من دوائر الحكم والنافذين في البيروقراطية الإدارية والعسكرية هم المستفيد الأكبر من مياه السدود نظرا لكونهم يسيطرون على أخصب الأراضي الفلاحية التي رحل عنها المعمرون الأجانب، أما الأراضي الزراعية في باقي المناطق، فتعاني من الإهمال وتخضع لتقلبات الطقس، إضافة إلى الفقر المدقع وانتشار الأمية وسط السكان في البوادي .**

الكهربـاء

كانت طنجة أول مدينة مغربية دخلتها الكهرباء في نهاية القرن التاسع عشر, لكن على يد **الهيأة الدبلوماسية الأجنبية** التي أسست عام 1884م لجنة تقوم بتنظيم مرافق المدينة من تنظيف و ترصيف ومد قنوات الماء وإدخال الهاتف و غيرها من الإصلاحات التي باشرتها، **بدون استشارة حكومة المخزن النائمة في مدينة فاس،** وحينما فرضت فرنسا سيطرتها على المغرب شرعت في بناء المحطات الكهربائية بالدار البيضاء سنة 1921، وفي وجدة عام 1929 ثم الرباط والقنيطرة وأسفي وخريبكة ومراكش وأكادير، وبلغ إنتاج الكهرباء سنة

1925 ما يفوق أربعة عشر مليون كيلواط، وقفز عام 1954 إلى مليار كيلواط/ساعة.[7]

البريـــــد والتلغــــراف

في المغرب العتيق كان «**الرقّاصة**» يقومون بدور سعاة البريد، يقطعون المسافات على أقدامهم بين مختلف المدن في مراحل. وتُمثّل المرحلة أربع ساعات من المشي مع استراحة ساعة واحدة بين المرحلة َوالأخرى، ويستطيع «**الرقّاص**» أن يمشي عشر ساعات في اليوم بمعدل أربع كيلومترات ونصف في الساعة[8] .

وكانت أول دولة أنشأت البريد بالمغرب هي إنجلترا (1857م) ونظمته فرنسا (1858م) ثم إسبانيا (1861م) وفي آخر القرن أقامته ألمانيا. وكان لكل قنصلية بريدها وطابعها الخاص وسُعاتها (الرقّاصة) وكلهم مغاربة يتمتعون بالحماية الأجنبية، وكان توزيع البريد يتم بين طنجة والمدن الداخلية خاصة الموانئ و مدينتي فاس ومراكش[9] .

ولما تمت السيطرة لفرنسا على المغرب أسست عام 1913 «**مكتب البريد والتلغراف والتلفون**» في أهم المراكز الحضرية، وفي سنة 1915 تم ربط مدينة الدار البيضاء بمدينة بريست الفرنسية بخط هاتفي تحت البحر.

وفي عام 1928 تأسست بمدينة الرباط إذاعة «**راديو ماروك**» وكانت تبث باللغتين الفرنسية والعربية لمدة بضع ساعات في اليوم. وبلغ في نهاية أربعينات القرن العشرين طول الخطوط الهاتفية والتلغرافية خمسة آلاف وخمسمائة كيلو متر.

إستغـــلال المناجـــم

بمجرد احتلال الشاوية عام 1908، شرع الفرنسيون في التنقيب عن ثروات باطن الأرض، واكتشفوا سنة 1914 الفوسفاط في قبيلة أولاد عبدون بخريبكة، وأسسوا «**المكتب الشريف للفوسفاط**»

---

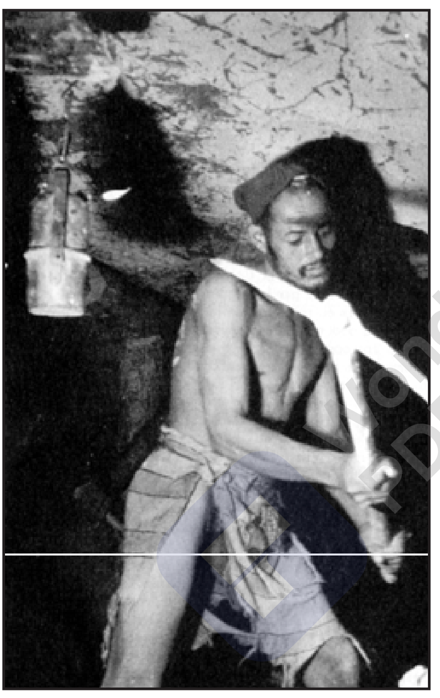
7 – F. Jolie, A. Ayache, Geographie du Maroc, Paris, 1949, P. 137

8 – أنظر كتابنا : تاريخ الرياضة بالمغرب 1918 – 1898، الدار البيضاء، 1998.

9 – مصطفى بوشعراء، الاستيطان والحماية بالمغرب، ج1. ص 196، الرباط 1984.

سنة 1920. و كانوا يطلقون إسم «**الشريف**» على المؤسسات المهمة لإخفاء حقيقة النهب الذي تقوم به الشركات الاستعمارية.

وفي سنة 1954 وصل الإنتاج إلى خمسة ملايين طن سنويا، واحتل الرتبة الأولى في التصدير العالمي للفوسفاط. وما لبث المهندسون الفرنسيون أن اكتشفوا حقولا أخرى للفوسفاط في اليوسفية وبن جرير وجرادة.



عامل كادح في عمق منجم للفحم

ثم اكتشفوا في الأطلس الكبير ومناطق في ورزازات ونواحيها مناجم المنغنيز والزنك والحديد والكوبالت والفحم الحجري والرصاص والنحاس والفضة والذهب وغيرها من الثروات المدفونة في باطن الأرض، وفي سنة 1945 كان عدد العاملين في المناجم ستة وعشرين ألف مغربي وأربعة آلاف تقني وإداري فرنسي[10].

وفي سنة واحدة، باعت الشركات الفرنسية للبلدان الأوربية 43.500 طن من المنغنيز، و120.000 طن من الرصاص (بلومب)، و5.000 طن من الزنك، 260.000 طن من الحديد و5.200 طن من الكوبالت، وكان الاستغلال المتوحش يهدف إلى تحقيق الربح السريع لأقلية الرأسماليين المُموّلين للحرب الاستعمارية بالمغرب.

وفي شمَال البلاد مارست اسبانيا نفس الأسلوب في استغلال ثروات باطن الأرض، ووضعت يدها على المخزون الضخم للحديد الذي

F. Jolie, A. Ayache, Géographie du Maroc, op. cit, P. 142 – 10

كان في إبركانن ووجان، وتم تصديره عبر مدينة مليلية في اتجاه باقي البلدان.

المصانــع التحويليــة

وما يقال على المناجم ينسحب على المصانع التحويلية، إذ بلغ عددها في نهاية الثلاثينات أزيد من سبعمائة وخمسين مصنعا مختصا في المواد الغذائية لتعليب السردين والفواكه، ومصانع لتكرير السكر المستورد من فرنسا، ومعامل الإسمنت وأدوات البناء واللباس والأحذية، والمطاحن والمخابز والحلويات والمشروبات وغيرها، وكان عدد العاملين في هذه المجالات يتجاوز ستين ألف مغربي وثلاثة ألاف وستمائة فرنسي[11] .

ومند احتلال المغرب قبل مائة سنة إلى يومنا هذا لا تزال فرنسا تسيطر على الاقتصاد المغربي وتأتي بعدها اسبانيا في الدرجة الثانية. فمن باستطاعته أن يستبعد دوام الهيمنة الاقتصادية والثقافية للاستعمار الجديد مائة سنة أخرى قادمة؟

التعليــــــــم

كان الجهل يُخَيّمُ في المدن والبوادي، وكتب مؤرخ المملكة يقول : «...... **و اليوم نجد القَبيلة الكبيرة من قبائل البادية ليس فيها عالم واحد يرجع الناس إليه في مسائل دينهم ونوازل أحكامهم..**[12] ».

وفي بداية القرن الماضي أنشأت الإدارة الفرنسية أول مدرسة للتعليم الحديث وأطلقت عليها اسم «**مدرسة أبناء الأعيان**» وكانت خاصة بأبناء العملاء وأبناء التجار والموظفين بفاس والدار البيضاء ومراكش والرباط وسلا ومكناس. وفي عام 1914 فُتحت ثانوية مولاي إدريس بفاس، وثانوية مولاي يوسف بالرباط سنة 1915، وثانوية سيدي محمد بمراكش سنة 1934. و كانت تلك الثانويات امتدادا لمدارس «**أبناء الأعيان**» الابتدائية. وفيها تم تكوين أعداد قليلة من الطلبة متمكنة من اللغتين الفرنسية والعربية، وكانت صلة وصل

---

11 – Ibid, P. 143

12 – عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس، م. س. ج5. ص 98.

بين الإدارة الفرنسية وحكومة المخزن.

وفي عام 1923 فُتحت سبع مدارس «**فرنسية – بربرية**» بإدارة ضباط الجيش الفرنسي بمَنطقة الأطلس المتوسط في إيموزار وعين اللوح وأزرو وعين شكاك وأهرمومو والقباب وخنيفرة. وشرح الضابط (**پول مارتي**) مدير التعليم الغرض من إنشاء المدارس البربرية بقوله : «**المدرسة الفرنسية – البربرية هي مدرسة فرنسية بالتعليم و الحياة، وبربرية بالمتطوعين والمحيط البيئي. فرنسية بالمعلم، بربرية بالتلاميذ، إذن بدون وسيط أجنبي. ويجب وبكل صرامة إقصاء أي تدخل من طرف الفقيه أو أي تظاهرة إسلامية.**[13] »

وفي الخمسينات من القرن الماضي لم يتجاوز عدد التلاميذ المغاربة في التعليم الابتدائي 99.700 أي بنسبة 1 بالمائة من مجموع السكان. وبقي في الشارع **مليون و ثمانمائة ألف** طفل بدون مقعد في المدرسة.[14]

وحسب إحصائية رسمية، كان عدد المغاربة عام 1950 في المدارس الثانوية لا يتعدى 1.892 طالبا بينما كان عدد الفرنسيين في التعليم الثانوي 12.607 طالبا، وكانت الاعتمادات المرصودة للتعليم سنة 1951 متساوية بين الأقلية الفرنسية والأكثرية المغربية، وتبلغ مليار وتسعمائة وواحد وعشرين مليون فرنك (1.921.000.000) وبذلك كان يصرف على عشرة ملايين من المغاربة مبلغ معادل لما يُصرف على أربعمائة ألف فرنسي مقيمين بالمغرب.[15]

وفي نفس العام كان يُنفق على التلميذ الفرنسي في الابتدائي والثانوي ثلاثون ألف 30.000 فرنك. وعلى التلميذ المغربي ثمانية عشر

13 – Paul Marty, le Maroc de demain, publication de l›Afrique française, Paris, 1925, P. 251

14 – Revue, Esprit, Paris, 1952, P. 344.

15 – Rapport sur le projet de budget de la direction de l›instruction publique 1950, présenté par Mohamed Amor président de la chambre de commerce de Meknès. P. 63.

ألف 18.000 فرنك.[16]

وبعد مرور إثنين وأربعين سنة على الاحتلال الفرنسي 1912 – 1954 بلغ عدد المغاربة الحاصلين على الشهادة الثانوية (الباكالوريا) خمسمائة وثلاثين (530) مقابل سبعة ألاف **وثلاثمائة** وثلاثة وخمسين فرنسيا. (7.353).[17]

وإلى غاية 1955 كانت حصيلة التعليم الفرنسي بالنسبة للمغاربة 3 مهندسين، 6 صيادلة، 19 طبيبا معظمهم يهود، 27 محاميا. **وهي أرقام تفضح بؤس التعليم في عهد الحماية. ولم يتم إنشاء ولا جامعة واحدة.** و كل ما قامت به الإدارة الاستعمارية هو فتح «**معهد الدراسات العليا**» بالرباط سنة 1920. وكانت تُدرَّس فيه اللهجات الأمازيغية والجغرافية وتعلم الترجمة بهدف تكوين موظفين صغار للعمل في الإدارة.[18]

وكان المستعمرون يَدَّعون القيام بنقل الحضارة للمغاربة، لكنهم في ذات الوقت يقولون «**إن العربي الذي يعرف القراءة والكتابة يمثل خطرا على فرنسا**»[19]

المستشفيـــــات

لم يجد الفرنسيون والإسبانيون أثناء احتلالهم المغرب ولا مستشفى واحد. فالناس كانت تفترسهم الأمراض والأوبئة، ويلجؤون إلى التداوي بالأعشاب وحمل التمائم التي يكتبها الفقهاء.

وجعل الاستعماريون من الطب وسيلة للتقرب من الحكام وكبار القوم، وقدموا لهم الدواء والعلاج، وبواسطتهم تعرفوا على خبايا المخزن الذي كان يعيش خارج التاريخ البشري.

---

16 – Ibid, P. 4

17 – Georges Spillmann, du Protectorat à l›indépendance, Maroc 1912 – 1955, Plon, Paris, 1967, P. 153.

18 – محمد الحسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، ج1، ص 271.

19 – Revue, les Temps modernes, Paris, Avril 1951, n° 66, P. 1900

وفي بداية الغزو كان الأطباء يرافقون قوات الاحتلال، ويقيمون مستوصفات في الأماكن المحتلة. وعندما دخلوا إلى مدينة فاس في أبريل 1911، هيؤوا مستشفى (الزربطانة)، وفي العام الموالي فتحوا مستشفى **(كوكار)**، وفي سنة 1915 تم تشييد **(بوليكلينك)** بالرباط. وشهد عام 1917 إفتتاح مستشفى **(سيد الصوفي)** بالمدينة القديمة في الدار البيضاء، والمستشفى العسكري **(20 غشت حاليا)**، وكان يتوفر على خمسمائة سرير. وبدأ **معهد باستور** أشغاله سنة 1929، وكان موجودا بمدينة طنجة منذ سنة 1913.

وتوالى تشييد المستشفيات للفرنسيين وبعض المستوصفات للمغاربة بفاس ومكناس ومراكش وغيرها.[20]

وفي سنة 1948 افتُتح بالدار البيضاء مستشفى **(موريسكو)** ويحمل اسم مدير الصحة العمومية. وكان عدد سكان المدينة يبلغ خمسمائة وخمسين ألفا من بينهم ثلاثمائة ألف مغربي.[21] ويعود بناء مستشفى الأمراض العقلية في برشيد إلى عام 1936.

وفي نهاية العشرينيات شيد الإسبانيون بعض المراكز الصحية في تطوان والناظور والحسيمة ومنطقة إفني.

وفي سنة 1950 لم يكن عدد الأطباء في المنطقة الخاضعة للإحتلال الفرنسي يتعدى 180 طبيبا وأقل من سبعة آلاف سرير, في وقت كان فيه عدد المغاربة يبلغ ثمانية ملايين. وكان بالمستشفيات سرير لكل 185 فرنسيا، وسرير لكل 2.150 مغربيا.[22]

وكل ما شيدته إدارة الحماية الفرنسية للمغاربة من سنة 1912 إلى سنة 1951 هو حوالي مائة من المصحات في مجموع المغرب منها عشرون متنقلة, وثلاثة مراكز لمعالجة أمراض العيون.[23]

---

20 – Mohamed GHOTI, Histoire de la médecine au Maroc, le XXe siècle (1896 – 1994). Casablanca, 1995, P.17

21 – Ibid. P. 19

22 – Journal LISTIQLAL, Rabat, 29-12-1951

23 – Marcel RUFFIE, le Protectorat a-t-il fut faillite ? Casablanca, 1951, P. 25.

إدارة عصرية وجهاز مخزني متخلف

لم تكن حكومة المخزن تقوم على أساس إدارة واضحة المعالم وكان أعضاؤها محددين في وزراء رئيسيين وهم الصدر الأعظم (الوزير الأول) وزير البحر (وزير الخارجية) أمين الأمناء (وزير المالية) وزير الشكايات. وكانوا في الواقع مجرد موظفين لا يقررون شيئا, فهم يهرولون للحاق بالسلطان أينما حل وأرتحل, **وحتى بيت المال كان جزءًا من موكبه لا يفارقه خوفا من أن تمتد إليه الأيدي في غيبته.** فالسلطان حاكم مطلق, يقرر في جميع القضايا ويحتفظ بجميع السلط [24] . أما العمال والباشوات والقياد فكانوا نظريًا يُعيَّنون لكنهم في الحقيقة يشترون الوظائف التي كانت «**تباع و تَشترى.**» [25]

ولكي يستعيد العمال والقياد الأموال التي اشتروا بها الوظيفة ويحققوا الربح, كانوا يعمدون إلى الاختلاس وابتزاز المواطنين والترامي على أملاكهم.

وأنشأت **(الحماية الفرنسية)** نظاما إداريا عصريا ساعدها على التحكم في البلاد وثرواتها, وحافظت على الجهاز المخزني المشلول, وبقيت الازدواجية قائمة : **إدارة فرنسية حديثة وجهاز مخزني مهترئ.**

وأعطت الإدارة الفرنسية لوزراء السلطان صفة «**وزير**» بدون سلطة, ومكنت «**المدير**» الفرنسي من جميع السلطات والصلاحيات, فمدير التعليم ومدير الصحة ومدير الاقتصاد وغيرهم كانوا الوزراء الحقيقيين. ولم تكن الإدارة الاستعمارية ترغب في تطوير **المخزن,** وحذفت جميع وزرائه باستثناء الأحباس والعدل، والمعارف البعيدة عن قضايا التعليم الحديث, والمكلفة بالتعليم الديني في المدارس القرآنية. وأبقت على منصب **(الصدر الأعظم) لكي يُوقِّع على قرارات لم يشارك في إعدادها.**

---

24 – Histoire du Maroc, op. cit. P. 318

25 – علال الفاسي، النقد الذاتي، دار الكشاف، بيروت 1966، ص 147.

وفي شمال المغرب طبقت إسبانيا نفس الخطة، وأسست إدارات تسمى «**النيابة**» يشرف عليها موظفون إسبانيون في حين قام **خليفة السلطان** في تطوان بنفس الدور الذي كان يقوم به (**الصدر الأعظم**). وبقيت طنجة خاضعة للإدارة الدولية.

جهـــــازالأمـــن

بمجرد سيطرتهم على المدن, شرع المستعمرون في وضع الأساس لجهاز القمع. فأحدثوا إدارات الشرطة، وكان معظم عمدائها يفهمون اللهجة المغربية وبعضهم يتكلم الأمازيغية, وقد جاؤوا من الجزائر وتونس, واستعان الذين لا يعرفون اللغة بمترجمين جزائريين, وانضم إليهم فيما بعد المغاربة.

وبحكم تقسيم البلاد إلى مناطق عسكرية ومدنية, فإن المقيم الفرنسي العام كان يُعيِّن ضابطا عسكريا في كل منطقة قريبة من معاقل المقاومة المسلحة, و بالمدن يعطي السلطة للمراقبين المدنيين. واعتمدوا في البوادي على القياد والشيوخ, وفي المدن نظموا شبكة واسعة للتجسس متكونة من العمال و الخلفان والمقدمين على مستوى الأحياء, والمحتسب وأمناء الصناعة التقليدية, وباعة الماء وماسحي الأحذية وعمال المقاهي وغيرهم من المتسكعين والمتسولين, يضاف إليهم النساء العاهرات والقوادات والمشتغلات في الحمامات, والعريفات اللواتي يقمن بدور الشرطيات لتفتيش النساء والمنازل.

وفي الخمسينات حينما اشتدت المقاومة المسلحة بالمدن, كان جهاز الأمن يتكون على الشكل التالي :

- 112 عميدا للشرطة. و 200 من ضباطها و 250 من نوابهم.
- 200 ضابط ممتاز.
- 250 من نوابهم
- 8 برتبة رائد.
- 8 مساعد.
- 20 ضابط للأمن.
- 290 مؤطرا لآلاف من أفراد الشرطة السرية والجواسيس.[26]

---

26 – C. A. Julien, le Maroc face aux impérialismes, op. cit. P. 446.

السجـــون

كان «**المخزن**» يحبس المعتقلين مكتوفي الأيدي والأرجل، والسلاسل في أعناقهم, ويتعرضون للعقاب الجسدي بالسياط التي غالبا ما تكون من الحبال المضفورة. وتختلف درجة العقاب الذي يستهدف له المتمرد على السلطة أو السارق أو مرتكب جريمة قتل. وكان السجناء يحشرون في مكان واحد, ويتلقون خبزة واحدة في اليوم مع قليل من الماء. وفي غالب الأيام لا يتوصلون إلا بما تزودهم به عائلاتهم.

وكانت الأوضاع أشد قساوة في السجون التابعة للإقطاعيين, فهي عبارة عن كهوف ومغارات في الجبال وأقبية في السهول.

وفي عهد الاحتلال تعددت السجون الحديثة واختلفت قوانينها باختلاف مناطق الاستعمار. ففي شمال البلاد خضعت المعتقلات للقوانين الاسبانية, وفي طنجة كانت تابعة للإدارة الدولية, وفي الجنوب صدر مرسوم بتاريخ 11 - 4 - 1915 يقضي بإنشاء سجون على النمط الأوربي. وتم بالتدريج بناء سجون **غبيلة** بالدار البيضاء و**علي أو مومن** بالقرب من سطات, و**العادر** بالجديدة, و**عين قادوس** بفاس و**بولمهارز** بمراكش, والسجن المركزي بالقنيطرة, و**سجن لعلو** بالرباط، والسجن **الكبير** بوجدة, وسجون أخرى بخريبكة والصويرة وأكادير وتزنيت.

ويعد سجن **العادر** الكائن على بعد عشر كيلو مترات من الجديدة من أكبر السجون, تأسس سنة 1916 في منطقة أقام فيها المعمرون الفرنسيون ضيعات فلاحية ضخمة, وبلغت الحقول الزراعية المحيطة به 1.515 هكتارا, كان الوطنيون المعتقلون يُساقون للعمل فيها من طلوع الشمس إلى غروبها وفي شروط لا إنسانية, وكان سجن العادر عام 1955 يضم 2.800 معتقل سياسي من بينهم 42 مقاوما صدرت في حقهم أحكام بالإعدام. وتسببت الأعمال الشاقة وسوء التغذية في وفاة عشرات السجناء.[27]

واتخذ قرار تنظيم السجون في 11 - 4 - 1915 طابعا عنصريا بتمتيع المعتقلين الفرنسيين بالسكن في «**الحي الأوربي**» بعيدا عن السجناء

27 - أنظر : الإستعمار مارس التعذيب في المعتقلات في كتابنا : كفاح المغاربة في سبيل الاستقلال والديمقراطية 1953 - 1973. الدار البيضاء 2004. ص 273 - 283.

المغاربة, وبتوفير التغذية الجيدة والعناية الصحية والحق في المطالعة وغيرها من وسائل الترفيه.[28]

وكان الوطنيون المغاربة يرغمون على القيام بالأشغال الشاقة من حفر الطرقات وحمل الأحجار, وفي ظرف عشرين سنة قضى عدد كبير نَحْبَهم من جراء التعذيب و في مقدمتهم **الكاتب والشاعر محمد القري** الذي كان مريضا و بدينا لا يقدر على المشي, وتم ربطه بعربة تجره على الأرض إلى أن بلغ مرحلة الاحتضار, فأمر الضابط الفرنسي **«أيار»** بوضع كوْمة محترقة من الجير في زنزانته عجَّلت بخنق أنفاسه.[29]

وكان قتله يوم 8 – 12 – 1937 بسجن كلميمة, ودفن بمقبرة توجد في قصر أيت مرغاد.[30]

وضربت إدارة السجون حصارا ثقافيا على الوطنيين, ومنعت عنهم الكتب و الصحف والأقلام والورق. والأبشع من ذلك أنها كانت تحرض المعتقلين المجرمين ليعتدوا عليهم جنسيا.[31] وبلغ عدد الوطنيين والمقاومين في السجون سنة 1955 أزيد من ثلاثين ألفا.[32]

القضـــاء العصـــري

لم يكن بالمغرب, قبل خضوعه للاحتلال، لا نصوص تشريعية ولا مسطرة جنائية.[33] فالقانون الذي كان العمل جاريا به إستند إلى الشريعة على المذهب المالكي, غير أن القضايا الجنائية كانت موكولة إلى موظفي المخزن يفصلون فيها حسب مصالحهم. ولم يبق للقاضي الشرعي سوى النظر في ما يتعلق بالأحوال الشخصية من زواج وطلاق وإرث ونزاع حول الممتلكات العقارية. وإذا كان المتقاضي لا

---

28 – من تقرير لجنة التحقيق الفرنسية التي حلت بالمغرب من 20 إلى 30 شتنبر 1955.

29 – عبد الهادي بوطالب، ذكريات شهادات ووجوه، الرباط 1992، ج1، ص 245.

30 – الصديق بن العربي، كتاب المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1984، ص 171.

31 – عبد الرحيم بوعبيد، ذكريات، جريدة «الإتحاد الإشتراكي» 13 – 1 – 1992.

32 – عبد الرحيم بوعبيد، (التقرير السياسي المقدم للمؤتمر الاستثنائي لحزب الاستقلال بالرباط في شهر دجنبر 1955).

33 – محمد عياط، دراسة المسطرة الجنائية المغربية، ج1، الرباط 1991، ص 41.

يرضيه حكم القاضي الأول, فإنه يتجه إلى القاضي الثاني أو الثالث للبث في نفس القضية. وكان باب البيع والشراء مفتوحا أمام القُضاة المرتشين. أما ما كان يسمى وزير الشكايات فإن ذوي النفوذ المالي هم القادرون على الوصول إلى مكتبه.

وفي المناطق الجبلية فإن الأحكام كانت تخضع, داخل كل قبيلة للأعراف والقوانين الشفوية المتداولة أبا عن جد طيلة قرون خلت.

وحينما سيطرت إسبانيا وفرنسا على البلاد أبرمتا إتفاقية بتاريخ 27 – 11 – 1912 تعطيهما الحق في أن تقوم كل واحدة منهما في منطقة حكمها بإنشاء مؤسسات قضائية مقتبسة من تشريعها الخاص.[34]

وفي 31 – 10 – 1913 أحدثت الإدارة الفرنسية وزارة العدل وأقامت محاكم إبتدائية وصلحية ومجالس إستئناف يرأسها قضاة فرنسيون, واستصدرت، باسم السلطان, ظهائر تتعلق بالقانون الجنائي والقانون المدني مأخوذين من القانون الفرنسي, وفيما يخص شؤون المعاملات اقتبست تشريعات الفقه المالكي. وجاء في ظهير 1920 أن صلاحية المحاكم الفرنسية «**تشمل جميع القضايا... كيفما كانت جنسية المتداعين والموضوع المتنازع عليه.** »

ولم تترك للفقهاء سوى ما يتعلق بالأحوال الشخصية والنزاع حول العقار غير المحفظ. أما العقارات بشكل عام فقد إستبدت بها لكي تمكن المستوطنين من الاستيلاء على الأراضي الخصبة، وهو ما أقره ظهير 8 – 5 – 1938 القاضي بتفويت أراضي الجماعات للمعمرين الفرنسيين.

ومن جانب آخر أدمجت الإدارة الإستعمارية الباشوات والقياد والخلفان فيما سُمي «**القضاء المخزني**» بصفتهم أدوات لقمع الشعب، وتركتهم ينهبون ويَغتنون ويصدرون الأحكام حسب أهوائهم، وألزمتهم بعدم القضاء في النوازل الكبرى إلا بموافقة المراقب المدني الفرنسي.

34 – موسى عبود، الوجيز في القانون الدولي الخاص المغربي، الدار البيضاء، 1994، ص 86.

بينما ظل اليهود يطبقون أحكامهم على أساس الشرائع الواردة في كتاب التلمود.

وهكذا خرج القضاء العصري من بطن الاستعمار مُشوّها، وسيبقى في عهد الاستقلال منبعا للظلم والقهر، ومصدرا للاغتناء والربح السريع، وقلما تجد قضاة نزهاء لا يملكون شيئا. فمعظم القضاة كانوا أدوات في يد الحكم المطلق، وتورطوا بإصدارهم أحكاما ظالمة في حق المخلصين الصادقين من أبناء المغرب.

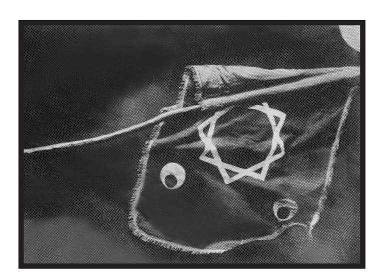
الرايــة المغربيــة والنشيــد الوطنــي

من سُخْريَّة التاريخ أن المقيم الفرنسي العام **الماريشال ليوطي** هو الـذي قـررَ الشكـل الـذي تكـون عليـه الرايـة المغربيـة بظهيـر يـوم 17 نوفمبر 1915. وجعلها رايةً واحدة بعد أن كانت رايات متعددة لكل جهة رايتها، ولكل قبيلة علَمُها، وللزوايا الدينية والطرق الصوفية أعلامها وألوانها.

فأقدم راية مغربية كانت ذات لون أزرق وأحمر وأبيض، ويرجع تاريخها إلى القرن الثامن الهجري - الرابع عشر ميلادي[35] وفي القرن الثامن عشر كان لون الرايةِ أحمر وتحمل رسمَ مقبض أبيض. وفي حوالي 1870م كان لون العَلَم الوطني أخضر يحمل ثلاثة أهلّةٍ بيضاء.

وعشية الغزو الاستعماري كانت راية «**المخزن**» حمراء بثمانية زوايا، وأحيانا بست زوايا. فقرر **الماريشال ليوطي** أن تكون حمراء وفي وسطها خاتم أخضر اللون ذو خمس زوايا.

35 – عبد العزيز بن عبد الله، الجيش المغربي عبر العصور، الرباط، 1986، ص 79.


راية مغربية قديمة



الراية المغربية كما أرادها الماريشال ليوطي

أما «**النشيد الوطني**» فقد وضع موسيقاه الضابط الفرنسي (**ليوموركان**) وسماه «**السلام الملكي**» وكان يعمل رئيسا للفرقة الموسيقية للحرس الملكي. وبعد الإستقلال إتخذ صفة «**النشيد الوطني**» الرسمي بالموسيقى فقط. ولم تُكتب كلماته إلا في السبعينات من القرن الماضي. فقد كلف الملك الحسن الثاني فقيه مخزني بإنجازها، وجعل لازمتها «**اللّٰه والوطن والملك**».

ومن جهة أخرى إستعجل **الماريشال ليوطي** إصدار «**الأوسمة الشريفة**» وكان في مقدمتها «**وسام الاستحقاق العسكري**». واستفاد منه المرتزقة المجندون في الجيش الفرنسي، تشجيعا لهم على القيام بالمهام التي تكلفهم بها قيادة الجيش الفرنسي، وفي مقدمتها محاربة المقاومة الشعبية.[36]

36 – عبد الحميد بنشنهو، النظام الإداري المغربي، مطبعة الأمنية، الرباط، 1963، ص 65.

الفصل العاشر

البورجوازية الوطنية تعلن معارضتها للإستغلال الأمبريالي

إفلاس الصناعة الوطنية

كان الصناع التقليديون يمارسون عدة حرف مثل الدباغة وصناعة الأحذية والسروج والنجارة ونسيج الصوف والحرير والقطن والكتان والزرابي وخياطة الألبسة، والحدادة وصناعة السيوف والبنادق وسكة الحرث، وشبابيك النوافذ، وتذويب النحاس والرصاص والقصدير والكبريت، وصناعة أواني الفخار وغيرها. وكان الصناع كادحين يبيعون قوة عملهم لأقلية ثرية تمتلك المصانع التقليدية وتفرض رقابتها على السوق والإنتاج.

وحسب تحقيق فرنسي أجري في سنتي 23 - 1924 فإن الصناع التقليديين بمدن فاس، الرباط وسلا، ومراكش وتارودانت كانوا يمثلون نصف السكان [1] .



صناعة النسيج في الهواء الطلق

1 – عبد العزيز بن عبد الله، تاريخ الحضارة المغربية، ج1. الدار البيضاء 1962 ص 129.

وكان ممثلو الشركات الفرنسية يأتون إلى المغرب ليأخذوا عيّنات من البضائع التي لها رواج في أوساط المستهلكين المغاربة، ويزوّرونها في معاملهم ثم يصدرونها إلى المغرب بأثمان أقل بكثير من الأثمَان التي تباع بها تلك المصنوعة محليا. وبذلك أصيبت معامل الصناعة التقليدية بالإفلاس. وحتى البضائع المغربية الأصلية فإن التجار الفرنسيين كانوا يشترونها بأثمان متدنية ويصدرونها إلى مختلف بلدان العالم. وتفيد إحصائية رسمية فرنسية أن إنتاج (الزربية) السجاد بلغ سنة 1934 ستين ألف متر مربع تم إنجازها في المدن والقرى المغربية.[2]

وغزت الأسواق المغربية الزربية المصنوعة بفرنسا واليابان في شكل «**زربية شيشاوة**». وكان ثمن هذه الزربية المزورة ينقص ثلاث مرات عن ثمن المغربية الحقيقية.

وكانت المعامل الفرنسية بالجزائر تنتج الزرابي المغربية المزيفة وتصدرها إلى فرنسا وكأنها من صنع مغربي.[3]

أما الحذاء المغربي (البلغة) الذي كان يصدر إلى الجزائر والسنغال فكان بدوره يأتي من اليابان ويباع بثمن أقل بكثير من الحذاء المصنوع يدويا.[4] وعانت الصناعة التقليدية من فداحة الضرائب التي كانت تفرضها الإدارة الفرنسية على المنتوجات الوطنية. فكانت الضريبة على الباب (Droit de porte) تبلغ فرنكين ونصف يضاف إليها فرنك واحد على كل متر مربع بدعوى مصاريف وضع الطابع على المنتوج، بينما لم تكن تبلغ ضريبة الباب سوى 15 فرنكا للقنطار على المنتوجات المزورة والمستوردة من الخارج.[5] وزاد من إستفحال أوضاع التجار والصناع التقليديين الضرائب الثقيلة على المصنوعات المغربية سواء المصدرة إلى الخارج أو المعروضة للبيع محليا.

°Bulletin de la chambre de commerce et industrie de Casablanca, n – 2 Janvier 1935, P. 21 ,151

.Ibid. N° 157 Juillet 1935. P. 72 – 3

.Ibid. N° 154, Avril 1935, P. 180– 4

Ibid. N° 157, P. 72 – 5

وشهدت الرباط وسلا في عام 1919 أول مظاهرة للتجار المتضررين من الضريبة على الأرباح وكانوا يرددون «**لا ضريبة بدون مراقبة**[6] ». وألقت الشرطة القبض على منظمي المظاهرة وكانوا من أبناء التجار المتعلمين، وفي مقدمتهم **عبد الله بن سعيد** و أحد أعضاء الوفد الذي استقبله إمبراطور ألمانيا (**جيوم الثاني**) أثناء وصوله إلى مدينة طنجة سنة 1905، وكذلك **عبد الرحمان حجي**، **وبن عيسى العلوي**، وتم نفيهم إلى مدن أخرى.[7]

وفي سنة 1921 تجددت المظاهرات بالرباط ضد فرض ضريبة جديدة بدعوى وقاية الدكاكين بواسطة غطاء «**الباش**» وتم إبعاد متزعمي المظاهرة إلى مدن أخرى وهم : **محمد البحراوي** وبن **بلكورة والمحجوب الأزرق والمعطي جوريو**.[8] وتوالت في عام 1937 مظاهرات الصناع ضد الإستغلال الذي تعرضوا له من قبل أرباب المصانع، وتحولت المظاهرات بمدينة سلا إلى أعمال شغب، واقتحم الجائعون محلات بيع الخبز ونهبوا ما فيها.[9] وبمدينة مراكش كان الصناع التقليديون ينظمون كل يوم، بتناوب الحرف، مسيرات سلمية يقدمون خلالها مطالبهم مكتوبة إلى الحاكم الفرنسي، وضجت السلطة المحلية من الإحتجاجات الصامتة المتتابعة فالقت القبض على العناصر النشيطة واتهمتهم بالانتماء إلى حركة وطنية معادية لفرنسا.[10]

واستهدف الصناع التقليديون في جميع المدن للقمع وتعرض أرباب المصانع للسجن ونزع أملاكهم بسبب العجز عن أداء الضرائب المجحفة التي لا تخضع لأية مقاييس. ووصفت صحيفة فرنسية كانت تصدر بالدار البيضاء وضعية أصحاب الصناعة التقليدية بقولها :

---

6 – محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، ج1 – بيروت، 1982 ، ص 395.

7 – أحمد معنينو، ذكريات ومذكرات، ج1 – مطبعة سبارطيل، طنجة 1991 ص 97.

8 – عبد الله الجراري، من أعلام الفكر المعاصر، ج1. الرباط، 1971، ص 259.

9 – أحمد معنينو، ذكريات ومذكرات...ج2. ص 142.

10 – حديث مع عبد الله إبراهيم بالدار البيضاء في 24 يونيو 1994.



سيدة تصنع الزربية

«إذا لم يُفد شيئا بَيْعُ الأثاث والأدوات في تأدَية الضريبة، فإن الصانع يساق إلى السجن... ويمكن القول أن خمسين بالمائة من السكان يتخبطون في فقر مُدقع، ويوجدون في حالة سوء التغذيةَ بشكل دائم، ويجب التنبيه إلى أن سكان البادية يُعانون من بؤس مُرعب أكثر من الذي يوجد فيه سكان المدن.»[11].

وتدهورت أحوال الصناع والحرفيين بسبب الكساد الناتج عن إغراق الأسواق بالبضائع الأجنبية المزيفة، وارتفاع أثمان المواد الأولية وتدني الأسعار المفروضة على المنتوجات المحلية إضافة إلى الضرائب الفاحشة وتسببت تلك الأوضاع في تصادم مصالح الصناع التقليديين مع مصالح الرأسمالية الإستعمارية. ولتطويق الحركات الإحتجاجية المتنامية، عمدت السلطة الفرنسية إلى تأسيس «مكتب صناعة الفنون الأهلية» لكي تراقب الإنتاج وتربط الصناع التقليدين بدواليب الإدارة، لأنها لم تكن ترغب في تطوير الصناعة التقليدية مما سيمكن المجتمع من الإنتقال إلى تشكيلة أخرى أكثر تقدما من شأنها تغيير علاقات الإنتاج وتحويل المنتجين الصغار والحرفيين إلى رأسماليين منافسين لإحتكارات الرأسمالية الفرنسية.

ومن جهة أخرى خاب أمل الأرستقراطية التجارية التي رحبت سنة 1912 بالإحتلال الفرنسي وهي ترى الرأسمالية الإستعمارية وقد سيطرت على منابع الإقتصاد ولم تترك لها سوى الفتات. وكشفت

11 – Le Maroc dans la crise, Journal le Soir, Casablanca, le 30 Mai 1930

إحصائية نُشرت في السجل التجاري مدى هيمنة الفرنسيين على الشركات التَجارية.[12]

السنة	عـدد الشركـات	المسجلون الفرنسيون	المسجلون المغاربة
1927	707	4.602	931
1938	2.564	14.471	3.285

وفي عام 1933 كان عدد الفرنسيين الذين يتوفرون على الهاتف بمدينة فاس 737 مقابل 150 جهازا للمغاربة وفي العاصمة الإدارية الرباط كان فقط 145 مغربيا يملكون جهاز الهاتف بمن فيهم الموظفون، في حين أن الفرنسيين التجار والإداريين كان بحوزتهم 1.636 جهازا.

وفي مجال النقل كان عدد السيارات الخفيفة المسجلة في أسماء الفرنسيين 20.000. بينما كانت في أسماء المغاربة 192 سيارة ومعظمهم باشوات وقياد وعملاء الإدارة الفرنسية.[13]

وضاقت باقي الشرائح الاجتماعية بسياسة الإدارة الفرنسية المبنية على التمييز بين الفرنسيين والمغاربة في الوظيفة العمومية وفي غيرها. فالمغاربة الذين أنهوا دراستهم في الجامعات الفرنسية لم يكن مسموحا لهم بفتح عيادات أو مكاتب للدراسة، بل يجدون أنفسهم مرغمين على تقديم طلب إلى «**مكتب الهجرة**» الذي كان يبحث في طلبات المهاجرين القادمين من بلدان أجنبية.[14] وحسب إحصائية صادرة عن الإقامة العامة الفرنسية سنة 1944 فإن عدد الموظفين المغاربة لم يتجاوز5.941 في وقت بلغ فيه عدد الموظفين الفرنسيين 20.492، ولم يكن عدد الفرنسيين القاطنين بالمغرب يتعدى أربعمائة

12 – Albert Ayache, le Maroc, Bilan d’une colonisation, Paris, 1956, P. 195

13 – René Hoffherr et Roger MORIS, Revenus et niveaux de Vie, indigène au Maroc, librairie du Recueil Sirey, Paris, 1934, P. 106.

14 – رشيد ملين، نضال ملك، سيدي محمد بن يوسف، الرباط 1956 ص 121.

ألف مقابل تسعة ملايين من المغاربة.[15]

كان عدد كبار الأغنياء الفرنسيين يتراوح بين أربعة وخمسة آلاف شخص، سيطروا على ثروات ضخمة وتمرغوا في الكماليات، وسكنوا أحسن الفيلات والضيعات، وتنقلوا في أفخم السيارات، وآخرون منهم إمتلكوا طائرات خاصة.[16]

وظل الموظفون المغاربة محرومين من التعويضات عن الزواج والولادة والعطل السنوية والإجازات المرضية، بينما كان الفرنسيون يتمتعون بها زيادة على تعويض بلغ خمسين بالمائة مضافا إلى أجورهم الأصلية تشجيعا لهم على الإستيطان بالمغرب.[17]

ودفعت السياسة الاقتصادية للإستعمار فيئات واسعة من الحرفيين والتجار الصغار والموظفين إلى الانخراط في العمل المباشر ضد الإستغلال الإستعماري.

15 – Albert Ayache, le mouvement syndical au Maroc, T. 2, La marocanisation 1943-1948, Casablanca, Wallada, 1998. P. 80

16 – Robert Rézette, les partis politiques marocains, colin, Paris, 1955, P. 257

17 – بن الحسن الوزاني، مذكرات حياة. م. س. ج. 4. ص. 392.

مقاومة الإحتلال بأدوات ثقافية

بدأت الحركة السياسية في شكل جمعيات طلابية سرية. كان الطلبة بفاس والرباط – سلا، ومراكش وتطوان، يناقشون القضايا الثقافية والسياسية خاصة وأن عددا منهم عادوا من بلدان المشرق العربي متأثرين بأفكار القومية العربية. وانتبهت الإدارة الفرنسية مبكرا إلى نشاط الحركات الطلابية، وعملت على احتوائها فيما أطلقت عليه إسم «**جمعية قدماء التلاميذ**»، وأقحمت داخل كل جمعية مديرها الفرنسي بصفته «**مستشارا فنيا**»، ليقوم بمراقبة نشاطها والحيلولة دون ممارستها أي نشاط مناوئ للوجود الإستعماري.

غير أن الجمعيات الطلابية السرية تعددت وعملت بعيدا عن ملاحقة جواسيس سلطة الإحتلال. ومن وسطها برزت نخبة وطنية تنتمي إلى التعليم الأصيل والعصري، وشاركت في تأسيس أول حزب سياسي مغربي.

فقد شعرت البورجوازية التجارية بقساوة الأوضاع التي أحدثها الإستغلال الرأسمالي الأجنبي، وعزمت على الدفاع عن مصالحها بإيجاد تنظيم يؤطر كفاحها، ووجدت أطره في الطلبة من أبناء البورجوازية الصغيرة والمتوسطة، وبعض المثقفين الذين واكبوا ثورة الريف، وبلغت إلى مسامعهم أصداء حركات التحرير في مصر وسوريا وفلسطين والعراق.

وفي سنة 1930 تأسس تنظيم «**الزاوية**» وهو اسم مستعار من المكان الذي يجتمع فيه الصوفية، وكان عدد من أعضائها الستين «**غير متحررين تماما من آثار رواسب النفوذ الطرقي الذي كان سائدا وقتئذ في الأوساط المغربية**»[1]. وتحت « **الزاوية**» كانت «**الطائفة**» التي لم تكن تدري بوجود «**الزاوية**» وفوقهما معا كان «**السفير**» وهي

---

1 – محمد بن الحسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، ج3. ص 302.

لجنة متكونة من **علال الفاسي وعمر بن عبد الجليل ومحمد غازي.**

وفي عام 1934 جاءت ولادة «**كتلة العمل الوطني**» بهدف «**تنسيق الحركة الوطنية وتوجيهها**».[2] وقدمت للإدارة الفرنسية برنامج «**مطالب الإصلاحات**» ويتحدد في الحريات العامة وحرية الصحافة والتجمع، وبعض المطالب الإقتصادية.

وفي محاولة لتنظيم هياكل «**كتلة العمل الوطني**» وقع خلاف بين الزعيمين علال الفاسي وبن الحسن الوزاني، انتهى بانفصال الوزاني وتأسيس «**الحركة القومية**» ثم أسس أصدقاء الفاسي «**الحزب الوطني لتحقيق المطالب**»

وأشار عبد اللّه إبراهيم إلى أن وراء انقسام الكتلة أسباب جهوية «**إنَّ أتباع بلحسن الوزاني على العموم هم وزانيون... وأغلب أتباع علال الفاسي هم فاسيون من العائلة الفاسية.**»[3]

ويرى أبو بكر القادري من رفاق علال الفاسي أن الإنقسام نتج عن انفراد «**مدينة واحدة – ويعني بها فاس – بوضع قوانين وتنظيمات الحزب في غيبة ممثلي الكتلة في باقي المدن.**»[4]

وقد طبع التعصب الجهوي عقلية صانعي الأحداث التي نحن بصدد تناولها. فعلال الفاسي يتحدث عن «**الوطنيين الفاسيين.**»[5] وأبو بكر القادري يتكلم عن «**الوطنيين السلاويين**»[6]. وفي تطوان كان «**عبد السلام بنونة أب الحركة الوطنية**». ووضع عبد الخالق الطريس لحزب الإصلاح الوطني علما باللونين الأبيض والأسود وقال عنه إنه «**عَلَم وطنية المواطنين.**»[7]

---

2 – علال الفاسي، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، ص 153.

3 – عبد اللّه إبراهيم، الحركة الوطنية والعمل الثقافي، مجلة الكرمل، عدد 11، قبرص 1984، ص 123.

4 – أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية ج1. ص 387.

5 – الفاسي، الحركات الإستقلالية، ص 262.

6 – القادري، مذكراتي. م. س. ص 383.

7 – عبد الهادي بوطالب، ذكريات شهادات ووجوه، الرباط 1992، ج–1 ص 385.

وفي عام 1937 إنفجر التعصب الجهوي وسط المعتقلين الوطنيين بسجن الدار البيضاء. **فالفاسيون** كانوا يتوصلون بكل أنوا ع التغذية ويبخلون بها على إخوانهم **البيضاويين**. وتحول الخصام بين الطرفين إلى تنافس على من يأكل أحسن وأكثر. وأصبح البيضاويون الميسورون يطلبون من عائلاتهم تزويدهم بالطبخات الشهية، ويتقاسمونها مع غير الفاسيين، وكل ذلك كان يجري أمام أنظار مدير السجن الفرنسي، وخلقت «**تلك الوضعية المؤسفة شرخا مؤلما في صفوف الوطنيين، وسببت لنا صعوبات جمَّة في التنظيم.**» [8]

وبرزت مقولة «**الدار البيضاء للبيضاويين، وفاس للفاسيين. وصار الوطنيون الشباب يتأرجحون بين الإنصات لهذا وذاك... ونشبت بذور البغضاء والشحناء بين الإخوة والرفاق.**» [9]

وكانت السلطة الإستعمارية ألقت القبض على العشرات من الوطنيين ونفت علال الفاسي إلى الكابون بإفريقيا الإستوائية. وألقت القبض على بلحسن الوزاني بسبب تنظيمه حركة تضامنية مع المعتقلين. وقامت مظاهرات غاضبة في بعض المدن كان أهمها تلك التي جرت بالقنيطرة، حيث قتل المتظاهرون أربعة شرطيين فرنسيين وجرحوا ستة.[10] ، وسقط أربعة عشر قتيلا من المغاربة[11] ، وألقي القبض على أربعمائة وخمسين شخصا في مجموع المغرب.[12]

إلا أن الإعتقالات لم تشمل جميع أطر الحزب الوطني ومنهم على الخصوص سعيد حجي وبعض الشخصيات الأخرى التي اعتُبِرت أكثر اعتدالا.[13] ،

---

8 – حديث مع عبد الله إبراهيم، مارس 1988 – الدار البيضاء.

9 – أبو بكر القادري، مذكراتي. م. س. ص 388.

10 – 1956 – 1415 ,Ch. André Julien, le Maroc face aux impérialismes, ed. Jeune Afrique, Paris, 1978, P. 187.

11 – الفاسي، الحركات الإستقلالية. ص 221.

12 – الوزاني، مذكرات حياة، ج5، ص 37.

13 –عبد الرحيم بوعبيد، دفاتر مناضل، جريدة الإتحاد الإشتراكي، 11 – 1 – 1987

ويقول الوزاني أن عددا من أعضاء الحزب الوطني ذهبوا للتفاوض والتعامل مع الإقامة العامة الفرنسية مباشرة بعد اعتقالات 1937.[14]

وتسابق الإنتهازيون المتسترون برداء «**التعقل والاعتدال**» للتقرب من المقيم الفرنسي العام (**نوكيس**). فعيَّن عددا منهم في مناصب سامية. وألحق بديوانه **محمد عمر الحجوي** صاحب كتاب «**التاريخ الديبلوماسي للمغرب**». ووضع **عبد اللطيف الصبيحي** على رأس الجريدة الفرنسية «**الصوت الوطني**» التي كانت تمولها الإقامة العامة الفرنسية، وجعل **محمد الخلطي** مديرا لمكتب المغرب بباريس.[15]

تحرير الإنسان بالتعليم والعِلم

في العشرينيات من القرن الماضي اهتمت الشريحة المستنيرة من البورجوازية التجارية بالمسألة الثقافية، وكانت تدرك أن «**التعليم هو أساس كل إصلاح، فعندما تنعدم المعرفة تنعدم معها جميع وسائل الإصلاح.**»[16] وفي رسالة أخرى إلى ابنه اشتكى **عبد السلام** من الوضعية المزرية التي يوجد عليها التعليم «**إن بلادنا المغربية انحطت في العلوم والمعارف وضرب الجهل بها أطنابه، فكادت تكون همجية حقيقية...**»[17]

وسواء في شمال البلاد أو جنوبها فإن الوطنيين بادروا إلى تجديد الكتاتيب القرآنية وأطلقوا عليها إسم «**المدرسة الحرة**» وأدخلوا فيها مواد للتدريس على شكل مثيلاتها في مصر وسوريا. وكانت التجربة الأولى في مدينة تطوان على يد **محمد بن علي الخطيب** عام 1919.[18]، وكان بعض الأغنياء يشترون منازل سكنية ويجعلون منها مدارس. وفي سنة 1924

14 – الوزاني، مذكرات، م. س. ج5، ص 233

15 – Ch. André Julien, le Maroc, op. cit. P. 187.

16 – عبد السلام بنونة أب الحركة الوطنية المغربية، ج1. ص 141، مطبعة الساحل، الرباط 1987.

17 – ن. م. ص 99.

18 – القادري، مذكراتي، م. س. ص 431

تأسست المدرسة الأهلية بتطوان بتمويل **عبد السلام بنونة** وإدارة **محمد داود**. واستعملت فيها الكتب المستوردة من لبنان وسوريا ومصر. وفيها تلقى معظم المناضلين الذين عملوا في الحقل الوطني تعليمهم الإبتدائي، ومن بينهم **عبد الخالق الطريس**، وبلغ عدد تلاميذها ثمانين سنة 1929.

وفي عام 1935 أسس عبد الخالق الطريس **«المعهد الحر»** بتطوان، واحتوى على أقسام للثانوي العصري.

وبمدينة فاس أسس **أحمد مكوار** سنة 1919 مدرسة بزاوية سيدي بناني وكان من كبار الأغنياء الوطنيين. وفي السنة الموالية تأسست مدرسة النجاح، وتلتها مدرسة رحبة القيس ثم مدرسة الناصرية عام 1921. وترأس إدارتها العالم **مولاي العربي العلوي**، وأشرف على تسييرها الفقيه **محمد غازي** و**عبد السلام السرغيني**، وقامت الإدارة الفرنسية بإغلاقها ونفت مديرها إلى مدينة الدار البيضاء.[19]

وفي الرباط تأسست المدرسة المعطوية سنة 1919، والمدرسة الكتانية ثم المدرسة الحراقية. وفُتِحت أول مدرسة بسلا عام 1920 وكان مقرها بالزاوية العيساوية، وجاءتَ بعدها مدرسة الزهرة سنة 1922.

وفي الدار البيضاء أسس **الفقيه الضرباني** أول مدرسة حرة وحملت إسمه، ثم مدرسة للا تاجة في عام 1920، ومدرستا الفلاح والنجاح.

وبمراكش جعل الفقيه **المختار السوسي** من زاوية والده الدرقاوية مدرسة **«الرميلة»**. وكانت تقتصر على تلقين الصغار والكبار نفس المواد : القرآن والفقه والحديث. وفي بداية الثلاثينات أسس الفقيه **عبد القادر المسفيوي** مدرسة الرحبة، وشيد **محمد بن عبد الرزاق** مدرسة المواسين. وبعد الحرب العالمية الثانية فتحت عدة مدارس أبوابها من بينها مدرسة الحياة ومدرسة الفضيلة للبنات والحسنية والعبدلاوية ومدرسة رياض العروس.

وبعد تأسيس **(الكتلة الوطنية)** سنة 1934، عرفت المدارس الحرة نشاطا متزايدا، وظهرت مدارس جديدة لعبت دورا هاما في التحريض السياسي وشحن عقول التلاميذ بالوعي الوطني. وفي طليعة

19 – الوزاني، مذكرات حياة وجهاد... ج1، ص 374، بيروت 1982.

تلك المدارس «**معهد جسوس**» الذي أسسه **أحمد بلا فريج** بالرباط، ومدرسة النهضة التي اعتبر **أبو بكر القادري** نفسه مؤسسها، بينما قال **معنينو** أن السكان شاركوا في بنائها وأن أسرة القادري تبرعت بقطعة أرضية فقط، واتهمه بالتحايل إلى أن أصبحت في إسمه.[20]

وفي الثلاثينات شيدت مدرسة التقدم بالقنيطرة وترأسها **محمد الديوري** وأدارها الفقيه **بوشتى الجامعي**، وبعده العالم **مولاي العربي العلوي**. وتم بناء مدرسة العروبة بوجدة برآسة **عبد السلام الوزاني**، ومدرسة بركان التي أشرف عليها **عبد المالك بن المختار**، ومدرسة وزان بإدارة **محمد الفرسيوي**، ومدرسة ببركان سيرها **الجيلالي مزوار**، وأخرى بفكيك أشرف عليها **محمد أقرج**، وبطنجة أسس **عبد اللّه كنون** مدرسة حرة.[21]

وفي عام 1937 بلغ عدد المدارس الحرة في منطقة الإحتلال الفرنسي أربعين كانت تضم خمسة آلاف تلميذ، وتضاعف العدد في الأربعينات من القرن الماضي. وتم إدراج اللغة الفرنسية كمادة في البرنامج الدراسي بداية من سنة 1923 في المدارس الحرة بالرباط. فالمرور إلى التعليم الثانوي في المدارس الرسمية كان غير ممكن بالنسبة للقادمين من التعليم الحر بدون لغة فرنسية، فالطبقة الوسطى التي كانت تقف وراء نشر التعليم العربي عملت على تلقين أبنائها ثقافة الأجداد وفي ذات الآن رغبت في تمكينهم من تعلم لغة الإستعمار التي تضمن لهم الصعود الإجتماعي.

وفي شمال المغرب حيث كان الوطنيون يتعاونون مع سلطة الإحتلال، بدأ الأطفال المغاربة في المدارس الحرة يتعلمون الإسبانية على يد معلمين اسبانيين، وفي عام 1928 هيأت إدارة الحماية برنامجا خاصا لمساعدة أبناء الأعيان على دراسة الطب في مدينة قادس الإسبانية. وكانوا يتخرجون بدرجة مساعد طبيب ويعملون في المستشفيات.[22]

---

20 – أحمد معنينو، ذكريات ومذكرات، ج-1 ص 72، مطبعة سبارتيل، طنجة 1991.

21 – القادري، مذكراتي... م. س. ص 494.

22 – أب الحركة الوطنية، م. س. ص 185.

وفي نطاق الصراع بين الدولتين الإستعماريتين فرنسا وإسبانيا، عملت الحكومة الإسبانية على كسب تعاطف البلدان العربية وتقليص نفوذ فرنسا في المشرق، وسمحت بإرسال بعثات طلابية للدراسة في مصر، وتكلفت بأداء نفقات بيت المغرب في القاهرة، وسمحت سنة 1937 بقدوم أساتذة مصريين إلى تطوان لتدريس المواد العلمية في معهد مولاي الحسن بن المهدي خليفة السلطان. وهذا لا يعني أن الإستعمار الإسباني احترم حق المغاربة في الثقافة والتعليم، فقد انسحب سنة 1956 من شمال المغرب وترك وراءه أكثر من 95 بالمائة من السكان المسلمين أميين، ولم يكن عدد الطلبة في قسم الباكالوريا سوى **واحد وعشرين** ومعظمهم من أبناء عملاء إسبانيا.[23]

وأثناء المظاهرات الشعبية في عدة مدن سنة 1937، أغلقت السلطة الفرنسية عدة مدارس حرة واعتقلت أساتذتها، وأصدرت مرسوما يمنع تدريس **تاريخ المغرب ومادة الحساب**، وكل مدرسة تخالف القرار يتم إغلاقها.[24]

ولم يكن أمام الحركة الوطنية البورجوازية من سبيل لمواجهة الغزو الثقافي الفرنسي سوى غرس **نزعة التعصب الوطني والديني في النفوس**، لأن وعيها المتخلف لم يساعدها على تشريح الثقافة الأجنبية ونقد سلبياتها وبحث الأسباب التاريخية والإقتصادية لتشكلها، فلجأت إلى تبرير السقوط الحضاري للمغرب بتلقين التلميذ في المدرسة والمناضل في الخلية الحزبية الجوانب التي كانت مشرقة في تاريخ الثقافة الإسلامية وتفوقها على أوربا في عصر الإسلام الذهبي، وبذلك **كَبَّلَت عقل أجيال كاملة بأساطير لا عقلانية.**

وفيما كان حزب الاستقلال وحزب الشورى والإستقلال يتنافسان على كسب الأوساط الشعبية بجعل المدارس الحرة أداة لتكوين الأطر الحزبية، دخل القصر الملكي المعركة وأسس بدوره مصلحة خاصة

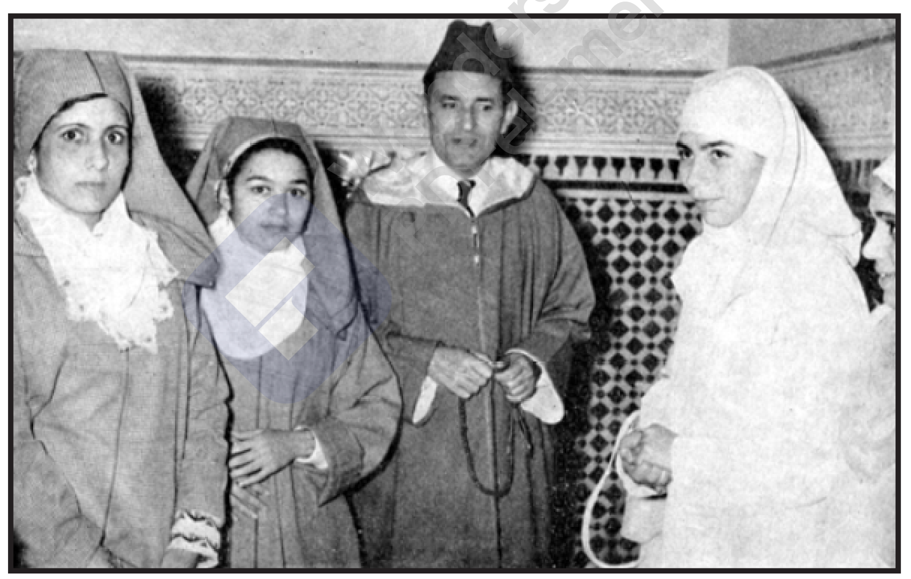
---

23 – Martin MIKEL, El Colonialismo Espagniol en Maruecos 1860–1956 Ruedo Liberico, Paris, 1973, P. 56.

24 – أبو بكر القادري، قصة النهضة، الدار البيضاء 1974 ص 41.

بالتعليم الحر، ووضع برنامجا دراسيا للمدارس الإبتدائية وألزم جميع المدارس الحرة بتطبيقه.

وانتزع **الملك محمد الخامس** المبادرة من الحزبين السياسيين، وأشرف شخصيا بداية من سنة 1944 على تأسيس المدارس الحرة، وعيَّن لجنة لجمع التبرعات وجعل على رأسها باشا الرباط **حمادي القباج**. وهو ما لم تقبله الإدارة الفرنسية فأبعدت الباشا إلى مدينة طنجة. وفي عام 1947 فتحت مدارس محمد الخامس أبوابها بالرباط وكانت أكبر مدرسة بالمغرب حينئذ ضمت ألف تلميذ نصفهم فتيات. وأصبح عدد المدارس الحرة سنة 1952 حوالي مائة، وناهز مجموع التلاميذ عشرين ألفا.(25)



الملك محمد الخامس يستقبل وفدا يمثل الطالبات

المهدي بن بركة دافع عن حق المرأة في التعليم

كانت إدارة الحماية الفرنسية تنظم بين الفَيْنَة والأخرى محاضرات في مواضيع متنوعة. وفي سنة 1925 شارك في إحداها **أبو شعيب الدكالي**

Robert Rézette, les Partis politiques marocains, colin, Paris, 1955, p. 312 – 25

الذي كان يعتبر نفسه رائد السلفية، وكان بجانبه الشيخ **عبد الحي الكتاني** رئيس الزاوية الكتانية. وتناول **محمد الحجوي** الموظف السامي في محاضرته موضوع تعليم الفتاة ومشاركتها في الحياة العامة. وما كاد ينطلق في حديثه حتى قاطعه الوزير الأول **المقري** قائلا :

- إن الدين الإسلامي لا يساعد على تعليم البنت لتشارك الرجل وتزاحمه في الحياة.

وتوجه بالسؤال إلى السلفي أبو شعيب الدكالي :

- مارأيك أيها الشيخ أيجوز هذا أو لا يجوز ؟

فأجابه الشيخ الدكالي :

- إن تعليما يبلغ بالفتاة مستوى كهذا ممنوع ولا تقره مبادئ الإسلام.

فما كان من المحاضر إلا أن جمع أوراقه وانسحب دون إتمام حديثه.[26]

لم يكن عملاء فرنسا وحدهم ضد تعليم الفتاة بل كان خصومها كذلك من الوطنيين المتزمتين. فعندما فتحت الإدارة الفرنسية بفاس مدرسة لتعليم البنات سنة 1923، قام أعضاء المجلس البلدي، وكانوا من كبار أعيان المدينة ضد فتحها.[27]

وبمدينة سلا افتتحت مدرسة خاصة بالتلميذات، غير أنها اضطرت إلى إغلاق أبوابها »**لأن السكان لم يعيروها أي إهتمام.**«[28]

وظلت مسألة تعليم المرأة تراوح مكانها إلى أن بادر **الملك محمد الخامس** وجعل من ابنته **الأميرة عائشة** زعيمة النهضة النسوية، »**فضرب بذلك على يد الجامدين... ووجه الحركة النسائية توجيها صحيحا.**«[29]

وفي عام 1943 كان **المهدي بن بركة** يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين

---

26 - عبد الله الجراري، من أعلام الفكر المعاصر، ج1، ص 68، الرباط 1971

27 - الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، ج1، ص 276

28 - القادري، قصة النهضة، ص 90.

29 - الفاسي، الحركات الإستقلالية، ص 402.

سنة ويرأس جمعية قدماء تلاميذ ثانوية مولاي يوسف بالرباط. فطلب منه **الملك محمد الخامس** إعداد تقرير حول ما يجب أن تكون عليه مدارس البنات في سيرها وبرامجها.[30]

وقد وردت في التقرير الذي أعده **المهدي بن بركة** مجموعة من الأفكار والإقتراحات التي تعبر عن نظرته المتقدمة لدور المرأة في المجتمع وحقها في التعليم في زمن ساده التزمت والجمود :

«أصبح من الضروري تعلم الفتاة المغربية لإصلاح حالها وتقويم اعوجاجها حتى تكون عاملا قويا في رقيّ مجتمعنا وسعادته، فنحن وإن كنا لا نطلب منها الآن ثقافة عالية، فإننا نود أن تصبح في القريب العاجل لأسرتها خير مثال يُحتذى، ولزوجها أحسن مساعد يُستشار، ولأولادها أكبر مربي خبير»[31]

وفي نفس التاريخ ألقى العلامة **محمد العربي العلوي** كلمة في الإذاعة حول تعليم الفتاة... واستعان في كلمته بالحديث النبوي، وبالآية القرآنية :

«ولَهُنَّ مثْلُ الذي عليهن بالمعروف.»[32]

وفي أواَخر 1944 أجريت بالقصر الملكي بالرباط مباراة لإختيار مدرسين من مختلف المدن بواسطة القضاة ورؤساء المجالس العلمية للإشراف على تعليم الفتيات. وفي أكتوبر 1945 دشن الملك مدرسة للبنات بقرية الأحباس بالرباط. وفي السنة الموالية افتتحت بسلا مدرسة الأميرة عائشة.

وشهدت مدن أخرى تدشين مزيد من المدارس النسوية.

وكانت **الأميرة عائشة** ترتدي لباسا عصريا وتلقي كلمات بالعربية والفرنسية والإنجليزية، وشرع المترددون في إرسال بناتهم إلى المدارس.

---

30 – الجراري، من أعلام الفكر، م. س. ص 70.

31 – ن. م.

32 – البقرة / 228.

شعراء الوطنية وشعراء الخيانة

لست شاعرا ولا ناقدا أدبيا، وسأتناول هذا الفن الجميل من زاوية تاريخية.

كان النبي (ص) يتذوق الشعر وينصب للشاعر حسان بن **ثابت** منبرا في المسجد يقف فوقه مفاخرا بالرسول ويرد على أعدائه. وجاء في الحديث **«إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا».**

ولم يحرم الإسلام الشعر، وجَاء في الآية القرآنية :

«والشعراء يتَّبعُهُمْ الغَاوُنَ ألم تَرَ أنَّهُم في كل وادٍ يَهِيمُونَ، وأنهم يقولون ما لا يَفعلون.»

ونزل هذا في شعراء الإرتزاق والمجون والعداء للإسلام. وميّز عنهم الشعراء المؤمنين المدافعين عن الحق والعدل بقوله : **«إلا الذين ءامنوا وعَملوا الصالحاتِ وذكروا اللّه كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيَعلم الذين ظلموا أي مُنقلب ينقلبون.»** [1]

ويزخر سجل الأدب المغربي بألوان متعددة من الشعر وفي مقدمتها شعر المَقاومة والشعر الديني، ثم شعر المديح والمُجون. [2]

ففي يوم 6 يبرائر 1860 احتل الجيش الإسباني مدينة تطوان دون أن يحتاج إلى إطلاق رصاصة واحدة. وفي جو الإستسلام والإهانة، أنشد الشاعر **لمفضل أفيلال التطواني** (توفي عام 1886م) قصيدة ذات مسحة دينية جاء فيها :

يا دهر قل لي علامه	**كسَّرت جمعَ السلامـة**

إلى أن يقول :

فالديـن يبكـي بدمــع	**يحكيه صوب الغمامة**
على مساجد أضحت	**تبــاع فيهــا المدامــة** [3]

---

1 – الشعراء 26 / الآيات 224، 225، 226، 227.

2 – أنظر : شعر الجهاد في الأدب المغربي من عهد الأمير يوسف بن تاشفين المرابطي حتى عهد السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام. إعداد الأستاذ عبد الحق المريني، مطبعة فضالة 1996.

3 – عبد اللّه كنون، أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، الدار البيضاء، 1984، ص 33.

وظهر شعر البطولة في أعماق الصحراء داعيا إلى مقاومة الإستعمار في بداية القرن العشرين. فقد ارتبط الشاعر السوسي **الطاهر الإفراني** بالمكافح **أحمد الهيبة ماء العينين** وكان يقرض شعر الكفاح والبطولة ويحرض قبائل سوس على مواجهة الغزو الفرنسي، وصوَّر مراحل المقاومة في شعره ودعى إلى حماية دار الإسلام. ولما توفي **الهيبة ماء العينين** سنة 1937هـ 1918م رثاه **الإفراني** بقصيدة عصماء، وجدد العهد على مواصلة الكفاح إلى جانب خليفته وأخيه (**مربيه ربه**) الذي حمل راية المقاومة إلى حين وفاته عام 1934.[4]

وحينما وقفت الطبقة التجارية موقفا متخاذلا وأحيانا معاديا لثورة الريف بقيادة **عبد الكريم الخطابي**، انتقدها الشاعر **محمد الأعرج السليماني** في قصيدة شهيرة جاء فيها :

د ع الفتيـات تمـرح فـي القصـورِ
ويَمّـمْ مَسعفا واد النكـور

واستهجنَ الشاعر **أبو بكر بناني** سلبية المغاربة تجاه الكفاح في جبال الريف قائلا :

يا بني المغرب ما هذا الرقاد   ما لكم صرتم مثل الجماد
فدعوا النوم وقوموا للجهـاد   واسألوا اللّه انتصار المسلمين[5]

وعبر الشعراء المجددون عن عمق الآلام أمام تخلف المجتمع وصعوبة استنهاض الغافلين، ودعوا إلى إخراج الحشود الجاهلة من الأمية، وصاح الشاعر المختار السوسي :

لتسقط على الأرض السماوات ولتقم
قيامة شعبي فالهلاك ولا الجهل
فقـد ضـاق بالشعـب الجهـول خناقــه
وقد ساء محياه وقد طفح الكيل
فهُلك يريـح البـال أولى مـن أن تـرى
ملايين سبعا لا شعور ولا عقل[6]

---

4 – المختار السوسي، المعسول، ج4 – ص 220، الدار البيضاء 1961.

5 – عبد اللّه كنون، أحاديث عن الأدب... ص 68

6 – إبراهيم السولامي، الشعر المغربي الوطني في عهد الحماية. الدار البيضاء 1974 ص 79.

ولمحاربة الشعراء الوطنيين الذين كانوا متأثرين بالنهضة الأدبية التي كانت تعرفها مصر وسوريا ولبنان، دفع المستعمرون عملاءهم من رؤساء الطوائف الدينية والمداحين من محترفي شعر الإرتزاق إلى إلقاء قصائدهم في المناسبات الدينية مثل عيد المولد والاحتفال بعيد العرش، وكانت المساجد تغص بالمنشدين والفقهاء المرتبطين بالطرقية. وكان الأدباء الوطنيون يواجهونهم في نفس الأماكن، ويُسفّهون أقوالهم ويفضحون عمالتهم للاحتلال. وفي هذا المجال اشتهرت قَصائد محمد الجزولي ومحمد الأمين الصحراوي، المهدي الحجوي، عبد الكريم سكيرج، محمد بن عبد اللّه العثماني، محمد اليمني الناصري، سعيد حجي، الحسين البوعناني وغيرهم من المدافعين عن حق المرأة في التعليم والداعين إلى الإصلاح.

ومن جهة أخرى كان شعراء آخرون يبيعون كرامتهم وأقلامهم للمستعمرين، فقد تغنى **عبد الرحيم الكتاني** بانتصار فرنسا في الحرب العالمية الأولى.[7] وبشجاعة جيشها الذي كان يدك بالطائرات والمدافع قرى وبيوت الفلاحين المغاربة المكافحين في سبيل الحرية والكرامة الإنسانية. وكذلك فعل **محمد الشنجيطي وعبد اللّه القباج**.[8]

ومدح **محمد بوجندار** (1889 – 1926) المقيم العام **ليوطي** بعد أن تمت ترقيته من جنرال إلى ماريشال.[9] وأشاد **أحمد بن المواز** في قصيدة شعرية بالرئيس الفرنسي أثناء زيارته للمغرب. وكان معظم شعراء الإرتزاق يعملون في الإقامة العامة الفرنسية وفي الوظيفة العمومية بأجور جيدة وامتيازات سخية ثمنا لتواطئهم مع السياسة الإستعمارية.

ونال الشعراء الوطنيين قمعُ الإدارة الفرنسية، ومن أجل قصيدة انتقد فيها الشاعر **مولاي الطيب العلوي** القياد المؤيدين للظهير

---

7 – جريدة السعادة 17 يوليوز 1919

8 – السولامي، الشعر المغربي، ص 163.

9 – جريدة السعادة 1919 – 4 – 22

البربري، حُكم عليه بالسجن لمدة سنتين وصودرت أملاكه.[10]

وفي 28 أكتوبر 1937، أنشد **البشير بن يحي** في مسجد سلا قصيدة شعرية ضد القمع الذي استهدف له الوطنيون. فالقي عليه القبض وحكم بسنة سجنا.[11]

وفي يوم 8 دجنبر 1937، قتل الشاعر **محمد القري** تحت التعذيب في سجن كلميمة. ونشر الأستاذ **عبد الهادي الشرايبي** في مجلة «السلام» التطوانية مقالا بعنوان «جاذبية الوطن» عبر فيه عن مشاعره تجاه بلاده :

«أحبها كلمة قدسية طاهرة بريئة. أقدسها. لا، بل أعبدها...»

فقامت الإدارة الفرنسية بتحريض الفقهاء فأصدروا فتوى تدينه وتم تجريده من درجته العلمية ومنعه من التدريس في المعاهد والمدارس عقابًا له على حبه وعبادته للوطن.[12]

وفي عام 1937 أصدر الشاعر **عبد القادر حسن العاصمي** بعض إنتاجه «**أحلام الفجر**» وجاء في مقدمته بيت شعري يقول : «**أنا قوة جبارة**» فقامت قيامة عملاء الإستعمار وأصدر الفقهاء فتوى تقول إن القوة الجبارة هي اللّه، وكفَّروا الشاعر وطالبوا بمعاقبته هو وكاتب مقدمة الكتاب **عبد اللّه ابراهيم**. ودافع الحزب الوطني عن ... **عمر بن عبد الجليل** برقيات إلى ... **محمد الخامس** يستنكران فيها حملة ... **الكلاوي** وخليفته **البياز** ضد الأدباء ...

الأديبان عبد الله ابراهيم وعبد القادر حسن

10 - ... اح المغربي المسلح في حلقات من 1900 ... 198، ص 96.

11 - Robert Rézette, les partis politiques m...

12 - ... جوه، ج1 ص 119، الرباط 1992.

13 - Georges oved, la gauche française et le nationalisme marocain, T.II, Paris, 1984, P.425

وفي مظاهرات المطالبة بالإستقلال عام 1944، ألقي القبض بمدينة فاس على الشاعر **علي الصقلي** لأنه ألقى قصيدة لتحميس الجماهير.[14]

وفي قمة النهوض الثوري للجماهير في الخمسينات من القرن الماضي، إنبعث صوت الشاعر **عبد اللّه إبراهيم** من منفاه بتازناخت في جنوب المغرب، ينادي للمقاومة المسلحة في نشيد ثوري يقول فيه :

أصدقاء صُراخ البلاد يشق الفضاء
أصدقـــاء تعالـــوا نلبـــي النـــداء
كيف نطوي الحياة عبوديةً وشقاء
أيظـل غــراب الفنــاء يجـوس الفنـاء
أصدقاء ونِعْم رجال الفداء أصدقاء
كم ضحايا أمام الرصاص قضوا أبرياء
نبِّؤوا المستغلين لسنا نهاب اللقاء
قـد دعـا الأطلس الحر أبنـاءه الأوفيـاء

وعند اشتداد المقاومة للاستعمار، إمتلأت المعتقلات بالوطنيين وتجاوز عددهم ثلاثين ألفا في مختلف سجون الإستعمار الفرنسي. وكانت الصحف الوطنية ممنوعة في منطقة الإحتلال الفرنسي، وبقيت الصحف التي تمولها الإدارة الفرنسية إضافة إلى إذاعة الرباط، تمثِّل منبرا لشعراء الخيانة الذين كانوا يذبِّجون القصائد الرنانة أمام **محمد الخامس** بمناسبة عيد العرش، ثم انقلبوا ضده بعد نفيه إلى كورسيكا يوم 20 غشت 1953، وتحولوا إلى مداحين مبتذلين يمجدون **بن عرفة** الذي نصَّبه الإستعمار سلطانا. ومن بين هؤلاء الشعراء المرتزقة **محمد الحلوي**، **محمد العلمي**، **عبد الواحد العراقي**.[15]

وقد وصف **محمد العلمي** المقاومين بالغدر وبكى الخونة واعتبرهم أبرياء :

كـم بـريء غـدا صريعــا قتيلا

---

14 – بوطالب، ذكريات. م. س. ص 137.

15 – أنظر أسماء الآخرين في صحف السعادة والوداد الصادرتين في شهر غشت 1953

برصاص من المسدس داهم
إن سفك الدماء عار وشؤم
كرهته الأعراب مثل الأعاجم
بئس من يسفك الدماء كيشفي
غلة الغدر والهوى والشتائم

وبعد الاستقلال حاول بعض النقاد تجنب تناول الخط الفاصل بين الوطنية والخيانة في الشعر والأدب، وداسوا الحقائق التاريخية بادعائهم الحديث فقط عن «**جوانب إبداع الشاعر الفني**» وهذا ما فعله عبد الكريم غلاب وهو يقفز عن الجوانب السياسية والأخلاقية للمرتزق محمد بن إبراهيم المراكشي المعروف بشاعر الحمراء.[16]

وأراد ناقد آخر أن يخفي كل مساوئ الشاعر فيما سماه «**طبيعة الموضوع الجمالية**[17]»

وسعى ثالث أن يجعل من الشاعر «**بطلا وطنيا**» لأنه انتقد في إحدى قصائده باشا فاس بوشتى البغدادي.[18] وتناسى أن بن إبراهيم هو شاعر الإقطاعية الذي افتخر بأن يكون مدَّاحًا للباشا التهامي الكلاوي أكبر إقطاعي عرفه المغرب في القرن العشرين :

كفاني فخرًا في البرية أنني
أنا شاعر الباشا التهامي فهنئني

ومن الغباء أن يلتجأ الناقد إلى استعمال الدين لتبرير خيانة الشاعر لوطنه بالإدعاء أنه مؤمن «**استقرت العقيدة الدينية في وجدانه واجتذبه التصوف**[19]»

لكن هذا الشاعر «**المؤمن**» عرَّف نفسه بشكل واضح :

16 – عبد الكريم غلاب، شاعر الحمراء، دار الثقافة، الدار البيضاء 1982، ص 89.

17 – أحمد الخلاصة، شاعر الحمراء في تاريخ الأدب المعاصر، مطبعة النجاح، الدار البيضاء 1987، ص 22.

18 – أحمد الشرقاوي إقبال، شاعر الحمراء في الغربال، مطبعة الجامعة، الدار البيضاء، بدون تاريخ ص 43.

19 – الخلاصة، شاعر الحمراء، ص 41.

وكل صنوف الراح عاقرت كأسها

فما أذهبت نسكي سوى خمرة الوسكي

وذات ليلة كان في حالة سكر «**فرفع ثيابة وشرشر بوله على زائر بغيض**[20]»

لم يترك **بن إبراهيم** مناسبة تمر دون أن يمتدح ضباط الإستعمار والموظفين الفرنسيين السامين. وكان ينجز قصائده تحت الطلب ويتقاضى الثمن.[21]

وبعد نفي **الملك الوطني محمد الخامس**، وقف **بن إبراهيم** أمام مذياع (**راديو ماروك**) في الرباط يمجد صنيعة فرنسا **بن عرفة** السلطان وإمام المؤمنين. وعبر عن حقده على الوطنية وأعلن تشبثه بمعسكر الخيانة والإستعمار.[22]

فقد كان الشاعر **بن إبراهيم** يشتم الوطنيين المكافحين من أجل الحرية ويسميهم «**مرضى القلوب**[23]» وكان بعيدا عن هموم وأحاسيس الجماهير الفقيرة. **وكل إبداع شعري أو أدبي يتجاهل حقوق المقهورين هو إبداع باطل لا قيمة له. وكل من يمارس نقد القيم الجمالية والفنية لأي شعر أو أدب خارج المضمون الإنساني والوطني هو ناقد متواطئ مع الطغيان.**

لقد طبعت سيرة الشاعر بن إبراهيم اللوطي العربيد الخلاعة والفجور والإباحية المبتذلة والعاطفة الرخيصة والتزلف للإستعمار والإقطاعية.

الشعر في عهد الاستقلال

في أجواء الاضطهاد الذي استهدف الأدباء التقدميين، تعالت قصائد شعرية ملتزمة تعبر عن واقع الشعب وتدين الظلم الاجتماعي

---

20 – إقبال، شاعر الحمراء، ص 54.

21 – القصائد في نفس المرجع ص 118

22 – أنظر نص القصيدة، في السولامي، الشعر المغربي، م. س. ص 163، وفي إقبال، شاعر الحمراء، ص 82.

23 – غلاب، شاعر الحمراء، ص 263

والقمع السياسي والفكري. ونُشر بعضها في الصحف والمجلات التقدمية على قلتها، والبعض الأخر صدر في مطبوعات محدودة اقتصر تداولها على المهتمين بمجال الشعر. ولعل أكبر الشعراء سنا حينئذ هو **محمد الحبيب الفرقاني** (1922 – 2008). كان مناضلا ضد الإستعمار الفرنسي في صفوف الحركة الوطنية، وكافح ضد الحكم الإستبدادي في عهد الإستقلال وتعرض للسجن والتعذيب. وفي عام 1956 نشر ديوانه «**نجوم في يدي**». وهو الذي قال : «**إن أدبنا تاريخيا تفسير روحي لمجتمع إقطاعي ترى فيه كل شيء إلا حركة الشعب وأحواله، وتسمع كل شيء إلا هدير الشعب وصراخ المعذَّبين.**»

وعن هؤلاء المقهورين الذين أرسل الحكام الظالمون إلى معامل أوربا رجالهم وإلى دور الدعارة نساءهم ليجلبوا لهم «**العملة الصعبة**» كتب الشاعر «**صادرات اللحم والدم**» قائلا :



محمد الحبيب الفرقاني

الصادرات هنـا، دمي وشبابـي
يا للضيـاع لأمتي، وخرابـي

وتألم وهو يرى جماهير جائعة وخانعة لا تثور وشرفها يدوسه الحكام تحت الأقدام :

هـذي الملاييـن التي تمشي وترقـد فـي خُبْـل
إملاقهـا المـوروث خلّـد بؤسَـها منـذ الأزل
مخذورة الإحسـاس تمتهـن الركـوع بلا ملل
تطفو على جوع السنين تذوب في درك الأمل
وتُقيـم مـن حـول القبور مواسمَ الموت الجَلل

وعلى خُطاه سار محمد الوديع الأسفي الذي خصص شعره لكفاح الشعب ضد الإستعمار والحكم الإستبدادي المطلق.[24]
ومن داخل الزنزانة بسجن الدار البيضاء أطلق نداء بعد الأحداث الدامية التي خلفت قتلى وجرحى وسط المطالبين بالإستقلال سنة 1944 :

لا تنهـزم فالعهـد عهد تحـرر
حر الضمير تهابه الأبطال
لا تخشى عرقلة الزمان وظلمه
جلد الفؤاد تخافه الأهـوال

وقال في أؤلئك الذين سلكوا طريق الإنحراف والغدر والخيانة:

مـا ضرنا طعـن الأعـادي مثلمـا
أصبنا بـــه من أخـــوة طعنـــوا الظهـرا
لقد ركبوا مثن الخيانة عن رضـى
وصاغوا من التضليل ما أضرم الشرا



محمد الوديع الأسفي

وفي الستينات والسبعينات إلتحقت أفواج من الشعراء

24 – محمد الوديع الأسفي، الجرح العنيد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1979.

بقافلة التحرير، ونددوا بالقمع والإستغلال، وعملوا على إستنهاض الكادحين ودعوتهم إلى تحرير أنفسهم من الظلم والشقاء.

وتعالى صوت الشاعر أحمد المجاطي المعداوي :

أنــا بالثـــورة عانقــت السماء

أنـا نبـع الله فـي قلــب إرتــوى

ذوَّبْـــــــتُ نهـــــــرَ الــــــــدم

فــــــي قطــــــرة مــــــاء

أنـــــا لـــــــم أضحـــــــك

ولكن الذي استغوى أساريري

انتصاراتـــي علـــى المـــوت.[25]



أحمد المجاطي

وتميز شعر أخيه مصطفى المعداوي (1937 – 1961) الذي قضى نحبه في سقوط طائرة وعمره لا يتعدى أربعا وعشرين سنة، بالمواقف المدافعة عن ضحايا القهر الإجتماعي، وفي مقدمتهم المرأة :

أختاه إنــي سوف أطفئ مشعلــي

لا. لن يعود يضـيء يوما مشعلي

ودلائل الجهـل المقيـت بوجنتيْكِ

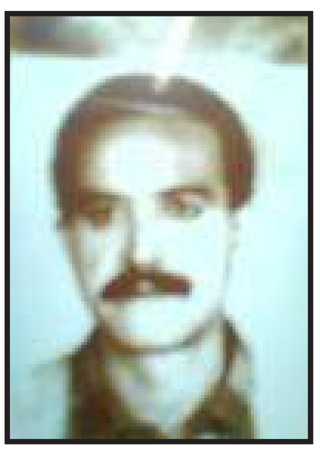
25 – أحمد المجاطي، ديوان الفروسية، 1987

والوشم يعلو معصميك
والعار يكسو حاجبيْكِ


مصطفى المعداوي

وعبَّر الشاعر محمد الخمار الكنوني عن خيبة الأمل في عهد أضحت وعوده سرابا، وانتقد الأوضاع المزرية التي غطست فيها البلاد بفعل اللصوص المغاربة الذين حلوا مكان اللصوص المستعمرين :

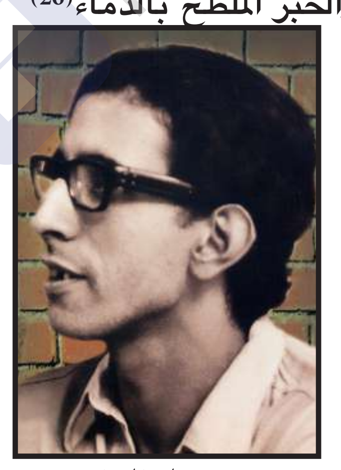
أثمرت من حدود المحيط إلى النهر كل الحقول
فارتفعت لغة، ولغات تزول
حينما أزهرت لم تكن لغة البيع والغبن قد بدأت
لم تكن كلمات السماسرة ارتفعت
إنما عبرت لغة هي بين الغناء والذهول



المختار الكنوني

ومن بين الشعراء الراحلين نجد محمد علي الهواري الذي وصف ما اقترفه الجلادون بحق المناضلين في قصيدة جاء فيها :

صلبوا الحقيقة والصباح
وكسوا دروب الأرض بالدم والجراح
الحب والأشواق ماتت
والصبح والخبز الملطخ بالدماء[26]



محمد علي الهواري

26 – محمد علي الهواري في ديوانه «صامدون» دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1963.

وفي مقدمة الشعراء الذين وهبوا أرواحهم فداء للحرية والكرامة الإنسانية، تقف المناضلة الثائرة **سعيدة المنبهي** التي واجهت الجلادين بالفكر الملتزم والصمود المثالي، وتحملت التعذيب الجسدي والنفسي ولم تركع ولم تستسلم لإرادة الطغاة، وظلت تقاوم إلى لحظة الإستشهاد يوم 11 - 12 - 1977 من سنوات الرصاص.

من داخل الزنزانة دعت رفيقاتها إلى مواصلة المقاومة وتحدي الإرهاب المستعر لزبانية الحكم الإستبدادي :



سعيدة المنبهي

لا تبكـــي يــا رفيقـــة
لا تـــذرفـــي الدمــوع
علـــى وجهك الشاحـب
غدا يـــــا رفيقـــــة
سنـــــرى أبعـــــد
صــــوب الأفـــــق
صوب الشمس المولودة

....

قاومــــي يـــــا رفيقـــــة
يــــا رفيقـــــة المعركـــــة

فالجبل في انتظارنا
وكل الثوار وكل الأبريـــاء

وانصهر الشعراء، وهم في ريعان الشباب في نظم القصيدة الحديثة بنسب متفاوتة في الوزن والتفعيلة، عبروا فيها عن واقع الإنسان المغربي في مجتمع ساده القهر الإقتصادي والقمع الفكري والإضطهاد السياسي.

ومن أبرز تلك الأقلام محمد بنيس، عبد اللطيف اللعبي، محمد السرغيني، إبراهيم السولامي، أحمد صبري، عبد الكريم الطبال، محمد الطنجاوي، حسن الأمراني، أحمد لمسيح، عبد اللّٰه راجع، عبد الرفيع الجواهري، أحمد الجوماري، حسن نجمي، صلاح بوسريف، محمد الميموني، أحمد بن الحاج آيت وارهام، بنسالم الدمناتي، عبد اللّٰه زريقة، إدريس الملياني، أحمد بلبداوي، سعيد عاهد، ياسين عدنان، أحمد الطود، ماء العينين النعمة، أحمد القطيب، مولاي الحسن العلوي البلغيتي، إدريس بن عيسى، محمد بن ميمون، نجيب طبطاب، مصطفى ملح، محمد الخباز، مصطفى الشليح، إدريس علوش، يونس بلخديم، إسماعيل زويريق، أحمد بن الصديق، غسان المغربي. واللائحة طويلة وهي منشورة في الموقع الإليكتروني لإتحاد كتاب المغرب.

ولا يجوز إغفال نخبة من الشاعرات اللواتي أبدعن في القصيدة الحديثة وتجاوزن التغني بالطبيعة والفن والعواطف إلى معانقة هموم الناس والمجتمع.

وإذا لم أتمكن هنا من إدراج بعض أشعارهن، فسأكتفي بذكر الأسماء التي وجدتها في عدة مراجع :

ثريا السقاط، وفاء العمراني، مليكة العاصمي، امل الأخضر، ثريا ماجدولين، حكيمة الإسماعيلي، أمينة لمريني، فدوى التكموتي، نورة يعيش، رشيدة فقري، سماح البشاري، وداد بن موسى، زينب القرقوري، عزيزة أحضيه عمر، آسيا الهاشمي البلغيتي، أمل العلمي، إيمان منودي، إبتسام استروي، بهية الفيلالي أديب، حبيبة الصوفي،

حكيمة الشاوي.

والملاحظة الأولى التي استأثرت بذهني وأنا أتفحص القصائد الشعرية الحديثة، أن الجيل الجديد من الشاعرات والشعراء لا يسخرون إبداعهم للتكسب، ولم أعثر في إنتاجهم على شعر المديح والتزلف للحكام، ومعظم الشعر ينبض بحب الإنسان والحياة والجمال.

لقد انتهت سيطرة الشعر العقيم السقيط الذي يؤله الحكم الفردي القائم على إبادة الأفكار والأجساد، وانتهى معه زمن المداحين الذين شوهوا كل ما هو جميل.

الشعر الأمازيغي في مقاومة الإستعمار

على مر العصور نظم الأمازيغيون الشعر وتناقلوه شفويا نظرا لانعدام أداة الكتابة. ومنذ مطلع القرن العشرين شرع الكُتّاب الأمازيغيون من أمثال الطاهر الإفراني والمختار السوسي وغيرهما في تدوين القصيدة الأمازيغية بالحروف العربية.

وقبل احتلال المغرب اهتم الباحثون الفرنسيون بدراسة اللهجات الأمازيغية وبترجمة تراثها الشفوي بما فيه الشعر وذلك بهدف التعرف على حياة الناس وأنماط العلاقات القائمة بينهم، والخصوصيات الإجتماعية التي تنفرد بها المناطق الجبلية. وإلى جانب ما كتبه علماء الإجتماع واللغويون والمؤرخون، فإن آخرين عكفوا، أثناء الغزو الفرنسي، على جمع الشعر الأمازيغي من أفواه الشعراء والمغنيين.[1]

وقام موظفان فرنسيان باختيار باقة من القصائد الأمازيغية التي تعبر عن شعر المقاومة الذي أنشده الأمازيغيون وهم يواجهون القوات الإستعمارية.[2] وتم جمع القصائد ما بين سنة 1935 و 1940 في جبال الأطلس، بعضها قالها الشلوح في الأطلس الكبير، ومعظمها جاءت من الأطلس المتوسط خاصة من قبائل إيشيخرن وآيت سوخمان وآيت حديدو، وهي قبائل لم يضع بعضها سلاح المقاومة إلا في علم 1933.

وإذا كانت القصائد الأمازيغية التي نقلها الكاتبان الفرنسيان إلى لغتهما شفوية، فإن الصعوبة تكمن في غياب أصلها اللفظي وهو ما لا يساعد الباحث على كشف قيمتها الفنية، ولن يكون بوسعه سوى

---

1 – أنظر :

*BASSET HENRI, Essai sur la littérature des Berbères, Alger, Jordan, 1920

*Galand Lionel, langue et littérature berbères, Paris, CNRS, 1979

2 – M. A. Galmiche et J : Robichez, introduction à des poèmes berbères.
Poèmes de la résistance berbères.
Les Temps modernes, N° 50, Revue mensuelle, Paris, décembre 1949.

بذل المجهود للحفاظ على عمقها الإنساني ومضمونها النضالي. وهذا ما حاولت القيام به وأنا أترجم بعضها من الفرنسية إلى العربية.

زحف الجيش الفرنسي على قبيلة آيت سوخمان بالأطلس المتوسط، وقصف بالطيران المساكن وقتل بنيران المدافع الإنسان والحيوان، وتراجع المقاومون للإحتماء بالجبال، وفي تلك اللحظات ارتفع صوت الشاعر صدَّاحا يَحُثُّ أبناء قبيلته على الصمود إلى آخر رجل :

اقتحم النصارى الجبال
قتلوا الخرفان والجمال
وذبـحـوا الإنـسـان
الطيران يقصف ونحن
نحتمي بأشجار العرعر
نقتاتُ عروقَ النباتَ
من أجلك يا ملة النبي.[3]

اشترى ضباَط الإستعمار ضمائر الرؤساء الذين حرَّضوا قبائلهم على محاربة القبائل التي واصلت المقاومة، واندفع الأخ يقتل أخاه. وانبرى الشاعر (مولاي أحمد) يبكي حالة قومه في الأبيات التالية :

أولاد سيدي علي إمهاوش في جبال تازيزاوت
مشتتون مثل حبات الرمان
من شاهدهم لن يضحك مدى الحياة
الرومي يقصفهم بالطائرة والمدفع
البغال والحمير والأجساد ممزقة
قلب الجماعة منفرط ومجروح
في زمن سادت فيه الذئاب على الرجال

***

Poèmes berbères, op. cit. P. 974 – 3

قبائل إيشيخرن، أزايع، أولاد إسحاق
طوقوا إخوانهم إمهاوش
أين المفر ؟ الكل يبكي وينوح
بالمئات جاء آيت سغروشن
لقتل إخوانهم بأمر الرومان
أه. أه. لقد دفع الرومي
أصحاب الضفيرة إلى الأمام[4]
أعطاهم قنابل يدوية
ليلقوها على المختبئين في المغارات
إنهم يسرحون في الجبال مثل الفئران

***

إشتهرت قبيلة آيت سوخمان بمقاومتها الضارية للغزو العسكري الفرنسي طيلة سنوات، ولم تضع السلاح إلا في عام 1934 بعد نفاذ كل إمكاناتها من زرع وحيوان وماء الشرب، وحاصرتها بعض القبائل الموالية للاستعمار. حينئذ بكاها شاعرها في قصيدة الحنين إلى عيشة الحرية الغابرة :

أحـــنُّ للعيـــش كالسابـــق
أهُش بالعصـا علـى غنمـــي
أحلم بحيوان يجر محراثـــي
أشتاق للأيام السالفة وللعيش
دون مطرقـة فـوق رأســـي[5]

في مناطق الأطلس أطلق الجيش الفرنسي أعوانه من موظفين وقياد وشيوخ ومقدمين لينهبوا أرزاق المواطنين وأملاكهم بهدف تفقيرهم لكي لا يعودوا لحمل السلاح. وصف شاعر من قبيلة إيشيخرن تلك الوضعية المأساوية بقوله :

4 – كان رجال تلك القبيلة يحتفظون بخصلة شعر وسط الرأس.

5 – Ibid, p. 983

لا املـــك ســـوى حمـــار
بعتـــه بمبلـــغ زهيـــد
تقاسمتـــه مـــع القائـــد
حتى لا يكون السجن مصيري
وأقـــول لـــه : «سيـــدي»
لأن الخـــــوف يَلُفُنـــي
وهـــو ليـــس «سيـــدي»
فقـــط سيفـــه يرعبنـــي

فرضت الإدارة الفرنسية أعمال السخرة على الفلاحين، وأرغمتهم على الإشتغال في حفر الطرقات ونقل التراب على ظهورهم عوض الدواب. وهجر كثيرون قراهم رافضين عملا إجباريا مهينا يحط من كرامتهم. وعلى لسان أحدهم قال الشاعر :

هل أجد من يحمل خطابي للثوار
اقتاتــوا نبات العرعــر يـا رفـاق
لا تقبلـــوا الحفـــر فـــي الأرض
سأكون معكم في العراء يا رفـاق
متســـولا حتـــى آخـــر الليـــل
ولـن نحمل التـراب مثـل الــدواب[6]

وفي **جبال الريف** التحمت القصائد بالأغاني واتخذت شكل ملاحم تصف بطولات المقاومين وهزائم الإسبانيين والفرنسيين في مسيرة كفاحية طويلة تَوَّجَهَا الإنتصار العظيم لثورة الريف بقيادة الرمز التاريخي **محمد بن عبد الكريم الخطابي**.

ففي سنة 1911 نصب الإسبانيون كمينا للبطل محمد **أمزيان** وقتلوه وحملوا جثته إلى مليلية. فأقبلت نساء الريف على تمجيد بطولة الشهيد ومباركة خليفته في الكفاح **موح بن مسعود** :

مـــات سيـــدي محمـــد أمزيـــان !
لـــن نتمكـــن مـــن زيـــارة قبـــره

6 – Ibid, p. 985

فالضابط والشرطيون حملوا جثته
لتصويرهــــا فــــي مليليــة
بـالله عليـك يا مـوح بـن مسعـود
أعِــد لنـا جثمانــه لنتبــرك بــه[7]

ولعبت المرأة في الريف دورا هاما في المقاومة للإستعمار كما كان الحال في جميع مناطق سلسلة جبال الأطلس. ووصف ضابط فرنسي دور النساء في المقاومة بقوله : «**كنَّ ينقلن التموين، ويتسربن تحت طلقات المدافع إلى مياه الآبار، ويحملن الجرحى ويوزعن الذخيرة الحربية، وأحيانا يأخذهن أماكن القتلى ويواصلن إطلاق النار.**» [8]

وكثيرا ما كن يحملن أقداحا من الحناء ويرششن به ظهر المحارب المتقهقر حتى يمكن التعرف عليه بعد نهاية المعركة، ويلاحقه الإحتقار والإستهزاء من طرف أفراد القبيلة.

ومن أشهر المقاطع الشعرية التي كانت تغنيها النساء في الريف حول الهارب من ساحة الحرب.

ليذهب الجبان إلى الجحيم
سأدفــع ثمــن موتـــه
إنــه هــارب إنــه خائـف
لقـــد ألقـــى الســلاح
آه يـا أمـاه... آه يـا أمـاه. [9]

وفي أعماق سوس عبر الشعراء الأمازيغ عن نفس الإرادة والتصميم في مواجهة الغزاة الغاصبين. ففي سنة 1926 ألقى المستعمر الفرنسي القبض على الشاعر (**علي بن إبراهيم**) من قبيلة

7 – Notes sur les chants populaires de Rif. Les archives berbères, vol. 1, année 1915, Fascicule 1, Rabat. P. 22–39.

8 – Jean d'Esme, Bournazel, l'Homme rouge, Paris 1952, P. 240.

9 – Notes sur les chants populaires. Op. cit. p. 26.

إيدا وزدوت وكان يقاوم بالكلمة والسلاح.

وأحضروه إلى الساحة مكتوف اليدين والرجلين وقالوا له :

- هيئ لنا الشاي !

فارتجل أمامهم قصيدة جاء فيها :

أفوس إيغ لاَّن الكيد أورنيتْ إيقيم أتاي

(اليد المغلولة لن تهيأ الشاي)

نغاغ أندو دار ولي يورون

(اقتلني لألتحق بوالدي في القبر)

نغاغ ترزمت ندو دار واللي نيت وروغ

(أو اعطيني حريتي لأذهب عند أبنائي في قريتي

وبنفس العزيمة استقبل رصاص البنادق التي مزقت جسده.[10]

وعرفت منطقة سوس مجموعة من شعراء المقاومة من بينهم **الحسين بن عبد الله جانتي** (1900 - 1976) من قبيلة إيشتوكن، واستهدف للإعتقال مرارا ولم يتوقف عن نظم الشعر المناهض للإستعمار وعملائه المغاربة.

واشتهر عمر أهروش (1926 - 1994) من قبيلة مزوضة بناحية مراكش، بإلقائه قصيدة سنة 1952 في حفل رسمي حضره كبار الموظفين الفرنسيين، وجعل موضوعها يتمحور حول «**الضريبة**» التي وصفها بالنهب المكشوف. وبمجرد الإنتهاء من إلقائها وجد نفسه في السجن، وظل يواجه الإضطهاد بالشعر إلى يوم وفاته.

وتناول الشاعر والكاتب المختار السوسي (1901 - 1963) في مؤلفاته أعمال عدد من الشعراء الناطقين بالشلحة المتداولة في منطقة سوس.

10 - محمد مستاوي، الشعر الأمازيغي، قضايا واهتمامات، مجلة آفاق، عدد 1، الرباط 1992، ص 153.

أغاني لتهذيب النفوس وأغاني لتخدير العقول

غاب النص القرآني الذي يبيح أو يمنع الموسيقى والغناء، وتحدثت كتب التاريخ عن الفقهاء الرافضين للغناء والرقص الذين لم يترددوا في كسر الآلات الموسيقية، بينما ذهب المولوعون بهذا الفن إلى نبش كتب الحديث والسنة لتبرير وجهة نظرهم. وروى **إبن عبد ربه** في العقد الفريد عن **عائشة** أنها زفّت لأحد الأنصار عروسَة، فسألها النبي (ص) عند عودتها : «**أهديتم الفتاة إلى بعلها ؟**» قالت : نعم ! قال : **فبعثتم معها من يغني ؟** قالت : لا. فقال : **أو ما علِمتِ أن الأنصار قوم يعجبهم غناء الغَزَل ؟**

وروى **النسائي** أن امرأة جاءت إلى رسول **الله** فقال : **يا عائشة تعرفين هذه ؟** قالت : لا يا نبي الله. قال : **هذه قَيْنَة فلان تحبين أن تغنيك ؟ فغنتها.** [1]

وبالمغرب تعددت الفنون الموسيقية والغنائية بتعدد ثقافات سكانه وأصولهم الأمازيغية والحسانية والإفريقية والعربية والأندلسية. وقد أفرز التعدد تنوع الموسيقى والغناء والرقص.



مغنيات أحيدوس

1 – عبد الحي الكتاني الفاسي، كتاب التراتيب الإدارية... المطبعة الأهلية، الرباط، 1927، ج2 ص 135.

ويتمثل الغناء والموسيقى عند الأمازيغ في رقصة (**أحيدوس**) في الأطلس المتوسط وما جاوره. ويتعاطى سكان الأطلس الكبير وسوس (**أحواش**). والرقصتان معا جماعيتان يشترك فيهما الرجال والنساء بأغاني جماعية، وينشدون أشعارا تسمى (**إيزلي، وجمعه إيزلان**)، وهو نفس الإسم المستعمل في منطقة الريف بشمال البلاد. ويبدأ غناء (**إيزلي**) شخص يدير الرقص، ويردده جميع المشاركين بصوت واحد. وغالبا ما تكون كلمات الشعر الغنائي مُرتجَلة، وينطلق الصوت على إيقاع البندير، ويردد الرجال نفس الكلمات مصحوبة بالضرب على مختلف ألآت الموسيقى. ويأتي دور النساء للغناء على نفس الإيقاع ويستمر التناوب على الغناء والرقص، ثم يكف الرجال عن الغناء، وتنقسم النساء إلى مجموعتين، الأولى تردد الأغنية، والثانية تردد اللازمة الختامية لينتهي الفصل بنقرات قوية وبطيئة على البنادر.



مغنيات أحواش

وفي الريف ومناطق أخرى يوجد الرقص الحربي، ويتميز الراقصون بلباس أبيض ويحملون السيوف أو البنادق أو كل ما يرمز إلى الحرب والشجاعة. ويتخلل الرقص بين الحين والآخر صيحات النصر. [2] والرقص الحربي معروف في جميع المناطق التي قاومت

2 – Ahmed Aydoun, musiques du Maroc. Eddif, Casablanca 1992, P. 107.

الإحتلال الأجنبي من بداية القرن العشرين إلى سنة 1935، حيث يلتقي الراقصون بالسيوف والمغنون واللاعبون بآلة الناي، ويتقدمون صفوفا متراصة، ويهاجمون عدوا خياليا على إيقاع نغمات موسيقية مضبوطة.[3]

وفي الصحراء المغربية اشتهرت رقصة **«الكدرة»** للبدو الرحالة بلباسهم الأزرق وهم يحيطون بامرأة واحدة ملتحفة تمثل رمز الخصوبة.[4]

وتوجد في بعض المدن فرق **«كناوة»** التي ينحدر أعضاؤها من أصول إفريقية، وترجع علاقتهم بالمغرب إلى زمان العبودية. وبعد إنعتاقهم ظلوا يحتفظون بغنائهم وموسيقاهم المطبوعة بإيقاعات إفريقية متنوعة وبأنغام حزينة. وأشهر رقصاتهم هي **(كويو)**، ويستخدمون آلات موسيقية أهمها الطبل الكبير.



3- Ibid., P. 98

4- Ibid., P. 107

أما الغناء باللهجة المغربية فهو مثل الغناء الأمازيغي يمثل جزءا من ثقافة الشعب الذي تتعدد لهجات سكانه ويتنوع ثراته الثقافي. غير أن أحد المختصين في الأدب العامي المغربي يرى أن أقله يعبر عن الآلام والجراح والظلم الإجتماعي، في حين يتغنى معظمه بالظالمين ويمتدحهم، والباقي يتجه إلى التسلية والترويح عن النفس.[5]

ومن بين أفراد تلك الأقلية التي ارتبطت بهموم الشعب يوجد **الشيخ الأكحل** صاحب قصيدة مشهورة نظمها بعد هزيمة جيش السلطان أمام القوات الفرنسية في معركة واد إيسلي عام 1844م.

وفي سنة 1907 عاد الجيش الفرنسي ليحتل مدينة وجدة بتواطئ موظفي المخزن وبدون قتال. فوقف الزجال الشعبي **هاشم السعداني** ينتقد سلبية قومه وينذرهم قائلا :

يا الإسلام ابكوا على دخول وجدة

دون حرب اغنمها لعدو أو نال المراد.[6]

ولما انهزم الجيش المخزني أمام اسبانيا في حرب تطوان عام 1859م، قام **الحاج إدريس بن علي** يستنهض الهمم لمقاومة الاحتلال الإسباني في قصيدته «**التطوانية**»[7]

وانتقد الشيخ **إسماعيل المراكشي** في العشرينيات من القرن الماضي الضرائب الأولى التي فرضتها الإدارة الفرنسية على المغاربة.

وارتكزت معظم النصوص الدارجة على الدين وتعلقت بالأمجاد التاريخية. وارتبط بعضها بالأجواق العصرية التي انتشرت بداية من الثلاثينات، وانحصر نشاطها في إحياء الحفلات والأعراس وفي المناسبات الوطنية.

وكان إسم الزجل يطلق على الطرب الأندلسي الذي كان شائعا

5 – عباس بن عبد الله الجراري، الزجل في المغرب – القصيدة – مطبعة الأمنية، الرباط 1970، ص 6.

6 – ن. م. ص، 35.

7 – ن. م. ص، 357

وسط العائلات اليهودية والمسلمة الهاربة من محاكم التفتيش الإسبانية بعد سقوط الأندلس سنة 1492م. وهذا النوع من الطرب مطبوع بالبطء والتكرار والرتابة والحنين إلى الأندلس المفقود.

ويسمي المغاربة غناءهم «**الملحون**» [8] ومكان نشأته هي منطقة تافيلالت الصحراوية التي تضم أرفود والريصاني، وانتقل رواده إلى المدن الأخرى، وينقسم إلى عدة أنواع منها «**العيطة**» **أي النداء**. وموطنها السهول (**المرساوية**) نسبة إلى المرسى محط السفن قرب الساحل، خاصة الشاوية ودكالة وعبدة. وفيها الملالية ومكانها بني ملال وما جاورها. وتوجد بشكل أقل في الحوز وزعير، وتسمى في جبالة بالشمال «**الطقطوقة**» [9]

وتمارس غناء «**العيطة**» جماعات من النساء والرجال في جزأين الأول بطيئ موسيقيا وغنائيا، والثاني سريع ومعه تنطلق الراقصة التي تسمى «**الشيخة**» لتقدم رقصة البطن من علو مرتفع، وتموجات الجسد وتحريك الشعر، يتبع ذلك تحاور غنائي بين الشيخة الرئيسية وباقي الشيخات والموسيقيين. ويغلب على غناء (العيطة) «**ألفاظ تخدش الحياء وأقاويل سافهة**» [10]

مما لا شك فيه أن «**للعيطة**» نفحة جمالية ومضمون اجتماعي في زمن النقاء والصفاء الروحي، لكنها تحولت في عهد الانحطاط الذي طبع السيطرة الإقطاعية على الناس والمجتمع إلى فن فاجر متجرد من كل حس أخلاقي في الوسط المستهلك له.

وهذه الظاهرة المخلة بالحياء والحشمة تجلت بشكل صارخ في منطقة عبدة خلال

8 – ديوان شيخ أشياخ مراكش الحاج محمد بن عمر الملحوني، جمع وتقديم عبد الرحمان الملحوني ج1 المطبعة الوطنية، مراكش 2003.

9 – A. Aydoun, musique, op. cit. P. 107

10 – الجراري، الزجل في المغرب، م. س. ص 72.

النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فالإقطاعي **عمر بن عيسى العبدي** حكم تلك المنطقة بيد من حديد، وجمع في قصره بمدينة آسفي وباستمرار الشيخات والمغنيين **وشجع كل ما هو سافل وخليع في الغناء والرقص إلى أن استولت (العيطة) الماجنة على طبائع الناس، واستطاع الإقطاعي أن يفسد الأخلاق ويعمم الميوعة في النفوس، ومكن جيش الإحتلال الفرنسي من احتلال منطقة عبدة دون أن يجد أمامه أدنى مقاومة.**



وكما وقع في تزييف أحداث التاريخ السياسي للمغرب فإن بعض الأقلام حاولت إضفاء صفة «**الأغنية الوطنية**» على العيطة التي جسدت لفترة زمنية طويلة أغنية إقطاعية في أكثر أنوا ع الفن انحطاطا وابتذالا وانحلالا للأخلاق وتمييعا للسلوك الإجتماعي. فأغلب الذين كتبوا في موضوع (العيطة) يستشهدون بتلك اللازمة التي ترددها الشيخات :

أيا خوتنا الاسلام — هـــزو بنـــا لعـــلام
سيـــرو بنـا لقـدام — دابا مول الحق إيبان

وكأنهم يريدون إعطاء «**شهادة حسن السيرة**» لمحترفي هذا النوع من الغناء، وتناسوا أن «**كل الأغاني حتى الخليعة التي تعتبر شائنة تبدأ باسم الله والصلاة على النبي لتنتهي في الإتجاه المعاكس.**» (11)

A. Aydoun, musique, op. cit. P. 125 – 11

وفي هذا النطاق تدخل قصة **الشيخة حادة الزايدية خربوشة** من دوار أولاد زايد بمنطقة عبدة. فقد أمر القائد الإقطاعي **عمر بن عيسى العبدي** بتعذيبها حتى الموت بسبب انتقادها له دفاعا عن قبيلتها. ولا شك أنها كانت ضحية للاستبداد الإقطاعي كغيرها من مئات الضحايا، لكن البعض جعل منها «**بطلة وطنية**.»

وهناك كتابات أخرى وصف أصحابها «العيطة» بالموروث الشعبي، وليس كل موروث شعبي إيجابيا يخدم القيم الفنية والجمالية ويهذب الأذواق. فبعض الغناء يساهم في تضبيع الجماهير البدوية بشكل خاص وسجنها في الميوعة الأخلاقية. والذين يرفضون رؤية الجوانب السلبية في **(العيطة)**، إنما وُلدوا في ضجيجها وتشبعوا بها في طفولتهم، وشبوا وشابوا في كنفهاَ، وأصبحت جزءا من وجدانهم وسكنت عقلهم الباطني.[12]

لم يسجل أبدا لأي واحد من شيخات وشيوخ العيطة أثناء الكفاح الوطني موقف ضد السلطة الإستعمارية، وينطبق الأمر كذلك على أصحاب «الأغنية الشعبية». ومن بين هؤلاء **الحسين السلاوي** الذي كان ينظم «الحلقة» في باب الخميس بسلا، ويتجول للتكسب في مدن أخرى. وكان في البداية يقلد مغنيين شرقيين ثم انتقل إلى تقديم أغاني سوقية تطغى عليها كلمات وتعابير مبتذلة.[13]

وأثناء نزول القوات الأمريكية بالدار البيضاء يوم 08 – 11 – 1942 غنى قطعة في مدح فرنسا والجيش الأمريكي واعتبرهما حليفين يحرسان المغرب بالطائرات والمدافع، جاء فيها :

لفرنسيس ولمريكان هما فالدنيا شريك
كل ليلة يعسو علينا بالمدافع والروبلانات
لمريكان جاء فالنهار وفرَّق الحلوى على الصغار.

12 – أنظر ملفا حول العيطة أعده أصدقائي وكلهم من أصول بدوية في «الإتحاد الإشتراكي» 15 أبريل 1995.

13 – محمد بن عياد، طريق الحرية، في التاريخ الصغير لمدينة سلا، مطبعة شالة، الرباط 1987 ص 130.

وبمجرد انتهاء الحرب العالمية الثانية، طار **السلاوي** إلى فرنسا ليتلقى المقابل على خدمته، وتم تسجيل أغانيه في أسطوانات وزعتها المصالح الفرنسية المختصة في جميع بلدان شمال أفريقيا، وكان المغني المغربي الوحيد الذي نال أسطوانات مسجلة.[14]

أما الأغاني التي مجَّد بعضها الحركة الوطنية فلم تظهر إلا عندما لاحت بوادر عودة الملك محمد الخامس من المنفى وبداية المفاوضات من أجل الإستقلال. حينذاك ظهر المغنون من كل الأصناف، ودخلت في قاموس الأغاني الشعبية مفردات الوطني والخائن، لأن الخطر كان قد زال والقمع الإستعماري تراجع، وجاء المزيفون لتاريخ الأغنية ليسدلوا جلباب الكفاح على الكثيرين من الشيخات والشيوخ.

الأغنية في عهد الاستقلال

في بداية عهد الإستقلال برز عدد قليل من المغنيين والملحنين وكتاب الكلمات، وكان لهم دور فعال في إعطاء الأغنية العصرية المغربية قالبها الخاص، وأنتجوا موسيقى جميلة وأبدعوا في أغاني اجتماعية وعاطفية ذات مسحة وطنية.

لكن تطور الأغنية الجديدة توقف عن الارتقاء في خط تصاعدي، وفقد المؤلفون والمغنون الحرية في الإنتاج والإبداع، ودخل الجميع في نفق تأليه القائد الأحد والزعيم الأوحد والبطل الأول. وتحولت المناسبات الوطنية والأعياد الرسمية إلى سوق يتنافس فيه المداحون لبيع بضاعة كاسدة في النص واللحن والصوت الغنائي.

وطبع التهريج عمل المغنين والمغنيات، واتخذ التمجيد طابع التعصب الوطني الشوفيني الذي يجعل المستمع يتقزز من سذاجة وتفاهة المغني اللاهث وراء عبادة الشخص.

وأصبح عدد كبير من المتعاطين للغناء أدوات بيد البوليس

14 – ن. م. ص 132

السياسي، يسخرهم في أحقر وأقبح المهام، إلى درجة أن كثيرا منهم ومنهن قبلوا الذهاب إلى إسرائيل في سخرة سياسية تحت غطاء تقديم حفلة غنائية لبني صهيون المغاربة الذين يسفكون دماء الفلسطينيين بدون شفقة.

ولما جاء **الملك محمد السادس** منع الغناء الذي يمجد شخصه وأراح أسماع الناس، وبارت التجارة في أغنية الإرتزاق.

وبظهور الإرهاب بالمغرب في بداية القرن الواحد والعشرين كان لابد من إيجاد وسائل بديلة للتنفيس عن الشباب المكبوت اقتصاديا واجتماعيا وجنسيا، فاتسعت دائرة المهرجانات الغنائية في الساحات العامة، مع ما يصاحبها من خمور ومخدرات لبلوغ قمة الانتشاء الروحي.

وانبعثت جماعات تدعي التفتح على الغناء العالمي، تقوم بتقليد ما يسمى غناء ورقص «**الراب**» وهيب هوب وغيرها بنغمات وإيقاعات غربية هجينة وبكلمات عامية وسوقية تكون في معظم الأحيان سافلة يسميها البعض «**الفن الإحتجاجي الوطني**»

توظيف المسرح في نشر الوعي السياسي

أثبتت الوقائع التاريخية أن الفن المسرحي دخل البلدان العربية مع الجيوش الأجنبية الغازية، وكان يمثل أداة للهيمنة الثقافية الأوربية.

وعرف المغرب المسرح بعد احتلاله من طرف فرنسا واسبانيا. وكانت الفرق الفرنسية والاسبانية تقدم عروضها المسرحية بطنجة والرباط والدار البيضاء أمام الجنود والمستوطنين الأوربيين.

ويمثل مسرح «**سيرفانطيس**» الذي تم بناؤه عام 1913 بطنجة أول بناية للعروض المسرحية الأجنبية بالمغرب.



المسرح البلدي بالدار البيضاء الذي تم تدميره سنة 1984

ودشن الفرنسيون المسرح البلدي بالدار البيضاء سنة 1921، وظل لمدة ثلاثة وستين سنة بمثابة معلمة ثقافية تاريخية إلى أن صدر الأمر عام 1984 بتدميره لأسباب مجهولة. وكان آخر مسرح شيدته السلطة الفرنسية بمدينة الجديدة سنة 1937. وجميع قاعات السينما تتوفر على خشبة للمسرح تقدم عليها الفرق الفرنسية عروضها المسرحية والغنائية.

وترجع علاقة المسرح العربي بالمغرب إلى سنة 1920 حينما جاءت فرقة مصرية برئاسة **محمد عز الدين** وقدمت في عدة مدن رواية «**صلاح الدين الأيوبي**» لنجيب حداد، وكان إسم صلاح الدين (1138 – 1193م) المنتصر على الجيوش الصليبية ومحرر القدس، عاملا محركا لكوامن النفوس ضد الظلم الإستعماري.

وفي عام 1923 قدمت فرقة **سلامة حجازي** عروضها بفاس وبعدة مدن أخرى.[1] وفي سنة 1924 زارت المغرب فرقة متكونة من ممثلين من المشرق العربي ومن تونس، وكان من بينهم الآنسة علياء وبهية الشامية وعبد الرزاق كرباكة. وقدمت «**رُوميو وجولييت**» للمؤلف **ويليام شكسبير**. وتروي الأسطورة الحب المُتَيَّم للعاشقين في مدينة إيطالية، انتهى بهما إلى موت تراجيدي.

وشهد عام 1932 وصول أكبر فرقة مصرية تضم أربعين ممثلا برئاسة **عزيز عيد وزوجته فاطمة رشدي وزينب صدقي وحسين رياض**، وقدمت سبعة عشر عرضا من ست مسرحيات منها مجنون ليلى وكيليوبترا بمدن طنجة والدار البيضاء والرباط وسلا وفاس.[2]

وفي يبرائر 1933 قدمت فرقة **نجيب الريحاني** مسرحيات بالدار البيضاء ومراكش، وكان من ألمع نجومها **بديعة المصباحي وفتيحة شريف** التي كانت تغني بين فصول المسرحية.[3]

ولعل آخر الفرق المسرحية المتميزة التي زارت المغرب هي فرقة **يوسف وهبي** عميد المسرح المصري، وقدمت في الخمسينات من القرن الماضي عروضا اتسمت بالجودة وحسن الإخراج.

كانت الفرق المسرحية المصرية بعنصرها النسوي تفتح أعين المتفرجين المغاربة على حقيقة تخلفهم الثقافي والإجتماعي، وتركت تأثيرا بالغا على مسار الحركة المسرحية بالمغرب.

---

1 – عبد القادر السحيمي، نشاة المسرح والرياضة بالمغرب، الرباط، 1986، ص 288.

2 – مصطفى بغداد، المسرح المغربي قبل استقلال، دار القرويين، الدار البيضاء 2000 ص 48.

3 – ن. م. ص. 51.

وفي سنة 1918 سمحت الإدارة الدولية بمدينة طنجة بتأسيس أول فريق رياضي مغربي تحت إسم «**جمعية المغرب**»، وكانت في ذات الآن تهتم بالأدب والثقافة، وأشرف على تسييرها عدد من المثقفين منهم أحمد المتيوي، أحمد توسان، العربي السعيدي، وترأس إدارتها محمد بن الجيلالي ومصطفى جبيط، وتولى أمانة المال الحسين الحاج إبراهيم، وتكلف بشؤون الكتابة محمد الحداد بالعربية وعبد السلام السوسي بالإسبانية.[4]

ومن الجمعية انبثقت أول فرقة مسرحية مغربية، وقدمت مجموعة من الروايات منها «**أهل الكهف**» لمحمد بن زاكور، ومن أشهر الممثلين حينئذ عبد السلام القصري، محمد بن الجيلالي، محمد المرير، مصطفى بن الفقيه، الطيب بن العربي، الطاهر داود، ومحمد الحداد وكان ممثلا ومؤلفا لعشرات الروايات، وأحمد السوسي مؤلف رواية «**واد المخازن**».

وفي وقت لم يكن يوجد فيه الحزب السياسي ولا الجريدة الوطنية، كان المسرح هو الأداة الفعالة لربط المواطن بالنخبة المثقفة ومساعدته على تنمية وعيه الإجتماعي والسياسي. وهذا ما حاربته الدول الإستعمارية وحاولت منع اتساع نطاقه. ففي شهر شتنبر 1935 طلب سفير إسبانيا من الإدارة الدولية بطنجة منع عرض مسرحية «**أميرة الأندلس**» لكونها كشفت مساوئ السياسة الإسبانية. وكان الإقبال عليها شديدا أثناء عرضها بفاس والدار البيضاء، وقام بتمثيل ادوارها الرئيسية المهدي المنيعي وامحمد الزغاري وحسن بوعياد.[5]

والسبب في السماح بعرضها في منطقة الإحتلال الفرنسي ومنعها بطنجة يفسره الصراع الحاد بين الأمبريالية الفرنسية المسيطرة على المناطق الغنية والواسعة من مملكة المغرب، والإستعمار الإسباني المحتل لمنطقة محدودة جغرافيا وفقيرة زراعيا.

4 – أنظر كتابنا : تاريخ الرياضة بالمغرب 1918 – 1998. مطبعة صوماكرام، الدار البيضاء 1998

5 – Robert Rézette, les Partis politiques marocains, colin, Paris 1955, P. 77

وفي الثلاثينات قدمت فرقة تطوانية مسرحية «**الوحدة العربية**»، فانسحب من إتمام مشاهدة العرض الكاتب العام للإقامة العامة الإسبانية بعد أن رأى الممثلين يتقمصون شخصيات ممثلي الدول العربية، ويؤدون القسم على الكفاح في سبيل تحرير الوطن. وصدر قرار بمنع المسرحية وتأسست لجنة إسبانية لمراقبة جميع المسرحيات قبل عرضها.[6]

وأقدمت الإدارة الدولية بطنجة على منع «**جمعية الهلال**» بدعوى أن نشاطها تجاوز وظيفة المسرح.

وفي رواية «**الوليد بن عبد المالك**» من تأليف محمد الحداد وتشخيص «**الجوق الطنجي للتمثيل العربي**» كان دور أحد الممثلين يتضمن الجملة التالية :

«**إن الموت في سبيل الوطن أفضل من كل متاع على الأرض.**»

فتدخل الرقيب الإسباني وشطب كلمة «**الوطن**» ووضع مكانها كلمة «**الشرف**». وفوق خشبة المسرح نطق الممثل بكلمة «**الوطن**». ووجد في انتظاره أمام باب المسرح الشرطة التي ساقته إلى السجن.[7]

وعلى الرغم من أن معظم المسرحيات كانت تتناول قضايا اجتماعية وتربوية، فإن الإدارة الفرنسية تنبهت إلى خطورة المسرح، وأصدر المقيم العام الفرنسي (**تيودور ستيك**) بتاريخ 14 غشت 1928 قرارا يأمر فيه ضباط الشرطة والمراقبين الفرنسيين بمنع تمثيل المسرحيات بدون ترخيص، وبإجبارية تقديم النصوص قبل العرض إلى أقسام المراقبة في مفتشيات الشؤون الأهلية.[8] ولا يسمح المراقبون بعرض العمل المسرحي إلا بعد تأكدهم من خلوه من كل ما ينتقد السياسة الفرنسية ولو بالتلميح.

وفي عام 1927 اشترك طلبة القرويين وآخرون من ثانوية مولاي إدريس في تقديم مسرحية «**إنتصار البراءة**». وكانت تهدف إلى تنبيه

---

6 – محمد الدحروش، المسرح في تطوان، جريدة العلم. 12 – 12 – 1993.

7 –محمد بن الحسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، ج3. ص 328.

8 – ن. م. ج1، ص 389

الملك محمد الخامس وتحذيره من خطورة المستشارين والمتملقين المحيطين به الذين يتآمرون على الموظفين النزهاء.



محمد القري

وكان من أوائل كتاب الرواية المسرحية الشاعر والكاتب **محمد القري** الذي قتله الضابط الفرنسي (أيار) في سجن كلميمة عام 1937. ومن أبرز أعماله الروائية «**اليتيم المهمَل والمُثري العظيم**» وهي تمثيلية انتقدت بخل الأغنياء وأنانيتهم ودافعت عن اليتامى المستهدفين لسوء المعاملة من طرف الأوصياء المتصرفين في أموالهم.

وعمدت الإدارة الفرنسية إلى منع تمثيلية «**تارتوف**» للمؤلف الفرنسي **موليير** التي تجسد المنافق المتظاهر بالوَرَع الديني، ويخدع رجلا باغتصاب زوجته وابنته. واعتبرت الإدارة الفرنسية التي منعت عرض المسرحية على الخشبة أنها تشهير **بالفقيه عبد الحي الكتاني** الذي كان عميلا متحمسا للإستعمار الفرنسي.[9]

واشتهر من بين كتاب الرواية المسرحية محمد بن الشيخ، علال الجامعي، محمد السراج، عبد الواحد الشاوي، عبد القادر السميحي بفاس، وكانوا يتناولون المواضيع التاريخية التي تمجد الماضي، وتتعاطى مع المشاكل الاجتماعية بأسلوب الوعظ والإرشاد، وتقتصر على الدراما وغابت عنها الكوميديا الهزلية لمدة طويلة. كان المسرح وسيلة لتحريك مشاعر المتفرج وأحاسيسه الوطنية والرفع من مستوى الوعي السياسي والاجتماعي الذي كان متدنيا وسط الشعب. وانخرط معظم القادة الوطنيين في النشاط المسرحي. وفي تطوان ألف

9 – Ch. A. Julien. Le Maroc face aux impérialismes 1415-1956, Paris, 1978, P232

عبد الخالق الطريس النصوص التمثيلية منها «**إنتصار الحق على الباطل**» سنة 1933. وبالرباط أشرف **محمد اليزيدي** على «**الجوق المغربي للتمثيل العصري**»، وقدم رواية «**لقيط الصحراء**» وكتبها عبد الواحد الشاوي، ومنعتها الإدارة الفرنسية لكونها تطرقت إلى الصراع بين الغرب الاستعماري والشرق الإسلامي.[10]

وأشرف **عبد الرحيم بوعبيد** سنة 1943 على تدريب الفرقة التي مثلت مسرحية «**الغرفة المشتركة**» كانت من اقتباس **عبد الرحمان بن عبد النبي**.[11]

وبمدينة القنيطرة أسس محمد الديوري فرقة مسرحية قدمت رواية «**مولاي إدريس الأول**» ومن أبرز أعضائها محمد المصمودي والمسكيني.

وبالدار البيضاء بدأ النشاط المسرحي في عام 1929 بفرقة أسسها تلاميذ المدارس. وتكاثر عدد الفرق المسرحية بعد الحرب العالمية الثانية. ومنعت السلطة الفرنسية سنة 1945 عرض رواية «**دماء الشهداء**» لكونها تطرقت للضحايا الذين سقطوا أثناء تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال سنة 1944، وفرقت الشرطة المتفرجين في الهواء الطلق وقادت الممثلين إلى السجن.[12]

وقدمت جمعية التمثيل البيضاوية برئاسة **رشاد بوشعيب** مسرحيات متنوعة منها «**الأرض الطيبة**» وتروي قصة فلاح مغربي إنتزع منه معمر فرنسي قطعة أرضه وكانت ترمز إلى مجموع الوطن الذي ينتظر من جميع المغاربة العمل لتحريره من المستعمرين.

وفي سنة 1946 سعت الإدارة الفرنسية إلى دفع البورجوازية المغربية للمشاركة في بعض المشاريع الاقتصادية. وفي جو الانفتاح السياسي سمحت بإقامة الإحتفالات الليلية الرمضانية في الساحات العامة، وشهدت أحياء درب السلطان تقديم تمثيليات في مواضيع

10 – زين العابدين الكتاني، فهرس المسرح المغربي، مجلة الفنون، الرباط، أبريل 1975.

11 – محمد بنعياد، طريق الحرية، م. س. ص 61.

12 –عبد الرحمان بن زيدان، المقاومة في المسرح المغربي، الدار البيضاء 1985، ص 46.

اجتماعية. ومن بين الفرق التي كانت لها شعبية، الفرقة التي أسسها الأستاذ الجزائري **عمر بن مالك**، وكان يقوم بأدوار التمثيل المختار الحداوي، الجيلالي السرغيني، عبد الله ولد الحاج علي، مصطفى الحريزي، محمد الزياني، أحمد الأسفي. [13] وقدمت رواية «**ظهور الإسلام**» وبمشاهد التعذيب الذي خضع له **الحبشي الإفريقي بلال**.

وأسس محمد بن العربي فرقة «**الفوز المسرحية**» وكتب رواية «**نداء الضمير**» تم تقديمها في عدة مدن، ومثل أدوارها أحمد العبدي، محمد بن عبد القادر، رشيد الحداوي، عبد القادر البدوي.



رواية حَصْحَصَ الحق. تأليف محمد الذغمي سنة 1950

واشتهرت فرقة «**العروبة**» التي كان يرأسها **عبد الرزاق الهراوي**، وكان مؤلفا وممثلا ومخرجا. وارتكزت أعماله على الدعوة للإتحاد بين الأحزاب السياسية أيام الصراع الدموي بين حزب الإستقلال وحزب الشورى. وعرضت فرقة «**نجوم الأطلس**» أعمالا تراثية بقيادة مؤسسها **محمد مصيص**. وقدمته فرقة «**أشبال العمال**» مسرحية بالدارجة تحت عنوان : «**يا البياعة ما تشوفو رسول الله.**»

ونجحت فرقة **البشير العلج** سنة 1951 في تشخيص مسرحية غنائية (**أوبيريت**) وكانت أول محاولة ناجحة من نوعها بالمغرب.

---

13 – حديث مع عبد القادر البدوي، في 14 – 12 – 1990

وفي مدينة مراكش كان النشاط المسرحي يجد مجاله في الحفلات التي تنظمها المدارس الحرة بمناسبة اختتام السنة الدراسية، وفي الأعياد والأعراس داخل البيوتات الكبرى. وكانت (**فرقة المسرح**) التابعة لكلية بن يوسف تقدم روايات اجتماعية وتربوية. وعملت «**فرقة الطالب العربية**» بتوجيه من **عبد الله إبراهيم** على توعية الناس بضرورة التعليم لمحاربة الجهل وتلقينهم مبادئ التربية الاجتماعية ومساعدتهم على الانخراط في الكفاح المفضي إلى معركة التحرير. وكانت الفرقة المسرحية تتكون في بدايتها من المخرج **محمد الحبيب محي**، والممثلين محمد العربي، عبد الرحمان بلفضيل، محمد الناصري، مولاي أحمد مسلم، محمد المطبعي.

وفي سنة 1932 أسس طلبة كلية بن يوسف فرقة «**الأطلس الشعبية المسرحية**»، وجاءت بعدها فرقة «**الشبل اليوسفي**».

وإلى جانب الفرق الطلابية تأسست فرقة شعبية قدمت أعمالها باللهجة الدارجة، وكان أعضاؤها هم : عبد الجبار الوزير/ محمد بلقاس، مولاي عبد الرحمان العلوي، أباجدي، عبد السلام الشرايبي الخ... [14]

وترأس الحاج بوبكر نرجس فرقة مسرحية بمدينة أكادير، ومنعتها القيادة العسكرية الفرنسية من تقديم مسرحياتها. وتأسست فرق أخرى في مدن الجديدة وآسفي والصويرة ووجدة وغيرها. فالمسرح طرح أفكارا تخاطب عقول المشاهدين وتنبه ضمائرهم وتثير أحاسيسهم لفهم مشاكل زمانهم. لذلك دأبت الإدارة الإستعمارية على مراقبته ومنع نشاطه، بل استعانت ببعض الفقهاء لتحريم التمثيل. ونشر أحمد بن الصديق كتابا سماه «**إقامة الدليل على حرمة التمثيل**» وصف فيه الممثلين بالخنازير والقردة.وعندما ألف محمد بن زاكور الطنجي مسرحية «**أهل الكهف**» اتهمه بعض الفقهاء بالكفر لأنه اقتبس حوادث المسرحية من القرآن، وتعرض للسجن والتنكيل. [15]

---

14 – محمد الحبيب محي، عبد الله إبراهيم من خلال بعض ما تميز به بين معاصريه من رموز الوطنية والسياسة وأعلام المعرفة والثقافة، يوسف للطباعة – مراكش 2008.

15 – محمد الدحروش، المسرح في تطوان، العلم، 12 – 12 – 1993.



حمادي لحلو، عبدالقادر بنسليمان في عرض مسرحي سنة 1951

الإدارة الفرنسية ألغت الفرق الوطنية

حينما بلغت الأزمة السياسية ذروتها بين الحركة الوطنية بقيادة **الملك محمد الخامس** والإستعمار، عملت الإدارة الفرنسية على الحد من النشاط المسرحي الذي يساهم بدور فعال في نشر الوعي الوطني، فكلفت الفرنسي **(أندري فوازان)** باحتواء العمل المسرحي. فأسست سنة 1949 فرقة مسرحية خُصصت لها ميزانية هامة، واستقطب عددا من الممثلين الشباب الذين كانوا يعملون في الفرق المسرحية الوطنية، وكان من بينهم حمادي عمور، عبد الرزاق حكم، محمد الدغمي، حمادي التونسي، إبراهيم السوسي، أحمد السفياني، أحمد الطيب لعلج، حميدو بن مسعود وغيرهم. وعن طريق الإذاعة تعرف المستمعون على أصوات الممثلات حبيبة المذكوري، آمنة رشيد، نعيمة المشرقي، لطيفة الفاسي، لطيفة القاضي وغيرهن.

وكانت الفرقة المسرحية الرسمية تقدم إنتاجاتها على موجات «**راديو ماروك**» الذي أصبح بعد الإستقلال يحمل إسم الإذاعة الوطنية، في مساء الخميس والأحد بإشراف عبد اللّه شقرون. واتخذت المسرحيات «**طابعا هزليا في معظمها ولا علاقة لها بتاريخ**

المغرب ولا بثراته.»[16]

ونظم الفرنسي (**أ. فوازان**) دورات تدريبية في فرنسا والمغرب لتكوين ممثلين مغاربة، وكان يساعده عبد الصمد الكنفاوي وعبد اللّه شقرون.

وبعد المظاهرات الشعبية الدامية التي كانت الدار البيضاء مسرحا لها في شهر دجنبر 1952 واعتقال القيادات السياسية وإغلاق الصحف الوطنية ومنع النشاط الثقافي والمسرحي، ارتفعت كمية البرامج المسرحية في الإذاعة وتضاعفت بهدف إلهاء المواطنين عن قضاياهم الأساسية، خاصة وأن الجماهير كانت مشغولة باعتقال آلاف الوطنيين ونفي **الملك محمد الخامس**، والنفوس تكدرت من جراء مئات القتلى برصاص الشرطة الفرنسية.

وإلى جانب التَّمثيليات الهزلية المقدمة عبر الأثير، كان الممثلون والممثلات يطوفون في بعض المدن ليقدموا، تحت حماية الشرطة، بضاعتهم الخالية من أي مضمون وطني أو اجتماعي والغارقة في التسلية والضحك من أجل الضحك.

ولا يمكن إغفال حقيقة أخرى يعرفها الذين عاشوا تلك الأحداث الحالكة، هي أن **بعض أعضاء فرقة الإذاعة للمسرح والتمثيل** كانوا يحملون في جيوبهم السلاح الناري الذي زودتهم به الإدارة الإستعمارية لحماية أنفسهم من الهجوم المحتمل للفدائيين.

فلا يجوز التمادي في الكذب والتضليل وخلط ما قامت به الفرق المسرحية الوطنية في حركة الاستنهاض والنضال السياسي بما قامت به فرقة الإذاعة في تنويم الضمائر والعقول خدمة لمخططات السلطة الإستعمارية.

16 – بنعياد، طريق الحرية، م. س. ص 115

الأندية الرياضية مدرسة لتكوين المناضلين

لابد من الإشارة في كتابة تاريخ الوقائع والأحداث إلى أن الرياضة استهدفت بدورها للتزييف، وتم اختزال دورها في قذفات الكرة من أجل المرح والتسلية. فالرياضة في عهد الاستعمار جسدت أحد أهم الوسائل لتأطير الشباب وتجنيده للكفاح من أجل الحرية.

وتفيد بعض الأبحاث أن لعبة الكرة كانت شائعة عند السكان الأمازيغ يلعبها الرجال والنساء، وكانت تسمى «**تاكويرت**» حسب ما أورده المؤرخ والرحالة الإغريقي (**هيرودوت 484 - 420 ق.م HERODOTE**) في الجزء الرابع من حكاياته. وتدخل في الطقوس التي كانوا يمارسونها تقرُّبًا من إلهة الخصب (**تانيت TANITE**) وطلبا للغيث.

وكانت الكرة في البداية تضرب بالعصا، وفي مرحلة لاحقة أصبحت تقذف بالأرجل، وينقسم اللاعبون إلى فريقين من الرجال، وأحيانا يتبارى فريق للذكور ضد فريق للإناث.(1)



تاكويرت، الكرة قديما بالمغرب

ولعل أول كتاب مغربي تحدث عن الرياضة هو «**الحُلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**» لمؤلف مجهول (طبعة الرباط 1936)، ويرجع تاريخ تأليفه إلى بداية القرن الثالث عشر الميلادي.

وتم العثور على مصنف آخر يعود تاريخه إلى القرن السابع عشر، ويحمل إسم «مختصر

1 - Dr. BERTHOLON, essai sur la religion des Libyens, in Revue Tunisienne, T. 16. P. 482, 1966

الأفاريد» من الحجم الصغير وهو أيضا لمؤلف مجهول من مدينة تازة. ويتطرق إلى نظام الرياضة البدنية في التعليم المغربي القديم، ومن بين مواضيعه فصل يتعلق بكرة القدم وبقوانينها التي قسمها المؤلف إلى ثلاثة : إلزامية ومستحسنة وممنوعة.

ومن بين القوانين الإلزامية تنظيم اللاعبين وتقسيمهم إلى فريقين متساويين في العدد، ونظافة أرض الملعب وابتعادها عن البناء والشجر، وتحديد مساحة الملعب دون طول مفرط. ويمنع على اللاعبين قذف الكرة إلى طرف الملعب، واستعمال الدفع والوكز بالرجل الأخرى، والتلفظ بخشونة الكلام في الرد على منافسه. ويستحسن جلوس المتفرجين خارج وسط الملعب والتصفيق ضد من يرتكب مخالفة. ويقول الباحث والمؤرخ **محمد المنوني** أن التصفيق كان آنذاك يقوم مقام الصفير في الألعاب الحديثة.[2]

أما كرة القدم في شكلها الحالي، فقد انتقلت من إنجلترا إلى بعض البلدان الأوربية في عام 1860م، ومنها إلى المستعمرات في أفريقيا وآسيا وأمريكا. وكانت مصر البلد الإفريقي الأول الذي تعرف على كرة القدم الإنجليزية، وتأسس أول فريق سنة 1883م بإسم «**نادي أولمبيك الإسكندرية**» بينما تأسس أول فريق لكرة القدم بفرنسا عام 1888م.

وفي المغرب الذي كانت أرضه مقسمة إلى ثلاثة مناطق : شمالية احتلتها اسبانيا، وجنوبية استعمرتها فرنسا، وطنجة تحت إدارة دولية. كان تأسيس الأندية الرياضية ممنوعا على المغاربة، وبعد الحرب العالمية الأولى، سمحت الإدارة الدولية في طنجة بتكوين أول نادي مغربي سنة 1918 يحمل إسم «**جمعية المغرب**» وكانت جمعية رياضية أدبية أشرف على تسييرها نخبة من المثقفين.[3]

وبنفس المدينة تأسس فريق «**الهلال**» في عام 1926، وجمع بين الرياضة والمسرح، وكان يرأسه **عبد الباقي بن يحي**، ومن حضن جمعية المغرب وفريق الهلال، خرجت كرة القدم المغربية في شكلها العصري.

2 – محمد المنوني، لمحات عن سير الرياضة البدنية في التعليم المغربي القديم، مجلة دعوة الحق، العدد 615 – السنة 15، أكتوبر 1972

3 – تاريخ الرياضة بالمغرب، م. س. ص 16

وكان الفريقان يشاركان في بطولة إسبانيا. واحتل فريق «**المغرب**» في سنتي 1930 – 1933 صدارة الفرق القوية في أفريقيا الشمالية. ومنذ الثلاثينات كان مسيرو الفريقين يتنقلون سرا بين طنجة والرباط والدار البيضاء، للإتصال بإخوانهم وإطلاعهم على تجربتهم في الميدان الرياضي، وساهموا في التمهيد لتكوين أندية رياضية في منطقة الاحتلال الفرنسي التي كان فيها تأسيس فريق رياضي خاضعا لقرار خاص يصدره الحاكم العسكري. فالفرنسيون استأثروا وحدهم بحق تكوين الفرق الرياضية. وأسسوا في الدار البيضاء يوم 2 أبريل 1913 (**الإتحاد الرياضي المغربي U.S.M**)، وكونوا فرقا أخرى ، بعدة مدن، وكانت تابعة للإتحاد الفرنسي لكرة القدم. وعندما تكاثر عددها وجدت نفسها في حاجة إلى اللاعبين، واستنجد بعضها بالمغاربة الذين كانوا يلعبون في فرق الأحياء.



فريق المعمرين الفرنسيين في كرسيف سنة 1912

وسرعان ما اكتشف المشرفون على الرياضة أن الإتحاد الرياضي بمدينة أسفي، وهو فريق فرنسي، يضم في صفوفه تسعة مغاربة ولاعبين فرنسيين فسارعوا إلى إصدار قرار يفرض على كل فريق إشراك ثلاثة فرنسيين على الأقل ضمن تشكيلته.

وفي عام 1934 فاز فريق «**مكتب النقل**» ببطولة المغرب للفرق المهنية وكان يتكون من ثمانية مغاربة وثلاثة فرنسيين، فانزعج العنصريون

ودفعوا العصبة إلى إصدار قرار جديد يحدد مشاركة المغاربة في البطولة المهنية الفرنسية بلاعبين اثنين فقط. وبذلك واصلت الإدارة الإستعمارية خنق وعرقلة تطور كرة القدم المغربية.

وفي سنة 1932 تأسس «**الإتحاد الرياضي للرباط وسلا**» وهو أول نادي مغربي كان من بين مسيريه **أحمد بن غبريط ومحمد بن الكناوي**.



جمعية سلا الرياضية عام 1942

وفي سنة 1937 ظهر «**الوداد الرياضي البيضاوي**»، وبدأ نشاطه بالسباحة. وفي سنة 1940 اكتمل فريق كرة القدم، وكان يدربه اللاعب والمثقف **محمد بن الحسن** المعروف بلقب «**الأب جيكو**» [(4)] .

وفي ظرف وجيز تمكن «**الوداد**» بتشكيلة مغربية من إلحاق الهزيمة بجميع الفرق الفرنسية في البطولة المغربية. وأصدرت عصبة كرة القدم الفرنسية قانونا تفرض بموجبه على الفرق المغربية إدخال ثلاثة أوربيين في فئة الكبار وخمسة في فئة الشبان. وتحايل مسيرو **(الوداد)** على القانون الفرنسي وخاضوا المباريات بفريق كله مغاربة بعد أن ضموا ثلاثة لاعبين يحملون الجنسية الفرنسية باعتبارهم أوربيين،

4 – أنظر قصة وأصل إسم «جيكو» في كتابنا : تاريخ الرياضة بالمغرب 1918 – 1998، الدار البيضاء، 1998، ص 27 – 28

اثنين جزائريين هما شاكوري محمد وأحمد بن مسعود، والثالث محمد ماصون مغربي من أم أوربية، وعجز المُشرّع الفرنسي عن منعهم.

وكان مسيرو الوداد يستقطبون لاعبين أوربيين من بين الإسبانيين والبرتغاليين وغيرهم من اللاجئين السياسيين الحاملين للأفكار الإنسانية التقدمية. وأصبح فريق الوداد بمثابة المنتخب الوطني. وكانت اثنتا عشرة فرقة فرنسية تتنافس على بطولة المغرب، وتمكن فريق الوداد من الفوز بالبطولة على مدى أربع سنوات متتابعة 48 – 49 – 50 – 1951.



فريق الوداد سنة 1948

وبنفس التفوق انتزع الوداد بطولة شمال أفريقيا في سنوات 48 – 49 – 1950، وكانت تتبارى عليها الفرق الفرنسية في المغرب والجزائر وتونس.

وفي الخمسينيات تخطت أربع فرق وطنية الحصار المضروب عليها وفرضت وجودها بالصعود إلى القسم الشرفي الأول وهي الوداد، الفتح الرباطي، المغرب الفاسي والمولودية الوجدية.

ولمقاومة السياسة العنصرية في المجال الرياضي، أسس الوطنيون «**العصبة الحرة**» لكرة القدم ضمت فرق الأحياء، وخضعت لتنظيم محكم على مستوى المدن الكبرى، وكانت تتنافس فيما بينها على البطولة وكأس العرش. ولم تكن مهمة الأندية تقتصر على التسيير

الرياضي بل كان هدفها توعية الشباب سياسيا وإعداده لخوض معركة الاستقلال، وتأطيره المستمر لمواجهة الميولات المائعة التي كانت تنشرها السلطة الإستعمارية.



المولودية الوجدية سنة 1948

وكان نشر الأفكار الوطنية التحريرية في الأوساط الرياضية عاملا أساسيا من العوامل التي أنجبت شبابا تميز بسخاء التضحية دفاعا عن الحرية. وشارك رياضيون بارزون في الكفاح من أجل الاستقلال. وفي مظاهرات 11 يناير 1944 سقط شهيدا **الهاشمي القسطالي** المعروف بلقب «**سوس**» بمدينة الرباط.[5] وألقي القبض على عشرات الرياضيين، وأغلق نادي الجمباز التابع للإتحاد الرياضي الرباطي. وبمدينة فاس ألقتَ الشرطة القبض على عدد من مسيري فريقي المغرب والنجاح. وفي سنة 1952 قتلت القوات الفرنسية عددا من المتظاهرين في المدينة القديمة بالدار البيضاء وجرحت العشرات كان من بينهم لاعب الوداد **عبد النبي المسطاسي**.

5 – عبد الله الجراري، صفحة من صفحات الماضي للكتلة وتجليها في المطالبة بالاستقلال سنة 1944، الدار البيضاء 1956. ص 48



عبدالنبي المسطاسي

لحسن بوعبيدة

العربي بن أحمد

محمد البقال

كبور عياف

محمد بن الحسن الأب «جيكو»

وانطلاقا من عام 1953 إلى 1955 دخلت أعداد من الرياضيين المناضلين إلى السجون ونفذت أحكام الإعدام في آخرين. ففي مدينة مراكش أصدرت المحكمة العسكرية الفرنسية الحكم بالإعدام على اللاعبين **الحسن بوعبيدة** و**كبور عياض** وعلى المسيرين **محمد البقال والعربي بن أحمد** وكلهم من فريق «**المولودية**». ووجهت إليهم تهمة وضع قنبلة على السكة التي كان سيمر عليها القطار الذي يقل بن عرفة الذي نصبه الفرنسيون سلطانا بعد نفي الملك الشرعي **محمد الخامس**.



محمد الزرقطوني وسط اللاعبين محمد الهراوي والجيلالي بن موسى

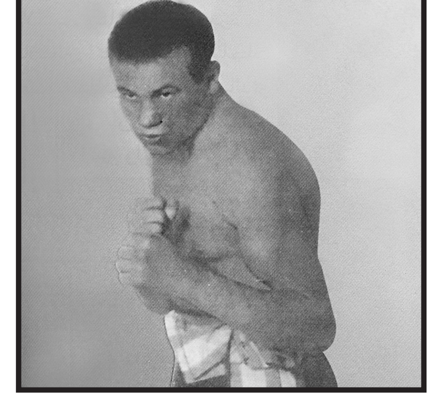
ومع تصاعد المقاومة المسلحة للإستعمار، برز رياضيون في ساحة الشرف واستشهد عدد منهم واقفين، وكان من بينهم **محمد الزرقطوني** من نادي المولودية بالمدينة القديمة في الدار البيضاء، و**أحمد الراشدي** من نادي الجمباز الرياضي البيضاوي، والرياضي **أحمد الفيلالي** في مدينة الرباط. وقضت المحكمة العسكرية بعشرين سنة سجنا على **عبد السلام بناني** رئيس العصبة الحرة لكرة القدم. ونجا مدرب الوداد «**الأب جيكو**» من محاولة اغتيال عندما أطلق عليه المستعمرون النار من سيارة مسرعة في أحد شوارع الدار البيضاء.

وبمدينة وجدة صدرت أحكام بالسجن على بطل الدراجات الوجدي **محمد حبيبي** وعلى رفيقه **بوبشر عبد الكريم** لمشاركتهما في الهجوم على

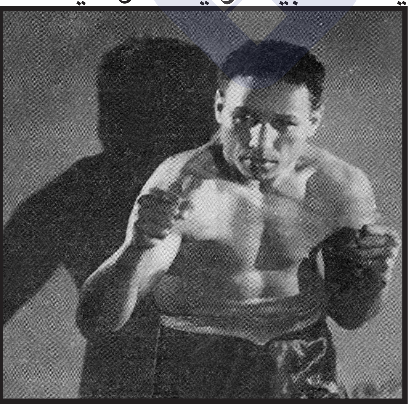
مركز عسكري فرنسي.

وفي الملاكمة كان في مقدمة الرياضيين المكافحين البطل الدولي **عبد السلام بن بوبكر** المزداد بطنجة سنة 1925م والفائز ببطولة إسبانيا في الوزن الشبه الثقيل في عام 1949. وفي سنة 1950 إنضم إلى الحركة الوطنية وجال في بلدان أمريكا الشمالية والجنوبية، ولاكم تحت الراية المغربية إلى أن بلغ نهاية بطولة العالم وخسرها بالنقط أمام البطل العالمي حينذاك (جيد جابيلان). وقدم **عبد السلام بن بوبكر** خدمة ثمينة في ميدان الدعاية الإعلامية للمغرب في وقت كان فيه ممثلو الحركة الوطنية يطالبون في أروقة الأمم المتحدة بالإستقلال.

وفي نفس الإتجاه الإعلامي إشتهر البطل الدولي **الحسين الجديدي** الذي كان أول ملاكم مغربي يصعد على الحلبة بفرنسا. ففي عام 1946 أحرز على بطولة المغرب في الوزن الخفيف ثم فاز ببطولة شمال أفريقيا على منافسيه وكانوا كلهم فرنسيين من الجزائر وتونس بالضربة القاضية. وفي باريس ألحق الهزيمة ببطل فرنسا **(مونطيك)** أمام آلاف المشجعين الفرنسيين، وكان الإنتصار بالضربة القاضية. وأطلقت عليه الصحافة الفرنسية لقب «**صاحب القبضة الحديدية**». وكانت انتصاراته تفجر الفرحة داخل المغرب وترفع الجماهير في الأحياء الشعبية الرايات الوطنية.



الملاكم الدولي عبدالسلام بن بوكر



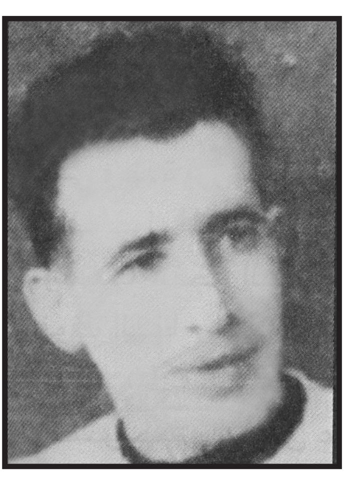
الحسين الجديدي بطل فرنسا

وفي الفترة الممتدة من 1940 إلى 1956 برزت أفواج أخرى من الأبطال الرياضيين في مختلف فنون الرياضة وكانوا في أغلبيتهم

متأثرين بأفكار الحركة الوطنية. (6)



محمد حبيبي



عبدالكريم بوشر

لقد كان معظم الرياضيين بعيدين عن عقلية الإرتزاق وطبعت سلوكهم النظافة وقوة الإرادة والإستقامة وكلها صفات جعلت منهم مكافحين جادين من أجل المُثُل العليا للرياضة، والدفاع عن أهدافها النبيلة ضد الإستعمار والعنصَرية، وساهموا في تقويم الأبدان واكتساب الفضائل الأخلاقية وتحرير العقول من رواسب التعصب الجهوي والوطني والإرتقاء بالوعي الرياضي إلى مستوى «العقل السليم في الجسم السليم»

الرياضة في عهد الإستقلال

غداة إعلان الإستقلال السياسي في 2 مارس 1956، أخضع الحكم الاستبدادي المطلق الرياضة لخدمة أهدافه. ووضع أهم الرياضات الشعبية تحت سيطرة أشخاص نافذين في السلطة، وبالتدريج تمت مَخْزَنَة كرة القدم وألعاب القوى والدراجات والملاكمة والرياضات الحربية، وأصبحت الإتحادات والجامعات الرياضية نسخة

6 – المزيد من التفاصيل في كتابنا تاريخ الرياضة بالمغرب ويحتوي على 22 رياضة أولمبية و 300 صورة.

طبق الأصل لإدارة مخزنية غارقة في العفونة والتلاعب بالأموال و الانتهازية والظلم، وتسودها روح التسلط والبحث عن الربح المادي. وتراجعت الأهداف التربوية، واكتسح وباء الإرتزاق العقليات وأفرز أشباحا بشرية منحطة الكرامة تركع صباح مساء أمام أصنام طاغية تحتقر القيمة الإنسانية، وتجعل من الرياضة وسيلة سهلة لمراكمة الأموال الفاحشة التي تجنيها من البنوك والشركات الخاصة والمؤسسات العمومية الحاضنة للرياضة. فلا أحد يستطيع أن يرفض طلبا لخدام المخزن المسيطرين على أجهزة الرياضة التي ينحصر دورها في إيقاظ روح العصبية الوطنية في النفوس.[7]

وتلعب الدعاية عبر القنوات الفضائية والإذاعات والصحف دورا خطيرا في التهريج والتحريض المقيت. ويقوم الصحفيون المرتشون بحملات تضليلية لإيهام الشباب التائه سياسيا وثقافيا أن مشاركة المنتخب في «**المونديال**» هي قمة المجد الوطني.

والواقع أن المغرب كان في زمن المجد الرياضي الحقيقي خزانا لأجود الرياضيين الوطنيين، وكانت الأندية الفرنسية تعتمد عليهم. ولعب في البطولة الفرنسية ما بين 1950 – 1955 حوالي أربعين مغربيا محترفا لكرة القدم.[8]

واستعان الناخب الوطني الفرنسي بكفاءة وبراعة مجموعة من عمالقة الكرة المغربية، وفي مقدمتهم العربي بن مبارك وعبد الرحمان بلمحجوب وعبد السلام عاطف وإدريس جوماد ومصطفى البطاش وغيرهم. وبفضلهم حقق المنتخب الفرنسي انتصاراته في البطولات الأوربية والعالمية.

7 – ضحك العالم بأسره من تجييش الحكام المستبدين في مصر والجزائر لملايين الأميين في الشوارع تحت شعارات التعصب الوطني البغيض بسبب مباراة لكرة القدم في نوفمبر 2009.

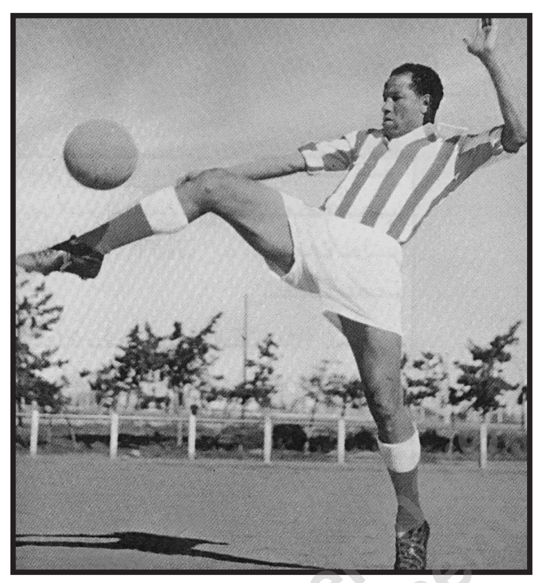
8 – أسماؤهم في كتابنا : تاريخ الرياضة بالمغرب، ن. م.


عبدالسلام عاطف


ادريس جوماد

ومنذ استقلال المغرب إلى الآن انحدرت الرياضة المغربية إلى أدنى مستوياتها، ودشن «**المخزن**» في ميدان كرة القدم سياسة «**اختطاف اللاعبين**» من الأندية الفرنسية والأوربية التي كونتهم ودربتهم ورعتهم من فئات الصغار والشبان إلى الكبار، ومعظمهم مهاجرون ازدادوا وتعلموا وتعاطوا الرياضة في البلدان الأوربية. وكثيرا ما قامت **سفارات المغرب** بهذه المهمة غير الأخلاقية وضغطت على آباء اللاعبين ليرغموا أبناءهم على الانخراط في المنتخب المغربي بدعوى «**الدفاع عن الراية المغربية**».

إن الرياضة في أيام المجد والعز والصولة جسدت تطلعات الشعب إلى التخلص من عبودية الاستعمار. ومن المؤلم أنها تحولت في عهد الاستبداد والفساد إلى مادة مكملة لمفعول المخدرات التي وقعت نسبة كبيرة من الشباب في عبوديتها.



العربي بن مبارك



عبدالرحمان بلمحجوب

السياسيون تراجعوا والجماهير دفعت ثمن المطالبة بالاستقلال

ما كادت بوادر الحرب العالمية الثانية تظهر في سماء أوربا، حتى أمر المقيم الفرنسي العام ممثلي الحزبين الوطنيين بتأييد فرنسا ضد ألمانيا. فاستجاب السياسيون في الرباط وسلا بدون تردد، بينما اشترط **عبد الله إبراهيم** وأصدقاؤه بمراكش إطلاق سراح المعتقلين والسماح للحزب الوطني باستئناف نشاطه. فأعطى الحاكم العسكري الفرنسي أمره باعتقالهم في باب مكتبه «**ومكثنا في السجن إلى ما بعد هزيمة فرنسا أمام الجيش الألماني.**» [1]

وبمنفاه بالكابون طرح **علال الفاسي** مسألة استقلال المغرب مقابل إعلان تأييده لفرنسا. وكان موقفه سببا في تأخير إطلاق سراحه لمدة ثلاث سنوات أخرى.[2]

وفي يوم 26 غشت 1939 أي قبل اندلاع الحرب بخمسة أيام استقبل الجنرال (نوكيس) المقيم الفرنسي العام وفدا عن «**الحزب الوطني**» يتألف من سعيد حجي رئيس فرع الحزب بسلا، ومحمد غازي وأحمد الشرقاوي وأبو بكر القادري، وسلموه تصريحا مكتوبا تعهدوا فيه بشرح و«**تفسير أخطار الحالة لمختلف الطبقات في المجتمع المغربي، وضرورة تكثيل القوى المادية والمعنوية في ساعة الخطر لمواجهة الطوارئ التي قد تلحق أذى بوجود المغرب وبمصالح فرنسا.** »

واعتبر بلحسن الوزاني هذا الموقف «**طعنة بالخنجر من الخلف موجهة إلى ضحايا القمع من المعتقلين والمنفيين والشهداء....**» [3]. إلا أن مسؤولين في «**الحركة القومية**» التي تزعمها الوزاني قدموا بدورهم رسالة إلى المقيم الفرنسي العام باعتبارهم «**مثقفين مغاربة**» وأكدوا له استعدادهم

1 – حديث مع عبد الله إبراهيم بالدار البيضاء في 14 – 4 – 1986.

2 – علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص 242.

3 – محمد بن الحسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، ج5. ص 236.

لتوضيح الوضعية لدى جميع الطبقات الاجتماعية المغربية ومؤازرة فرنسا بصريح العبارة. وحملت توقيع إدريس والصديق روديا‌س وأحمد بوهلال وعبد السلام بن سعيد.[4]

ولما نزلت القوات الأمريكية يوم 8 نوفمبر 1942 في شواطئ الدار البيضاء والمحمدية وبوزنيقة اعتقد السياسيون أن عهد الاستعمار على وشك الأفول. وتعزز اعتقادهم بعد الوعود التي أعطاها كل من الرئيس الأمريكي (**روزفلت 1882 - 1945**) ورئيس الحكومة البريطانية (**وينستون تشرشل 1874 - 1965**) للملك **محمد الخامس** (1909 - 1961) في اللقاء الذي جرى بينهم بالدار البيضاء يومي 22 - 23 يناير 1943 والمعروف بلقاء آنفا.



الملك محمد الخامس والرئيس الأمريكي روزفلت والرئيس البريطاني تشرشل في مؤتمر آنفا

وفي تلك الظروف التي كانت مُفْعمة بالأمل إلتقى **الملك محمد الخامس** بأعضاء من حزب الاستقلال يتقدمهم أحمد بلافريج ومحمد الفاسي ومحمد غازي ومحمد اليزيدي وعمر بن عبد الجليل. وتم الإتفاق على المطالبة بالإستقلال.[5]

والواضح أن «**الحركة القومية**» لم تكن لها أية مشاركة في هذا

---

4 - جريدة «الوداد» 12 - 9 - 1939. ونشر نصها أبو بكر القادري في مذكراتي، م. س. ص 476، وسكت عن الرسالة التي قدمها هو وأصدقاؤه إلى المقيم العام باسم «الحزب الوطني».

5 - قاسم الزهيري، محمد الخامس الملك البطل، مطبعة أكدال. الرباط 1984 ص 43.

القرار، والسبب - حسب أحد أعضائها - أنها كانت تمثل «**تيارا وطنيا أكثر مما كانت حزبا محكم البناء**» [6]

وبعد إعداد نص الوثيقة تقرر تقديمها من طرف عدة وفود يوم 11 يناير 1944 إلى الملك وإلى الإقامة العامة الفرنسية وإلى القنصليتين الأمريكية والإنجليزية. وكانت تحمل توقيع حزب الاستقلال وأشخاص مستقلين من قدماء المدارس الثانوية. ورفض عبد الهادي الشرايبي وعلي العراقي توقيعها باسم «الحركة القومية». [7]

وانتقدت الوثيقة نظام الحماية الفرنسية الذي تحول إلى حكم مباشر يخدم مصالح الفرنسيين المسيطرين على ثروات البلاد. وجاء في نص الوثيقة إشادة بالحلفاء الذين «**أظهروا عطفهم على الشعوب الإسلامية ومنحوا الاستقلال لشعوب منها من هو دون شعبنا في ماضيه وحاضره.**»

ومن هذه الفقرة غير الموفقة تشتم رائحة التعصب الوطني الذي ينعت بعض «**الشعوب الإسلامية**» بأنها دون المغرب في الماضي والحاضر.

وإذا كانت الوثيقة لم تطالب بإلغاء معاهدة الحماية لسنة 1912، فإنها طالبت بالإستقلال وتركت للملك الصلاحية في التفاوض من أجله مع الدول التي «**يهمها أمر الاعتراف بهذا الاستقلال**».

وبعد أن أطلع الملك المقيم العام الفرنسي (**كابرييل بيو**) على الوثيقة، أجابه بأنها لا تمثل إلا رأي حزب واحد ولا يمكنه أن يتكلم باسم الشعب كله، وأن هناك حزبا آخر لم يقل كلمته. فبادر الملك إلى مطالبة أعضاء «**الحركة القومية**» بالانضمام إلى الإجماع الشعبي. فما كان من الرافضين القوميين إلا أن تسابقوا مع الزمن وأدخلوا تغييرا طفيفا على نص الوثيقة وقدموها يوم 14 يناير إلى الإقامة العامة وإلى القنصليتين الأمريكية والإنجليزية. [8]

وأثارت المطالبة بالاستقلال حماسا عارما وسط سكان المدن،

---

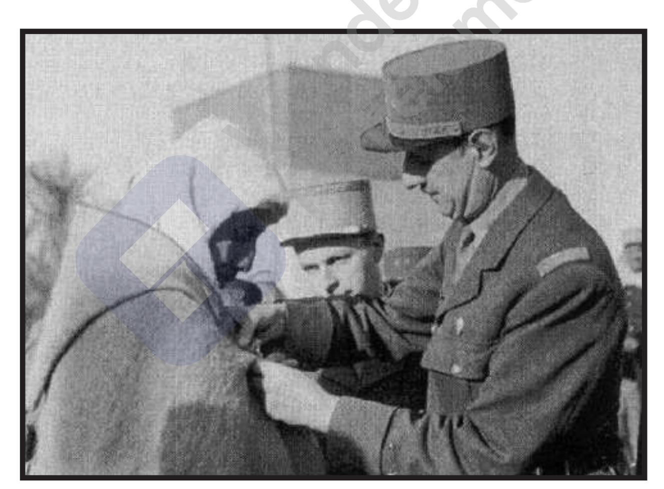
6 - عبد الهادي بوطالب، ذكريات شهادات ووجوه، الرباط 1993، ج2. ص 207

7 - الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، ج6، ص 118 و 169.

8 - ن. م. ص 128

وتقاطرت الوفود على العاصمة تحمل لوائح وعرائض التأييد موقعة من طرف مختلف الفئات الشعبية.

وما كان للإستعمار المهزوم في الحرب أن يبقى مكتوف الأيدي وهو يرى مستعمراته تتفكك. فجاء **الجنرال دوكول** يوم 16 يناير 1944 إلى مدينة مراكش قادما من الجزائر. والتقى بالرئيس **تشرشل** الذي كان يقضي عطلة للاستراحة في فندق المامونية بالمدينة الحمراء. وبعد أن تأكد من حياد إنجلترا فيما يتعلق بالمطالبة بالاستقلال، إستقبل العميل **الباشا الكلاوي** ووشحه بوسام **(لاكروا دو لورين)**، ثم عاد إلى الجزائر ليعطي التعليمات بقمع المطالبين بالاستقلال. وأعلن **الباشا الكلاوي وقياد المخزن وكبار موظفيه تراجعهم عن التضامن الذي عبروا عنه للملك بمناسبة تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال.** [9]



الجنرال دوغول يوشح الكلاوي بمراكش يوم الخميس
13 **يناير** 1944

فسارعت قيادة حزب الاستقلال البورجوازية إلى تغيير موقفها ونشرت بيانا طلبت فيه من الملك «**استبدال الموقف بآخر داعية الشعب**

9 – عبد الله الجراري، صفحة من صفحات الماضي للكتلة وتجليها في المطالبة بالاستقلال، الدار البيضاء 1956، ص 31.

إلى الهدوء».[10] وبعث **أحمد بلا فريج** الأمين العام لحزب الاستقلال رسالة إلى الملك يؤكد فيها أن «**التعاون مع الفرنسيين والمحافظة على مصالحهم ممكن في إطار الاستقلال وليس متناقضا معه.**»[11]

وتوالى صدور البيانات بهدف وقف العاصفة الاستعمارية القادمة. وفي رسالة أخرى، سكت عن ذكرها مؤرخو الحزب ونشرها الوزاني، تؤكد فيها قيادة حزب الاستقلال أنها لا تنوي إشعال نار الفتنة بداخل البلاد «**ونشهد الله على حسن نوايانا**». وبذلك أرادت تطمين الاستعمار بلغة لاهوتية لا وجود لها في ثقافته ولا في قاموسه.

ومما جاء في الرسالة :

«غير خاف عنكم ما دفعنا من أسباب إلى أن نرفع إلى جلالة الملك المؤيد بالله وثيقتنا المؤرخة بـ 11 يناير 1944، والتي ترمي إلى الحصول على استقلال المغرب في دائرة مشروعة. ولم تكن غايتنا تهييج الأفكار أو إثارة نار الفتنة بداخل البلاد... ولذا فإننا نشهد الله على أنفسنا بأننا، طبق ما صرحنا به غير ما مرة، لا ننوي تحقيق أملنا باستعمال وسائل القوة والعنف...»[12]

لم تنفع التطمينات والتبريرات من منع دبابات الجنرال **(لوكليرك)** من تطويق مدينة الرباط التي وصل إليها **(روني ماسيكلي)** المكلف بالشؤون الخارجية في اللجنة الفرنسية للتحرير التي كانت مستقرة بالجزائر. وعقد يوم 28 يناير 1944 اجتماعا مع الملك بحضور وزرائه وأعلن بعنف رفض مطلب الاستقلال. وغادر المغرب لتبدأ الاعتقالات في نفس اليوم.[13] وتم إلقاء القبض على عدد من أعضاء قيادة حزب الاستقلال، وبقي أعضاء آخرون بارزون أحرارًا مثل عمر بن عبد

---

10 – ن. م. ص 31.

11 – Robert Rézette, les partis politiques marocains, colin, Paris, 1955, P. 144.

12 – الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، ج6. ص 106.

13 – Ch. A. Julien, le Maroc face aux imperialismes, op. cit. P. 144.

الجليل ومحمد غازي وأحمد مكوار وغيرهم.[14]

وامتدت حملة القمع لتشمل مدن فاس والدار البيضاء ومراكش ووجدة وغيرها، ووجهت الإدارة الاستعمارية إلى الوطنيين تهمة التواطئ مع ألمانيا.

وفي كتابات السياسيين ساد ولا يزال التعتيم يسود مسألة ارتباط بعض القادة الوطنيين بألمانيا النازية. ويزداد الغموض حول الزيارات التي قام بها بعضهم إلى **برلين** واتصالاتهم بشخصيات نافذة في حكومة **هتلر**.

وقد تعمد غلاب أسلوبا ملتويا في تناول الاتصالات التي جرت بين أحمد **بلا فريج** وبعض الألمانيين «**أثناء تنقله بين فرنسا وسويسرا وإسبانيا**»[15]. وسكت عن ذكر زيارته إلى ألمانيا، التي تناولها الوزاني بقوله: «**توجه بلا فريج إلى برلين مقتديا ببعض الشخصيات الشرقية، ومغترا بادعاءات السياسة النازية التي كانت تستغل كل شيء وكل واحد في حربها الدعائية ضد عدوها التقليدي الفرنسي.**»[16]

وكشف محمد اليزيدي القيادي في حزب الاستقلال عن اتصالات أخرى أجراها عمر بن عبد الجليل عدة مرات مع رئيس البعثة الألمانية بشمال أفريقيا.[17]

وانفرد عبد الخالق الطريس رئيس «**حزب الإصلاح الوطني**» بزيارتين إلى ألمانيا الأولى في يناير 1941 أجرى خلالها «**محادثات مع كورينك وهملر وغيرهما من قادة النظام النازي.**»[18]

14 – بوطالب، ذكريات، شهادات، م. س. ج2. ص 139.

15 –عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، ص 257، الدار البيضاء 1976

16 – بن الحسن الوزاني، مذكرات حياة.... م. س. ج6. ص 17.

17 – حديث محمد اليزيدي، جريدة العلم. 11 – 1 – 1990.

18 – غلاب، تاريخ الحركة، م. س. ص 58.

وفي الزيارة الثانية حاول الاتصال برئيس ألمانيا **أدولف هتلر**، إلا أنه أحيل على الرئيس الإيطالي **موسولوني** باعتباره مستشار ألمانيا في قضايا شمال أفريقيا.[19]

وفي يوم 21 يونيو 1940 اصطف السياسيون بتشجيع من النظام الدكتاتوري الإسباني في مقدمة مظاهرة جابت شوارع تطوان احتفالا بانتصار ألمانيا وهزيمة فرنسا.[20] وأمام قنصلية ألمانيا بالمدينة أحرقوا العلم الفرنسي ثم أقاموا صلاة الجنازة ودفنوا في المقبرة «**نعش فرنسا**» تحت تصفيقات وهتافات الحشود.

وما كادت أخبار الاعتقالات والقمع تصل إلى الأسماع حتى نزلت الجماهير إلى الشوارع تعبر عن سخطها وتطالب بالاستقلال وإطلاق سراح المعتقلين.واضطرت السلطة الفرنسية إلى تكليف بعض السياسيين »**بالطواف في الأسواق لحل الإضراب وتهدئة السكان.**»[21] وأخرجت من السجن القيادي **محمد اليزيدي** للدعوة في الرباط إلى الهدوء وحل الإضراب، وألتحق بالجماهير في ساحة القصر الملكي وسار في مقدمتها إلى أن رجعت إلى المدينة القديمة.[22] إلا أن المتظاهرين قتلوا في طريقهم ثلاثة فرنسيين وجرحوا تسعة من رجال الدرك. وسقط اثنا عشر مغربيا قتلى وخمسة وثمانون جرحى برصاص الجيش الفرنسي.[23]

ولم تحتفظ الروايات سوى بأسماء الشهداء : الطالب الصديق بن محمد احساين، والزرهوني والسيدة تودة، والوزاني الجبلي محمد، والهاشمي القسطالي.

---

19 – الوزاني، مذكرات حياة، م. س. ج6. ص 17.

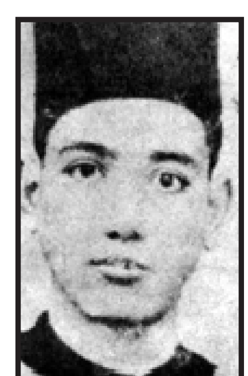
20 – أحمد معنينو، ذكريات ومذكرات، ج3 ص 149، طنجة 1991

21 – الوزاني، مذكرات حياة، م. س. ص 141.

22 – غلاب، تاريخ، م. س. ص 316.

23 – Fullebert Taillard, le nationalisme marocain, Ed. du Cerf, Paris, 1947, P. 34.

وبمدينة سلا انطلقت مظاهرة بقيادة الطالبين **عبد الرحيم بوعبيد** ومحمد **البقالي**، واعترضت طريقها القوات الفرنسية ومنعتها من التوجه نحو الرباط. وسقط تحت الرصاص عدد من المواطنين لم يعرف من بينهم سوى السيدة خناثة



الصديق احساين



أحمد بن عبود

الروندة، والسيدة رحمة، وبوعزة العربي الحسناوي، والجيلالي الفيلالي، وبلال بن فاتح الدكالي، واخلافة بن خلوق، ومحمد الزمراني. وهاجمت القوات الفرنسية المنازل وهتكت أعراض النساء. وتلقى شرطي فرنسي طعنة بخنجر أودت بحياته. وفي بداية شهر يبرائر 1944 نفذ حكم الإعدام في الطالب **أحمد بن محمد بن عبود** بتهمة قتل الشرطي الفرنسي المدعو دفيد.

وفي يوم 7 مارس 1944 تم تنفيذ حكم الإعدام في أربعة شبان من مدينة الرباط وهم **المختار بن المكي جزوليت**، و**العربي الشاوي**، ومحمد **الغمراوي** و**محمد الصحراوي**.(24)



المختار جزوليت

وشهدت مدينة فاس غليانا شعبيا دمويا استمر حوالي أسبوعين فمدينة فاس كانت تمثل المركز الرئيسي للطبقة التجارية التي خَرجت من صفوفها قيادة الحركة الوطنية، وكانت تحتضن فئات واسعة من الصناع التقليديين وأكبر عدد

24 – معنينو، ذكريات، م. س. ج3. ص 119، وكذلك الجراري، أعلام الفكر المعاصر، ج2. ص 461، الرباط 1969.

من الطلبة المنتسبين إلى جامعة القرويين.

وعندما بدأت المظاهرات يوم 31 يناير 1944 كان الجيش الفرنسي مستعدا لإطلاق النار. فسقط في حي الشماعين عدد من القتلى كان من بينهم الحسن العلوي، المتيوي، الصنهاجي، السيدة كبور المنكاد، العربي الكغاط، عبد العزيز بوطالب، العربي كعيوط، محمد بناني، عبد العالي الصقلي، محمد الجامعي، محمد بن سكسو، محمد الدمناتي، محمد الجاي.

وهكذا فإن عشرات الشهداء ظلوا مجهولين بسبب عدم تدوين أسمائهم في حينها.

ومنع الجيش الفرنسي دفن القتلى في مقبرة الحمراء وانتزع الجثث من المشيعين ونقلها إلى مسجد الأندلس. وفي الليل تسلق أشخاص السطوح ونزلوا إلى المسجد وحملوا الشهداء ودفنوهم في حفرة جماعية بمقبرة خاصة بعائلة العراقيين في حي واد الحريقي. والمعتقد أن يكون الجنود الذين كانوا يحرسون المسجد من الخارج قد أغمضوا أعينهم عما كان يجري فوق السطوح مادامت عملية النقل والدفن تمت ليلا في سرية كاملة لا تمثل تهديدا للأمن.

ولكي يجعل حدا للإضراب، استدعى **(الجنرال سوفران)** الحاكم العسكري عددا من علماء المدينة [25] وأمرهم بالضغط على السكان لإنهاء الإضراب وإلا فإنه سيطلق جنوده **ليهتكوا أعراض الفاسيات**. وتمكن الجنرال الفرنسي من وضع الأصبع على النقطة الحساسة التي تشغل عقل الأرستقراطية الدينية. وتوقف الإضراب والإحتجاجات في اليوم التالي 15 – 2 – 1944.[26]

وأسفر أسبوعان من العنف عن مقتل أربعين شخصا وجرح مائة والحكم على أربعمائة وخمسين بالسجن.[27]

25 – أنظر أسماءهم في مذكرات حياة وجهاد ج6، ص 145.

26 – غلاب، تاريخ الحركة الوطنية، م. س. ص 329.

27 – Georges Spillman, du Protectorat à l'indépendance, Maroc 1912–1955, Plon, Paris 1967, P. 118.

ويقول الفاسي أن عدد القتلى بلغ ستين والجرحى مائة، وصدر الحكم بالإعدام على عشرين مات منهم خمسة تحت التعذيب في سجن القنيطرة، وتحول حكم الإعدام بالنسبة للباقين إلى السجن المؤبد.[28]

وجرت مظاهرات أخرى في مدن القنيطرة والدار البيضاء ومراكش ووجدة، وكانت أقل عددا من ناحية المشاركين فيها، ونتجت عنها اعتقالات قدرتها الأوساط الرسمية بألفين في مجموع المغرب.

والحقيقة أن الظروف الموضوعية للثورة على الاستعمار نضجت بالمدن، في يناير 1944، غير أن الشروط الذاتية لم تكن في مستوى الوضعية الثورية. وكان لابد من انتظار عقد آخر من الزمن لتظهر قيادات شابة قادرة على حمل البندقية ورسم طريق الخلاص للجماهير.

تزوير في لائحة الموقعين على وثيقة الاستقلال

وقع اختلاف في عدد الموقعين على وثيقة المطالبة بالإستقلال، وكان صاحب كتاب «**الوطنية المغربية**» الفرنسي المقيم بالمغرب أول من أعطى رقم 58 ونقله عنه آخرون ممن تناولوا الموضوع.[29]

وبعد إعلان الإستقلال ظهر في نشرات حزب الإستقلال رقم 66 إسما. وكلا الرقمين غير صحيحين حسب **عبد الله إبراهيم** الذي أكد لي أن الرقم الحقيقي للموقعين أقل من ثلاثين.[30] وهذا ما اعترف به **عبد الكبير الفاسي** في نهاية الثمانينات حينما صرح أن اللائحة لم تكن مضبوطة التوقيعات بحيث كان هناك من وقعها ولم يظهر إسمه مثل العربي بن عمور والإخوان السبتي وأحمد بوعياد. وهناك آخرون لم يوقعوها إلا بعد تقديمها للمسؤولين. وأعطى مثلا **بأخته مليكة الفاسي** التي يقدمها حزب الإستقلال كأول إمرأة وقعتها، ولا يقول أن التوقيع حدث بعد فترة زمنية على تقديمها للجهات المعنية. وإنصافا

28 – علال الفاسي، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، ص 265

29 – Robert Rézette, le nationalisme marocains, op. cit. P. 65

30 –حديث مع عبد الله إبراهيم بالدار البيضاء في 14 – 4 – 1986.

للحقيقة التاريخية فإن طالبات بمختلف المدن وقعن أيضا على نسخة من الوثيقة وقدمنها إلى القصر الملكي تأييدا للمطالبة بالإستقلال.[31]

ويتضح من شهادة عبد الله إبراهيم وعبد الكبير الفاسي أن الوثيقة لم تكن بمنأى عن التحريف والتزوير مثلها مثل كل ما يتعلق بتاريخ الحركة الوطنية.

فالبعض تم تسجيل أسمائهم على الوثيقة بعد مرور مدة على تقديمها، في حين أن مئات النساء والرجال أتوا إلى الرباط من مختلف المدن وقدموها للقصر الملكي وإلى الإقامة الفرنسية العامة يعلنون فيها تأييدهم لمطلب الإستقلال. **فكيف يعطى الإمتياز لأشخاص وقعوها متأخرين ولا يحظى بنفس المعاملة الذين وقعوها، وينتمون إلى مختلف المهن والفئات الاجتماعية ومن بينهم من شاركوا في المظاهرات ووهبوا أرواحهم فداء للاستقلال الوطني** ؟[32]

إن حزب الاستقلال أراد أن يجعل من **المطالبة بالاستقلال منتهى الكفاح وقمة التضحية، وكل ما سبقها وجاء بعدها من مقاومة وتضحيات وشهداء فهو شيء ثانوي.** وفي إطار هذا التعصب الحزبي المقيت تدخل أساطير وشعوذة طرقية في تفسير أحداث التاريخ. فقد روى أبوبكر القادري أن «**الشباب أخذوا دما من أجسادهم فكتبوا به تأييدهم لوثيقة المطالبة بالإستقلال.**»[33]

وكما وقع من تحريف في عدد الموقعين الاستقلاليين، فقد تكرر مثله عند القوميين. وكشف أحد القياديين في الحزب أن مسؤولا أضاف ستة أسماء إلى نص الوثيقة التي حملت توقيعات أعضاء «**الحركة القومية**»[34]

31 – حديث عبد الكبير الفاسي في جريدة العلم بتاريخ 10 يناير 1988.

32 –في حديث مع المقاوم امحمد بن عبد الله أن اثنين من رفاقه النساجين (درَّزَا) قتلوا في مظاهرات فاس وكانوا من الموقعين على وثيقة الاستقلال. مقابلة بالدار البيضاء بتاريخ 19 – 11 – 1988.

33 – أبو بكر القادري، جريدة العلم 17 – 2 – 1993

34 – أحمد معنينو، مذكرات وذكريات، ج3، 118

الموقعون الاستقلاليون

التجار	الملاكون	الموظفون	القضاة	رجال التعليم	الصحفيون	المجموع
11	5	9	9	27	5	66

36 منهم من مواليد مدينة فاس. و 13 بالرباط و 7 بسلا. ومجموع العدد 56 يمثلون فاس – الرباط – سلا. وأغلبهم منحدرون من أصول أندلسية والمعروفون شعبيا باسم «**الفاسيين**». والعشرة الباقون موزعون على باقي المدن.

ولا يوجد من بين الموقعين على وثيقة حزب الاستقلال الرسمية لا ممثل عن العمال ولا عن الفلاحين المزارعين ولا عن الطلبة.

أما الموقعون على وثيقة «**الحركة القومية**» فقد بلغوا 26 :

التجار	الملاكون	رجال التعليم	القضاة	المجموع
5	7	13	1	26

وظل **حزب الإصلاح** الوطني في تطوان صامتا ولم يعبر عن رأيه إلا بعد مرور شهر كامل على ما جرى من أحداث واعتقالات. ففي يوم 29 يبراير 1944 أصدر بلاغا أعلن فيه تأييده لحزب الاستقلال في مطالبته العادلة. والتمس من الملك أن يدافع عن وحدة المغرب بجميع مناطقه وحدوده وأن يستنكر الاستعمار «**استنكارا عاما لا فرق بين فرنسي وإسباني**» (35)

ويتضح من صيغة البلاغ أن قادة حزب الإصلاح الوطني بالشمال وجهوا اللوم إلى حزب الاستقلال الذي أغفل في وثيقة المطالبة بالاستقلال ذكر الاستعمار الاسباني بالاسم، واكتفى بالمطالبة باستقلال المنطقة الخاضعة للاستعمار الفرنسي.

أما **الحزب الشيوعي المغربي** فقد كان موقفه منذ بداية الحرب العالمية الثانية وهزيمة فرنسا في يونيو 1940، هو الدعوة إلى تقوية «**المجهود الحربي لتحرير فرنسا**» وحاول **المهدي بن بركة** وعبد **الرحيم بوعبيد** جسَّ نبض القادة الشيوعيين الفرنسيين بخصوص

35 – نص البلاغ في جريدة العلم بتاريخ 10 – 01 – 1988

منح الاستقلال للمغرب. فالتقيا في الرباط بعضوين بارزين في قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي وهما **بول مارتي وجاك كريزا**، وسألاهما عن موقفهما من استقلال المغرب. فأجابا :

- إن منح المغرب الاستقلال سيكون خدعة وسيؤدي إلى إحلال الحماية الأمريكية مكان الحماية الفرنسية. (36)

وبعد تقديم وثيقة المطالبة بالإستقلال، أصدر الحزب الشيوعي المغربي يوم 14 يناير 1944 بيانا جاء فيه «**إن الحزب الشيوعي المغربي يعلن بكل قوة أن لا مصلحة للشعب المغربي في فك التضامن مع الشعب الفرنسي، ويدعو إلى الاتحاد أمام الإستفزازات.**»

ولم يكن الحزب الشيوعي المغربي يرى في المطالبة بالحرية والإستقلال سوى الاستفزاز «**أمام الإستفزاز يدعو الحزب الشيوعي إلى الإتحاد، إتحاد فوق الدسائس التي تستهدف الشعب المغربي والشعب الفرنسي المتضامنين أخويا من أجل تحرير فرنسا.**» (37)

لقد أصاب الشيوعيين الفرنسيين، ومعهم رفاقهم المغاربة، مرض الشوفينية القومية، وأعلنوا أن تحرير المغرب مشروط بتحرير فرنسا من النازية. وطلبوا من الشعب الذي يعاني الاضطهاد الاستعماري تأجيل المطالبة بحقه في الاستقلال إلى أن يتحرر الشعب الذي يستعمره. وتناسوا المقولة الماركسية الشهيرة «**الشعب الذي يستعبد شعبا آخر، ليس شعبا حرا.**»

وشدد الحزب الشيوعي في بيانه على نبذ ما يعتبره مغامرة :

«**إن الحزب الشيوعي المغربي يندد أمام الرأي العام بسياسة المغامرة الموجهة ضد الديمقراطية لصالح الرجعية الفاشية، وضد فرنسا لصالح العدو...**» (38)

وذهب الكاتب العام للحزب الشيوعي المغربي **ليون سلطان**

---

36 – Georges Oved, la gauche française et le nationalisme marocain T. II, Paris 1984, P. 208.

37 – Ibid, P. 209

38 – Ibid, P. 208

وهو يهودي جزائري، إلى توقيع ملتمس مع باقي الأحزاب الفرنسية بالمغرب يطالب بإنزال العقاب الصارم بالزعماء الوطنيين المطالبين بالاستقلال.[39]

وبقي الشيوعيون المغاربة أسرى الإملاءات السياسية لرفاقهم الشيوعيين الفرنسيين، ولم تظهر في بياناتهم كلمة «**الإستقلال**» إلا في يوم 4 غشت 1946 وبشكل مبهم حيث وردت مدموجة في طلب إنشاء جمعية وطنية وحكومة مغربية في ظل الإدارة الفرنسية.[40]

ولم يتخل الشيوعيون عن شن حملات هوجاء على الوطنيين، ورفضوا دائما التضامن مع القضايا العربية التي كان لها تأثير بالغ في نفوس المسلمين المغاربة خاصة قضية فلسطين.

39 – Robert Rézette, les Partis, op. cit. P. 166

40 – Albert Ayache, le Maroc, Bilan d'une colonisation, Paris 1956. P. 347



الفصل الحادي عشر

البورجوازية سرقت مكاسب الإستقلال والشعب ضحية الوعود الكاذبة

كان التحريض السياسي في مواجهة الاستعمار يقوم على وعود خيالية تبشر بها قيادة الحركة الوطنية البورجوازية. وحدد الزعيم علال الفاسي تلك الوعود في «**سن قوانين إجتماعية من أجل رفع المستوى المادي والخلقي للجمهور المغربي، وتحسين حالة العمال في المدن والقرى، وإعطاء الكل تربية حقيقية وإنشاءهم على الأسس التي تشعرهم بالكرامة والحرمة الإنسانية.**». [1]

وفي الخلايا الحزبية كان المسيرون يُبشرون بالمستقبل المشرق والعيش الرغيد. فبعد رحيل الإستعمار سيتلقى كل مواطن عشرة فرنكات يوميا دون أن يمارس أي عمل، وسينال نصيبه من مبيعات الفوسفاط، وحتى أموال الخزينة ستوزع بالتساوي على جميع المواطنين، وتعود الأراضي المغتصبة إلى أصحابها.

تلك كانت الوعود الماكرة التي كنا نسمعها من بعض مسيري حزب الإستقلال أثناء اجتماعات الخلايا الطلابية في الخمسينات من القرن الماضي.

وجسَّد اعتراف فرنسا يوم 2 مارس وإسبانيا يوم 7 أبريل 1956 بالإستقلال المغشوش، مناسبة تفجرت فيها العواطف الجياشة في الشوارع والبيوت، واختلطت فيها هيستيرية الحشود العائمة بفرحة

1 – علال الفاسي، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، دار الطباعة المغربية تطوان بدون تاريخ ص 253.

الجماهير الواعية، ودخل الجميع في انتشاء روحاني.[2]
واستيقظ الجميع على وقع الصراعات والمشاحنات حول كراسي السلطة. وترأس أول حكومة مبارك البكاي الضابط السابق في الجيش الفرنسي. وقامت كمشة من أعوان الدولة بتأسيس **حزب الأحرار المستقلين** ولم يتجاوز حضوره أسوار مدينة الرباط وباتفاق مع حزب الشورى والاستقلال والحركة الشعبية، قدموا إلى **الملك محمد الخامس** رسالة انتقدوا فيها عمل وزراء حزب الإستقلال، فتضامن معهم البكاي رئيس الحكومة. وهو ما أدى بحزب الإستقلال إلى سحب وزرائه، وسقطت الحكومة برمتها. وتمكن القصر من شق صفوف حزب الإستقلال وعين أمينه العام **أحمد بلا فريج** رئيسا للحكومة. وكان رد يسار الحزب عنيفا ضد الجناح اليميني الموجود في الحكومة. وبداية من يوليوز 1958 اشتعلت في مجموع المدن إضرابات عمالية طرحت مطالب متعددة لتحسين أوضاع الشغيلة. وقدم **عبد الرحيم بوعبيد** وزير الاقتصاد والمالية استقالته من حكومة بلا فريج، وفي تصريح له استنكر «**القوة الخفية**» التي تعرقل كل عمل جاد، وقدمت الحكومة استقالتها.

وفي شبه مخطط محبوك لتجريد حزب الاستقلال من كل مصداقية، تم تكليف **علال الفاسي** بتشكيل الحكومة، وأفشل مهمته بعض أصدقائه المقربين من **ولي العهد مولاي الحسن**.

ولإتمام اللائحة وقع التوجه نحو الجناح اليساري للحزب وتم إسناد تشكيل الحكومة إلى **مولاي عبد الله إبراهيم** المرتبط بالمقاومة وبالطبقة العاملة المتمثلة في الاتحاد المغربي للشغل وبالاتحاد الوطني لطلبة المغرب.

---

2 – تفاصيل مرحلة الكفاح السياسي والمقاومة المسلحة في كتابنا «كفاح المغاربة في سبيل الإستقلال والديمقراطية 1953 – 1973. الدار البيضاء 2004». يحتوي الكتاب على 516 صفحة 198 صورة، 20 وثيقة غميسة مع نصوص بالفرنسية.

حكومة عبد الله إبراهيم ضد هيمنة الاستعمار الجديد


عبدالله ابراهيم سنة 1950

بمجرد الإعلان عن تكوين حكومة عبد اللّٰه إبراهيم يوم 24 - 12 - 1958، أقدمت الحكومة الفرنسية على تخفيض قيمة الفرنك الفرنسي، ونتجت عن ذلك أضرار كبيرة للإقتصاد المغربي، ومست القدرة الشرائية للمواطنين. وقام **عبد الرحيم بوعبيد** وزير المالية بفصل العملة المغربية عن الفرنك الفرنسي. وجاء مكانه الدرهم.

وقبل سنة من ذلك أعلن **عبد الرحيم** أمام المجلس الاستشاري الذي كان يرأسه **المهدي بن بركة**، أن 204 من المعامل المملوكة للفرنسيين طردت 9.370 من العمال، وأن ثمانين بالمائة من تلك المعامل أغلقت أبوابها بصفة نهائية.[3]

وقامت الحكومة بتأميم البنك المخزني الذي كان خاضعا للقوى المالية الأجنبية.[4]

وعارضت بورجوازية حزب الاستقلال والموالون لفرنسا واسبانيا تلك التدابير التي كانت تهدف إلى التحرر الاقتصادي، وكانوا أدوات بيد الأجانب لتخريب الاقتصاد الوطني.

وواجهت حكومة **عبد اللّٰه إبراهيم** تلك التهجمات بتسريع وتيرة الإصلاحات. وأسست صندوق التوفير الوطني لتشجيع الادخار، وبعده مكتب الدراسات والمساهمات الصناعية، ومكتب الأبحاث والمساهمات

---

3 - جريدة «العلم» الرباط في يوم 4 - 12 - 1957.

4 - جريدة «الرأي العام» الدار البيضاء، يوم 25 - 12 - 1959.

المعدنية، والشركة المغربية لصناعة السيارات، ووضعت اللبنة الأولى لتأسيس مصفاة البترول بالمحمدية بمساهمة شركة إيطالية. وأعدت مشروعا لتشييد مصنع الصلب والفولاذ بمدينة الناضور، وتحت شعار الأرض لمن يحرثها استرجعت اثنين وأربعين ألف هكتار من الأراضي التي كان يسيطر عليها المعمرون، ووزعت منها ستة آلاف كدفعة أولى على الفلاحين الفقراء.[5]

وتأسست تعاونيات للفلاحين والمكتب الوطني للرأي بهدف سقي عشرين ألف هكتار سنويا في المناطق الجبلية والصحراوية.

وفي الميدان الاجتماعي تم إحداث **نظام الضمان الاجتماعي** لتأمين حياة الشغيلة، وضمان العلاج من الأمراض والحمل والشيخوخة وحوادث الشغل. ووقعت الزيادة في الأجور العائلية وإقرار التوازن بين الزيادة في الأسعار وبين الأجور، وباستفادة العائلة عن كل ستة أطفال بمبلغ 1.600 فرنك.[6]

وفي مجال التعليم كان عدد الأطفال المتمدرسين في آخر عهد الحماية **عشرة بالمائة** فقط فارتفع عددهم إلى **أربعين بالمائة** سنة 1959.

وشهدت سنة 1959 تأسيس الجامعة المغربية وهيكلتها القانونية والإدارية، ومدرسة المهندسين، والمدرسة التطبيقية للطب بالدار البيضاء، والمجلس الأعلى لهيئة الأطباء، وبذلك وضعت الحكومة التقدمية البنيات الأساسية للثقافة.

نحن هنا باقون فليرحل عبد الله إبراهيم !

أثناء مزاولة حكومة **عبد الله إبراهيم** لمهامها، كانت دواليب الإدارة المغربية خاضعة لتسيير الفرنسيين والإسبانيين وكانوا يعرقلون نشاطها ويرفضون تطبيق برامجها، ويخربون المجهودات التي تبذلها

5 – جريدة« التحرير» الدار البيضاء في يوم 25 – 11 – 1959.

6 – الجريدة الرسمية، 23 – 10 – 1959

أقلية من الوطنيين المغاربة.

وبلغت النذالة بالمعمرين الفرنسيين إلى رفع دعوى أمام المحكمة الفرنسية بالقنيطرة ضد رئيس الحكومة **عبد الله إبراهيم**، بتهمة مصادرة أراضيهم التي اغتصبوها من الفلاحين المغاربة.



المعمر اغتصب الأرض وأرغم الفلاحين على الاشتغال لحسابه

وأظهر القاضي الفرنسي وقاحة متناهية حينما وجه استدعاء إلى رئيس الحكومة للحضور إلى المحكمة باعتباره معتديا على المعمرين.

فأصدر **مولاي عبد الله إبراهيم** قرارا يمهل القضاة الفرنسيين بالقنيطرة أربعا وعشرين ساعة لمغادرة المغرب وإلا استهدفوا للاعتقال لأن ما قاموا به يتنافى مع السيادة المغربية. فما كان منهم إلا أن غادروا المغرب. (7)

ولعرقلة نشاط الحكومة شن الصحفيون والتقنيون الفرنسيون إضرابا عاما بالإذاعة المغربية، فقامت الحكومة بطردهم من العمل. وتكلفت جماعة قليلة من التقنيين والمثقفين المغاربة بتسييرها، وكان على رأسهم الدكتور **المهدي المنجرة**.

---

7 – محمد الحبيب محي، عبد الله إبراهيم من خلال بعض ما تميز به بين معاصريه من رموز الوطنية والسياسة وأعلام المعرفة والثقافة. يوسف للطباعة مراكش 2008، ص 147..

وكان ولي العهد **مولاي الحسن** قائدا أعلى للقوات المسلحة الملكية، فقام بتعيين ضابط فرنسي مستشارا في القيادة العليا للجيش الملكي، فاعترض الرئيس **عبد اللّه إبراهيم** على ذلك التعيين. وأعلن في مجلس وزاري يوم 3 مايو 1960 عزمه على تطهير الجيش الملكي وجهاز الشرطة من الفرنسيين الذين كانوا يعملون تحت غطاء «**الفنيين**» ومعظمهم شاركوا في قتل وتعذيب المكافحين المغاربة من أجل الاستقلال.

ونفذ صبر المستعمرين وحلفاءهم المغاربة، وطلع المسؤول عن إدارة الأمن بالدار البيضاء وكان من غلاة الجلادين المتغطرسين ليقول:

- **لن نذهب. نحن هنا باقون والحكومة هي التي سترحل!**

وفي خلال عشرين يوما تمت إقالة حكومة **عبد اللّه إبراهيم** الوطنية يوم 24 مايو 1960، وهو الذي قال يوما «**تبًا لانحناءات التمجيد**» وكان هو الوزير الأول والأخير الذي رفض التعليمات الفوقية ومارس مهامه بشكل مستقل. وجميع الحكومات التي جاءت من بعده كانت تابعة للديوان الملكي، والوزراء مجرد موظفين ينفذون الأوامر الصادرة إليهم، **وبالمقابل كانت لهم حرية الإثراء غير المشروع على حساب الجماهير الجائعة.**

تجويع الفقراء وتسمين الأغنياء

بدا واضحا بعد الموت المفاجئ للملك الوطني **محمد الخامس** يوم 26 - 2 - 1961، أن الإتجاه العام كان يسير نحو احتكار السلطة لخدمة مصالح الطبقة البورجوازية والإقطاعية الزراعية وتوثيق العلاقة مع الإستعمار الجديد.

لقد تم دفع تعويضات مالية كبيرة للمعمرين لكي يتخلوا عن الضيعات التي كانوا يحتلونها، وهذا ما رفضت حكومة **عبد الله إبراهيم** القيام به. وجرى توزيع الأراضي المسترجعة بأموال الشعب على الإقطاعيين والبورجوازية والبيروقراطية الإدارية والعسكرية.

وفي سنة 1969 صدر قانون الإستثمارات الفلاحية يعفي الملاكين العقاريين من أداء الضرائب ومن الرسوم على المعدات والتجهيزات الفلاحية، وتزويدهم بالبذور والأسمدة وماء السقي بالمجان. وفي ذات الآن قصمت الضرائب الثقيلة ظهور صغار الفلاحين الذين تخلى المئات منهم عن أراضيهم مقابل أثمان زهيدة وهاجروا إلى المدن بحثا عن وسائل للعيش. وفي بعض المناطق تمسك الفلاحون بأراضيهم ورفضوا تأدية الضرائب الفاحشة، ودخلوا في مواجهات مع القوات الحكومية التي **أطلقت عليهم الرصاص** في آيت زليطن وتسلطانت وأولاد خليفة وسطات.

وكانت **لغة القتل هو الجواب على مطالب السكان، والهجوم على بيوتهم ونهب أرزاقهم وهتك أعراض نسائهم** كما وقع في سطات حيث أرسل الإتحاد الوطني لجنة برئاسة الطبيب الدكتور **محمد بن المختار**، ووقفت في عين المكان على الفظائع التي ذهب ضحيتها نساء الشعب، وتم اغتصاب فتاة مراهقة. وصدر عدد خاص من جريدة «**التحرير**» يفضح تلك الجرائم وأرسل الاتحاد الوطني برقيات إلى منظمات حقوق الإنسان في أوربا وأمريكا واعتبر الحكم المطلق اللجوء إلى المنظمات الدولية «**مساً بسمعة الدولة**» وضاعف القمع في حق المناضلين الاتحاديين.

وفي سنة 1965 تغير إسم المكتب الشريف للصادرات الذي أسسته فرنسا عام 1932 إلى «**مكتب التسويق والتصدير**»، واحتكر تصدير الحوامض والبواكر والمصبرات النباتية والخمور. وكانت الأسبقية في التصدير لمنتوجات الكبار المحيطين بجهاز السلطة. وعمل المسؤولون على جعل الإنتاج الزراعي المغربي مكملا لحاجيات السوق الفرنسية. وللزيادة في تفقير

الشعب فوتت الدولة للمحظوظين المغاربة والأجانب عقارات وشركات عمومية بدرهم رمزي وأعفتهم من أداء الضرائب. وتمَّت تلك التدابير غير العادلة تحت شعار «**إغناء الفقير دون تفقير الغني**». وكان الهدف الحقيقي هو «**تجويع الفقراء وتسمين الأغنياء**».

وتسببت سياسة الحكم الطبقي في خراب الإقتصاد الوطني، فلا فلاحة ولا صناعة مما اضطر البلاد إلى الإعتماد في قوتها اليومي على استيراد الحبوب والمواد الاستهلاكية من الخارج.

جهاز الأمن طاحونة لسحق المغاربة
إلقاء المعارضين من الطائرات في قاع البحر

في العهد السابق عوَض أن تعمل الدولة على إخضاع الطبيعة بوسائل السقي وتطويع الأرض بتَصنيع الزراعة وجعلها تنتج أكثر لتستوعب آلاف العاطلين، وبنشر التعليم والثقافة لبناء المجتمع الحضاري المزدهر، سخرت جميع وسائلها القمعية العسكرية والدينية والاقتصادية لإخضاع المغاربة، وجهَّزت عصابات من الجلادين وسفاكي الدماء لإبادة المواطنين المخلصين والمثقفين التقدميين. وفي نفس الوقت عمل النظام الإستبدادي على تنظيم قاعدته الاجتماعية، **وألغى العقوبات التي صدرت على عدد من الخونة أثناء حكم الملك الوطني محمد الخامس، وأعاد إلى مائة وتسعة وسبعين خائنا الأملاك التي انتزعت منهم بموجب الحكم الصادر عليهم سنة 1958. ورجع الهاربون منهم إلى المغرب وباعوا ما شاؤوا من الأملاك، وأخرجوا الأموال بالعملة الأجنبية وعادوا إلى منفاهم بفرنسا.**

وأصبحت مختلف الإدارات والمؤسسات والشركات العمومية تحت تصرف عملاء الاستعمار وأبناءهم المتخرجين من مدارس الاحتلال الفرنسي والإسباني، ووصف علال الفاسي تلك السياسة المعادية للشعب بأنها «**قضية انبعاث جديد للاستعمار واستيلاءه بواسطة العملاء على مراكز المسؤولية في الدولة**».[1]

ففي يوم 12 يوليوز 1960 تم تعيين **محمد أوفقير** مديرا للأمن الوطني وكان ضابطا في الجيش الفرنسي شارك في الحرب الاستعمارية ضد حركة التحرير الوطني في الفيتنام وفي المغرب، وكان مكلفا بحراسة **بن عرفة** الذي نصبته فرنسا سلطانا بعد نفي الملك **محمد الخامس** في 20 غشت 1953.

وفي سنة 1964 أسندت إليه وزارة الداخلية واتصف بالقساوة والمذابح. وكان دمويا سَادِيًا يتفنن في تعذيب ضحاياه قبل أن يقتلهم. وجمع

1 – علال الفاسي، وضعية المغرب، تقرير مقدم للجنة المركزية لحزب الاستقلال يومي 13 و 14 أبريل 1963 بالرباط، ص 13.

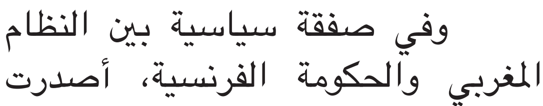
حوله طائفة من السفاحين شارك كثيرون منهم في التنكيل بالمقاومين والوطنيين المكافحين من أجل الاستقلال.

وظهرت «**الفرقة الخاصة**» برآسة ضابط صغير إسمه **أحمد الدليمي** الذي ارتقى فيما بعد إلى رتبة جنرال مكافأة له على الجرائم التي ارتكبها في حق المعارضين. وكان أعضاء فرقته يعتدون في واضحة النهار على المقاومين والأعضاء النشيطين في **الإتحاد الوطني للقوات الشعبية**. واختطفوا العشرات من المقاومين وقتلوهم ودفنوهم في أماكن مجهولة، ومن بينهم **بلعيد بن أحمد** رفيق الزرقطوني وأحد مؤسسي المقاومة المسلحة للإستعمار، **ومحمد بولحية** من قادة جيش التحرير، **والمدني بن محمد** المقاوم البارز، والمثقف التقدمي **محمد بن الجيلالي** المدعو (ميشيل الحريزي). وتجاوز عدد المقاومين المختطفين المجهولي المصير خمسة وثلاثين، يضاف إليهم ستة قتلوا وألقيت جثتهم في الشارع، وأربعة وأربعين نفذ فيهم حكم الإعدام بعد محاكمات صورية وبِتُهَمٍ في معظمها ملفقة.



المهدي بن بركة شهيد الديمقراطية

وتعدت جرائم الاختطافات والقتل حدود المغرب إلى الجزائر وتونس وفرنسا. وفي يوم 29 - 10 - 1965 جرت في قلب مدينة باريس عملية اختطاف وقتل المثقف الثوري **المهدي بن بركة** والقائد البارز في الإتحاد الوطني للقوات الشعبية وانكشفت المشاركة الفعلية لعناصر في الشرطة الفرنسية، ولثلاثة من الصهاينة عملاء لجهاز المخابرات الإسرائيلية.[2]



وفي صفقة سياسية بين النظام المغربي والحكومة الفرنسية، أصدرت

2 – Cahier du Témoignage chrétien n° 54, comité pour la vérité sur l'affaire Ben Barka, la mort de Mehdi Ben Barka. Un dossier à rouvrir. Paris, 1973, p. 51.

محكمة باريس الحكم بالسجن المؤبد على **أوفقير** وبرَّأت ساحة **الدليمي**، وأغلقت في الصناديق الحديدية على الوثائق المتعلقة باختفاء جثة المناضل بن بركة.

وواصل أوفقير والدليمي وغيرهما أعمال الإرهاب والقتل بإرسال الطرود الملغومة لتنفجر في صدور المناضلين الإتحاديين، والهدف كان إسكات أصوات المعارضين وإدخالهم في صف عبيد السلطة الطائعين. **وعلى الرغم من مرور أكثر من نصف قرن على تلك الجرائم المرعبة فإن أقلام الإرتزاق لا تزال في يومنا هذا تضع المجرمين والضحايا في سلة واحدة، وتلقي بالمسؤولية على المظلومين الملتزمين بقضية الشعب المقهور.**

فالباحث وهو يتصفح أعداد الجريدة اليومية «**التحرير**» والأسبوعية «**المحرر**» لن يعثر فيهما سوى على شعار واحد «**الحل الوحيد إعطاء الكلمة للشعب**». ولم يرد فيهما أبدا مطلب «**الشعب يريد إسقاط النظام وإقامة الجمهورية**.»

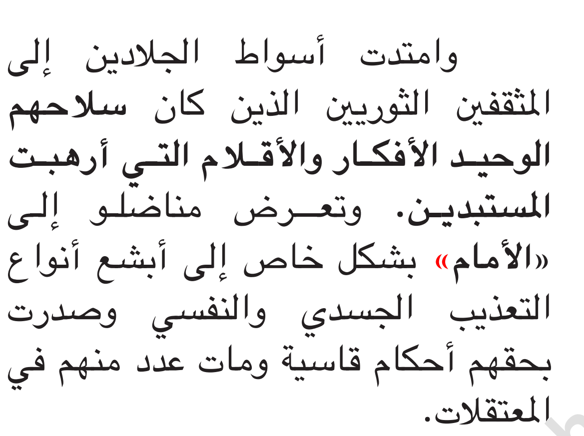
إلا أن شراسة القمع وتغوُّل الأجهزة العسكرية والبوليسية وإمعانها في إبادة أجساد وأفكار النخبة التقدمية، دفعت المئآت من شباب الإتحاد الوطني إلى الإقتناع بضرورة الرد على جرائم النظام بالحرب الثورية. **إذ لم يعد ممكنا، أمام إنعدام أية إمكانية للعمل السلمي في غياب الحريات العامة، أن يبقى المناضلون يتعرضون للذبح مثل الخرفان**. فالخنوع والركوع والإستسلام من شيَّمِ الجبناء.

لقد عزم المكافحون وعدد منهم شاركوا في المقاومة المسلحة في سبيل الحرية والإستقلال، على ممارسة العنف الثوري بقيادة **الفقيه محمد البصري**، ونتجت عن ذلك أخطاء جسيمة بسبب عدم الانضباط وضعف التنظيمات السرية واستفحال الصراعات الذاتية. واستغل النظام تلك الأوضاع وعمَّمَ القمع بنشر الخوف في المدن والبوادي خاصة بعد فشل الانتفاضة المسلحة التي قادها المثقف والمهندس **محمد بنونة** في شهر مارس 1973 بمنطقة مولاي بوعزة في الأطلس

المتوسط.



الفقيه محمد البصري



وامتدت أسواط الجلادين إلى المثقفين الثوريين الذين كان **سلاحهم الوحيد الأفكار والأقلام التي أرهبت المستبدين.** وتعرض مناضلو إلى «**الأمام**» بشكل خاص إلى أبشع أنواع التعذيب الجسدي والنفسي وصدرت بحقهم أحكام قاسية ومات عدد منهم في المعتقلات.

واستأسد السفهاء **فعذبوا وقتلوا وسرقوا الأموال وارتكبوا الفواحش.** ومن الذكريات المحزنة التي كانت تؤرق **الفقيه محمد الحبيب الفرقاني**، وهو من علماء كلية بن يوسف بمراكش، أن زبانية التعذيب علقوه عاريا وأطلقوا في جسده الصعقات الكهربائية، وكان يردد الآية : «**رَبَّنَا ءَامَنَّا فاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ.**»[3] فكان رئيس الجلادين يسب الرب والدين ويصرخ :

- **إعترف بأنكم تريدون قلب النظام.**

وحدثني أحد المناضلين اعتقل في السبعينات أن الجلادين كانوا يفاجؤون السجين في زنزانته **بإدخال زوجته أو أخته أو أمه وهي عارية تماما ويهددونه بهتك عرضها أمامه إذا لم يعترف.**

وكان الشيوخ والمقدمون يلصقون بالمواطن تهمة «**المس بالمقدسات**» كوسيلة لابتزازه ونهب أمواله وأحيانا لإرغامه على تقديم شرف زوجته أو إبنته للحكام العاهرين. فقد تعرفت على تفاصيل عمل إجرامي من هذا النوع بالدار البيضاء في نهاية الثمانينات حيث هاتفني صديق : **تعالى لتكتب قصة محزنة !**

وجدت عند الصديق في بيته واحدة من أجمل الصبايا لا يتعدى

---

3 - سورة المائدة، الآية 83.

عمرها ستة عشر سنة، وحكت لي مأساتها وعيناها تفيضان بالدموع فقالت إن الشيخ في إحدى قبائل الشاوية جاء وأخذ والدها إلى مكتب القائد الذي أمره بإحضار إبنته، وإذا رفض فإن «**قبره محفور**» ووجدت المراهقة نفسها في بيت يهودي معروف بالدار البيضاء، وخلال يومين زينوها وخضبوها بالحناء وألبسوها بذلة العروس، ونقلوها إلى إحدى الفيلات بالرباط. وفي آخر الليل دخل عليها رجل مخمور، وسألها هل تعرفه، فأجابت : لا، فقال لها : **أنا الجنرال الدليمي**. ثم عراها وفض بكارتها وانسحب. وفي الصباح أعادوها إلى الدار البيضاء، ووجدت أمام دار اليهودي الذي أهداها للجنرال العربيد، شخصين أخذاها بالقوة إلى مأخور للدعارة.

وبلغ المجرمون ذروة الوحشية عندما **قام أوفقير في يوليوز 1963 بإلقاء مناضلين إتحاديين ليلا من الطائرات المروحية في قاع البحر بعد أن أثقل أجسادهم بالحديد ليكونوا طعما في بطن الحوت**. ووقعت تلك الأعمال الهمجية في شواطئ مدن أكادير والدار البيضاء والرباط. وأكد **الفقيه البصري** حدوث تلك الجرائم بقوله : «**إنني أعرف حتى الضباط الذين كانوا يقومون بهذا العمل، بعضهم مات بالسرطان وبعضهم عاقبه اللّٰه في الدنيا قبل الآخرة بمختلف أشكال العقاب، ومازال بعضهم في المشهد إلى اليوم.**»[4]

وأدلى مسؤول صحراوي بشهادته أمام «**هيأة الإنصاف والمصالحة**» قال فيها إن ضابطا في الجيش المغربي ألقى بمعارضين صحراويين من الطائرة في قعر البحر.[5]

وكشف ضابط مغربي كان على خلاف شخصي مع الجنرال الدليمي، وهرب إلى فرنسا، أن **محمد بوعطار** الضابط في الجيش الملكي انتقم منه خصومه وألقوا به من طائرة في البحر بالمحيط

4 – محمد البصري الفقيه، كتاب العبرة والوفاء، منشورات مؤسسة محمد الزرقطوني، الدار البيضاء 2002، ص 123.

5 – هذه الشهادة نشرتها صحف مغربية في عام 2008.

الأطلسي في نهاية عام 1982.[6]

ومن سخرية الزمن أن **الملك الحسن الثاني** لم يسلم بدوره من خطر ضباطه الذين أدخلوا الرعب في نفوس المواطنين **وقتلوا خيرة أبناء الشعب واستباحوا شرف النساء واغتصبوا الرجال داخل الزنازن.** فقد تزعم السفاح **الجنرال أوفقير** محاولتين متتابعين في سنتي 71 – 1972 للقضاء على الملك، وأسفرتا عن مقتل المئآت من المدنيين والعسكريين في قصر الصخيرات وفي محيط الإذاعة بالرباط.

إن ضحايا الجرائم السياسية في العهد السابق يعدون بالمئآت والذين قتلوا أثناء المظاهرات في سنوات 1965، 1981، 1984، 1990. لا يمكن تقدير عددهم لأن معظمهم دُفنوا في مقابر جماعية سرية ولا تزال الوثائق الحكومية تتكتم حول مصَيرهم.

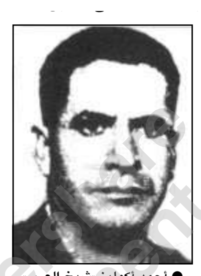
أما «**هيأة الإنصاف والمصالحة**» التي كان على رأسها شيوعيون سابقون، فإنها لم تكن تتوفر على أية وسيلة للوصول إلى الوثائق السرية، والمقابر التي تم الإعلان عن اكتشافها بالدار البيضاء وناحية مراكش وأكدز وتازمامارت، كان مصدرها **أجهزة السلطة التي أرادت إضفاء بعض المصداقية على هيأة تتمتع بتمويل ورعاية الدولة.** والتخلي عن النبش في ملف إختطاف **المهدي بن بركة** يؤكد محدودية الإرادة السياسية التي من شأنها أن تخلص المغرب من شريعة الغاب وتدخله في حركة التاريخ الإنساني.

---

6 – Mahjoub Tobji, les officiers de sa Majesté, les dérives des généraux marocains 1956 – 2006, Fayad, Paris, 2006, P. 158.

وهذه صور بعض المقاومين والمثقفين الثوريين الذين قتلتهم أجهزة الحكم الإستبدادي


● بنحمو الفاخري

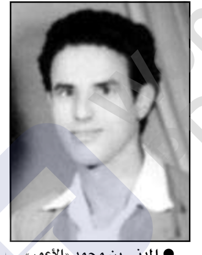

● أحمد أكوليز «شيخ العرب»


● محمد بنونة «محمود»

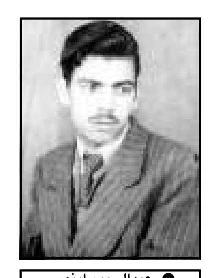

● ادا بلعيد بن أحمد

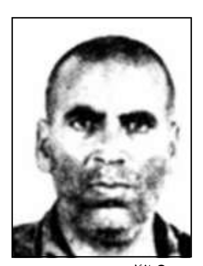

● التهاني أمين


● محمد بولحية

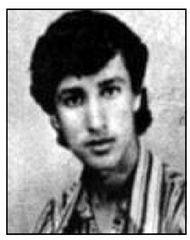

● المدني بن محمد «الأعور»

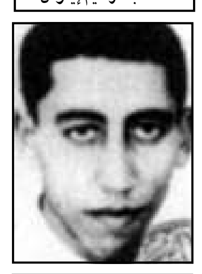

● محمد بن الجيلالي (ميشيل لحريزي)


● عبدالرحيم إينوس


● الأشهب محمد سجيد


● مولاي الشافعي


● محمد كرينة


● محمد بن الحسين «صبري»


● عبدالحق الرويسي


● الحسين المانوزي


● محمد أسكور «كاسترو»



● محمد حسن الإدريسي ● بارو أمبارك ● بلقاسم وزان ● إبراهيم التزنيتي «النمري»

● أجدايني مصطفى ● موحى نايت بري ● عبداللطيف زروال ● عمر الوسولي

● بوجمعة جناح ● المهتدي محمد ● لحسن بابوش ● عبدالله الزناكي

● دحمان نايت غريس ● لحسن تاغجيجت ● عمر دهكون ● آيت عمي لحسن

● عبدالإله «فريكس» ● ميري بوجمعة ● عبدالله محزون ● لحسن آيت زايد

الأحزاب السياسية والإستبداد بإسم الديمقراطية

تاريخيا دام المغاربةُ «رعايا» ولم يظهر مفهوم «المواطنين» في صحف المعارضة السياسية إلا في الستينات من القرن الماضي.

وبحكم العادة والتَّعوُّد، أضحت ثقافة الأوامر جزءا من مجموع العلاقات الإجتماعية، وطبيعة ثانية في سلوك الناس اليومي في البيت والمدرسة والشارع.

فالعقول تعطلت، والعقليات تحجَّرت، والقيَّم اندحرت، وعَمَّ الفساد جميع مرافق الحياة من إدارة ومحاماة وقضاء وتعليم وطب وهندسة وتجارة وصحافة وانتشر النِفاق الديني والاجتماعي في أوساط العامة والمثقفين، وساد الكذب والغش والغدر، وغرق الجميع، باستثناء الأقلية المستقيمة، في مستنقعات الانحطاط الأخلاقي، واستولت على مراكز السلطة زُمْرُة من الموظفين المستبدين والمتملقين والمخادعين، وانطبق على المغاربة الحديث النبوي الشريف «كما تكونوا يُوَلى عليكم.»[1]

لم تنج من عقدة الاستبداد والتسلط حتى الأحزاب التي تدعي أنها تؤطر وتربّي المواطنين, ولا يعنينا هنا الحديث عن الأحزاب الإدارية التي صنعها الحَكم لتدعيم نظامه الاستبدادي. فالكتلة الوطنية التي تأسست في الثلاثينات سرعان ما انقسمت إلى حزبين حملا في النهاية إسم «**حزب الإستقلال**» بزعامة علال الفاسي، و «**حزب الشورى والإستقلال**» بقيادة بلحسن الوزاني. وصنعت الإدارة الفرنسية سنة 1947 «**الحزب الديمقراطي المغربي للرجال الأحرار**»، ووضعت على رأسه عبد العالي الإدريسي. وفي عام 1948 أسست السلطة الإستعمارية «**حزب الشعب المغربي**» وأسندت رآسته إلى عبد القادر الزمراني. وفي سنة 1951 موّلت الإقامة العامة الفرنسية

1 – حديث رواه الديلمي في مسند الفردوس.

«**الحزب الإشتراكي المغربي**»، وترأسه الفقيه محمد اشماعو.

وفي شمال البلاد كان يعمل «**حزب الإصلاح الوطني**» برآسة **عبد الخالق الطريس**. ثم أنشأت إسبانيا أحزابا أخرى لمحاربته كان من بينها «**حزب الوحدة المغربية**» الذي أسندت إدارته **للفقيه الشيخ المكي الناصري** منذ سنة 1937.

وعند إعلان الإستقلال سنة 1956 كان يوجد في الساحة حزب الإستقلال وحزب الشورى والإستقلال وحزب الإصلاح الوطني والحزب الشيوعي وحزب الأحرار المستقلين برآسة رشيد ملين.

وقام النظام بتأسيس أحزاب إدارية ليحارب بها الأحزاب الوطنية. وكان في مقدمتها «**حزب الحركة الشعبية**» برآسة **المحجوبي أحرضان وعبد الكريم الخطيب**. وتوالى تفريخ الأحزاب مثل «**حزب الأحرار**» بزعامة **أحمد عصمان**، و «**حزب الإتحاد الدستوري**» وعلى رأسه **المعطي بوعبيد** وأحزاب أخرى كثيرة.

«حزب الإستقلال جاء مع نزول الإسلام»

كان الزعيم إقطاعيا سياسيا يفرض نفسه ولا يسعى إلى إقناع أنصاره بل إلى إخضاعهم، ويجعلهم ينظرون بعينيه، ويجردهم من كل ما يساعدهم على امتلاك وعيهم المستقل، ويشحنهم بالتعصب لشخصه ولحزبه.

وبلغ ذروة العصبية الحزبية **أمحمد الدويري**، تلميذ علال الفاسي، بقوله : «**...إن حزب الإستقلال هو خالد وإنه جاء مع نزول الإسلام.**»[2] ومعنى ذلك أن كل ما يصدر عن قادة الحزب خالد ومقدس غير قابل للنقاش والتأويل.

ففي سنة 1949 رفضت قواعد الحزب بوجدة ونواحيها المندوبين الذين عينهم الحزب وطالبوا بحرية الإختيار. واضطر الحزب إلى الإستغناء عن المندوبين وعيَّن مكانهم آخرين ينتمون للمنطقة وهما **محمد الدرفوفي**

2 – جريدة «العلم» 11 – 1 – 1990.

وقدرور **الورطاسي**. وظل التعيين هو الأسلوب الذي يعبر عن توجهات الحزب الإستبدادية.[3]



علال الفاسي

وانتفض مناضلو الحزب بمدينة فاس في عام 1951، مطالبين بحقهم في اختيار المسيرين الحزبيين. فأقدمت القيادة على توقيف وطرد عدد منهم متهمة إياهم بالعمل لصالح جهات أجنبية.[4]

وفي يناير 1960 أثناء مؤتمر الحزب بالدار البيضاء، تقدم بعض الأعضاء باقتراح لتجديد عضوية **أحمد بلا فريج** كأمين عام لحزب الإستقلال، فأجابهم علال الفاسي بالآية القرآنية : «**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّه لَفَسَدَتَا**»[5]

وفهم **بلا فريج** معنى الخطاب وابتعد عن الحزب بشكل نهائي.[6]

حزب الإصلاح الوطني «لا يعقل أن يوجد في الأمة حزبان»

حزب الإصلاح الوطني في شمال المغرب أخ شقيق لحزب الإستقلال. وبعد تأسيسه أعلن سنة 1937 رفضه للتعدد والرأي المخالف وجاء القرار واضحا في جريدة الحزب :

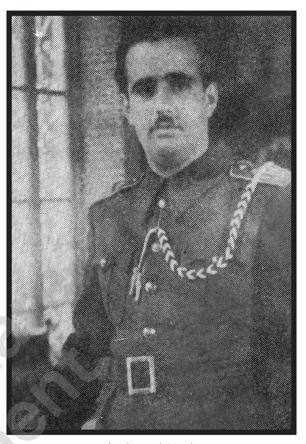
3 – جريدة «العلم» 1 – 9 – 1984

4 – أبو عزام محمد السلاوي، معركة استقلال المغرب، ج1، 1979، ص 64.

5 – سورة الأنبياء، الآية 22.

6 – مقالة أحمد بلا فريج في كتاب :
Les Africains, T.V, P.58. jeune Afrique. Paris 1977

«لا يُعقل أن يوجد في الأمة حزبان، ولا يسمح ضمير الأمة بوجود حزب آخر.» (7)



عبدالخالق الطريس

وفي إطار التمييز الحزبي والتعصب الجهوي إقترح زعيم الحزب عبد الخالق الطريس أن يكون الطربوش الأبيض والأسود رمزا للحركة الوطنية في شمال المغرب. (8)

وكان الطربوش الأحمر رمزا للوطنيين بجنوب المغرب وهُمَا معًا مُسْتَوْرَدَانِ من الخارج ولا علاقة لهما بالإنتاج الوطني.

---

7 – جريدة «الحرية» 23 – 8 – 1937

8 – وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب، ج1. ص 77، تطوان 1980 عرض وتعليق بن عزوز حكيم.

حزب الشورى والإستقلال «قِفوا للمشوشين بالمرصاد واضربوا على أيدَيهم بشدة»



محمد بن الحسن الوزاني

خاض الزعيم محمد بن الحسن **الوزاني** معركة حامية الوطيس في الثلاثينات من القرن العشرين ضد خصومه في «**كتلة العمل الوطني**»، وحمل بشكل خاص سلاح «**الديمقراطية**» ضد منافسه **علال الفاسي**. وحينما عاد من المنفى سنة 1946 وجد «**الحركة القومية**» كما تركها بدون تنظيم وبلا مسيرين أكفاء وبلا منخرطين.[9]، فأسس «**حزب الشورى والإستقلال**» وحدد أهدافه في «**إيجاد ديمقراطية حقيقية سياسية واقتصادية واجتماعية لصالح الشعب.**» [10]

غير أنه لم يحترم الديمقراطية ودخل في مفاوضات سرية بدون علم حزبه، مع المقيم الفرنسي العام. وتسببت تصرفاته الفردية في إعلان سبعة من الأعضاء إنفصالهم عنه، وفي مقدمتهم **إدريس الكتاني** عضو المكتب السياسي، وأصدروا بلاغا إحتجوا فيه على «**تعطيل الأنظمة الديمقراطية داخل الحزب تعطيلا كاملا، وظهور سلطة الإستبداد بين بعض أعضاء المكتب السياسي عبثت بمقررات المجلس الوطني**». [11]

وكتب أحدهم مقالا جاء فيه : «**في الوقت الذي نطالب فيه**

---

9 – Robert Rézette, les Partis politiques marocains, PARIS 1955, p. 356.

10 – محمد حسن الوزاني، حرب القلم، ج6، ص 189.

11 – إدريس الكتاني، المغرب المسلم ضد اللادينية، حقائق عن تسرب المبادئ الهدامة إلى حزب الشورى والإستقلال وأثرها في توجيه سياسته. مطبعة الجامعة، الدار البيضاء 1958 ص 6.

بتطبيق النظام الديمقراطي عجزنا نحن عن تطبيق هذا النظام داخل الحزب».(12)

وقد أدى التخبط بين النظرية والتطبيق إلى ممارسة الزعيم للإستبداد السياسي ضد رفاقه الذين إلتحقوا بالاتحاد الوطني للقوات الشعبية سنة 1959، واعتبرهم «**مشوشين ومضللين**»، وكتب رسالة إلى أنصاره ورد فيها : «**قفوا لهم بالمرصاد واضربوا على أيديهم بشدة وصرامة حتى تحبطوا خططهم الفاسدة وتردوهم على أعقابهم خاسرين.**» (13)

12 – ن. م. ص 8.

13 – أحمد معنينو، ذكريات ومذكرات، ج6. ص 107، طنجة 1991.

الحزب الشيوعي الفرنسيون عيَّنوا قيادة حزبية لم يسقطها من الكراسي إلا الموت

كان **علي يعته** ينشط داخل خلية طلابية تابعة لحزب الإستقلال، وأراد والده الجزائري والعضو في الزاوية التيجانية أن يعطي إبنه تكوينا إسلاميا، ففرض عليه متابعة دروس ليلية في مدرسة «**النجاح**» الحرة التي كان يديرها بدرب السلطان **الفقيه الحمداوي**. [14]

لم ينجح علي يعته في الحصول على شهادة الباكالوريا في ثانوية ليوطي، فاشتغل معلما للعربية في مدرسة إبتدائية بحي المعاريف، وهناك ارتبط بالمدرس الفرنسي الشيوعي (**ميشيل مازيلا**) الذي استقطبه. وكان الشيوعيون الفرنسيون في حاجة إلى مغاربة يساعدونهم على الوصول إلى الجماهير المغربية لأنهم عجزوا عن ربط علاقات معها لجهلهم باللغة العربية. وبدون احترام القانون الداخلي للحزب قاموا بتعيين **علي** عضوا في اللجنة المركزية، وفي غضون سنة أصبح كاتبا ثالثا للحزب إلى جانب **ميشيل مازيلا** و **هنري لافاي**.

وعن طريق التعيين أيضا صعد **عبد السلام بورقية**، الترجمان في مراقبة الشؤون الحضرية بقصبة تادلة، إلى اللجنة المركزية في أبريل 1946. وفي غشت من نفس السنة أصبح عضوا في الكتابة الوطنية أي أنه ترقى مرتين خلال ثلاثة أشهر. وبنفس الأسلوب تم تعيين **عبد اللّه العياشي**، وبقي الرفاق الثلاثة على رأس الحزب الشيوعي المغربي طيلة حياتهم.

إلا أن **علي يعته** عانى من أزمة قانونية ونفسية، إذ كان يجب عليه قبل أن يترأس الحزب الشيوعي المغربي أن يكون مغربيا. فقد كان يحمل الجنسية الفرنسية مثل جميع الجزائريين في ذلك الزمان. وخضع للخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي عشية الحرب العالمية

14 – حديث مع الفقيه محمد الحمداوي بالدار البيضاء يوم 9 – 5 – 1987.

الثانية، وأنهى الخدمة في فرقة المدفعية برتبة نقيب (**سارجان**). ولكي تزيحه السلطة الفرنسية من رآسة الحزب واجهته بحجة أنه ليس مغربيا وفي وضعية غير قانونية. وأقدمت على نفيه يوم 15 يوليوز 1950 إلى الجزائر، وعاد إلى المغرب فألقت عليه القبض وبعد قضاءه عقوبة سجنية، أصعدته في مايو 1951 على متن طائرة متوجهة إلى باريس. وفي غشت 1952 دخل إلى الجزائر وقام بتزوير وثائق شخصية بمساعدة رئيس المجلس البلدي لمدينة بلعباس. وألقي عليه القبض وصدرت بحقه سنتان سجنا بتهمة «**الخيانة العظمى**» قضاها في سجن بضاحية باريس.[15]

وبعد عودة **محمد الخامس** من المنفى، رجع علي إلى المغرب فاعتقلته الشرطة الفرنسية في مطار الرباط - سلا و أعادته إلى باريس.


علي يعتة

وعلى إثر إعلان **الاستقلال** عاد **علي** لرؤية أبيه الذي كان يعمل في مكتب التبغ بالدار البيضاء. غير أن الشرطة المغربية ألقت عليه القبض في المطار يوم 19 - 1 - 1957 وأعادته إلى فرنسا. وطالت محنته في السعي للحصول على **الجنسية المغربية** والتمسك في ذات الآن بمنصب الكاتب العام للحزب الشيوعي بعد مغادرة قادته الفرنسيين المغرب.

وكان قد استنجد بالإتحاد السوفياتي أثناء مثوله أمام المحكمة الفرنسية بالدار البيضاء حيث جاهر بولائه لروسيا قائلا :

نحن الشيوعيين المغاربة نقبل أن يخترق رصاص الأمبرياليين صدورنا، ولن نقبل أن يصيب جنديا واحدا من جنود الجيش الأحمر

Journal «Al Bayan», Casablanca, le 14 – 8 – 1997 – 15

السوفياتي.[16]

وفي عام 1959 سمحت الحكومة المغربية لرئيس الحزب الشيوعي بالدخول إلى المغرب في زيارة لعائلته. لكن الزيارة تولدت عنها أشياء أخرى، إذ نشر **علي يعته** كراسة بالفرنسية تجاوز فيها **الموقف الرسمي** الحكومي من قضية موريتانيا، ودافع عن حق استرجاعها واعتبرها جزءا لا يتجزأ من المغرب، وطالب بضمها إلى حظيرة الوطن لأنها **إقليم مغربي حقيقي** ![17]

ولم يتأخر في التقرب أكثر من النظام، ونشر كتاب «**الصحراء الغربية مغربية**» بالفرنسية. وكلفه الملك الحسن الثاني بالسفر إلى كوبا التي كانت تساند جبهة البوليزاريو، لإقناع الرفيق **فيديل كاسترو** رئيس الحزب الشيوعي الكوبي بتغيير موقفه. ولم تسفر المحاولة عن أية نتيجة. فعاد الرفيق **علي** ليكون في الصف الأمامي أثناء المسيرة الخضراء سنة 1975.

وأخيرا إطمأن على نيل **الجنسية المغربية** عندما تم إصعاده إلى البرلمان بدائرة بوسمارة بالدار البيضاء ولعدة ولايات متتالية.

وبدأ المثقفون الشباب بالتحرك لوقف تدحرج العربة الشيوعية إلى الوراء، وطالبوا باحترام التسيير الديمقراطي داخل الحزب وبسلوك خط سياسي واضح. فأظهرت قيادة الحزب تحجرا فكريا وتواطأت مع النظام ضدهم، وتعرض أحسن مناضلي الحزب المنتظمين في جماعة «إلى الأمام» إلى حملة قمعية غاشمة بسبب مواقفهم الفكرية، ودخل السجون المئآت وقتل عدد منهم تحت التعذيب، وظل الزعماء متشبتين بالكراسي ولم يغادروها إلا بعد أن باغتهم الموت.

---

16 – جميع رسائله إلى المسؤولين المغاربة والفرنسيين طبعها في كتيب بعنوان :
Le dossier d'un exilé (Dossier présenté par Ali Yata au ministre de l'Intérieur marocain, le 25 Juillet 1958) Coopérative d'imprimerie du Pré – Jerome, Généve, 1958.

17 – Al Bayan, 14 – 8 – 1997

منظمة العمل الديمقراطي الشعبي

حزب يساري في قالب إداري

كانت العلاقة بين جماعة من المناضلين وبين **الفقيه البصري** في الجزائر قد بلغت حد القطيعة بسبب الخلاف حول الأسلوب الذي يجب إتباعه لتنظيم العمل المسلح ضد الحكم الإستبدادي. وفي تلك الآونة وصل إلى الجزائر عدد من الشباب المنتمين إلى **حركة 23 مارس** بعد أن نجوا من الإعتقال. فأكرم **بن سعيد آيت يدر** وفادتهم واحتضنهم، وبهم إستعان في وضع النواة الأولى لتنظيمه الحزبي، وكان في البداية يطبع جريدة شهرية في باريس ويوزعها بالبريد على نطاق محدود، وربط علاقات مع اليساريين الفلسطينيين واللبنانيين. غير أن **الفقيه البصري** أغلق أمامه أبواب الدعم المادي في سوريا والعراق وليبيا. فولى وجهه شطر المغرب، وارتبط بصديقه المقاوم **حسن الأعرج** الذي كان متصلا **بالملك الحسن الثاني**، وأثمرت الإتصالات إستصدار جريدة «**أنوال**» التي مهدت الأرضية السياسية لتأسيس «**منظمة العمل الديمقراطي الشعبي**» وهو إسم مستنسخ من «**منظمة العمل الشيوعي اللبناني**» التي كان يرأسها **محسن إبراهيم** المتعاطف مع اليساريين المغاربة.

ومقابل صفقة لا تزال تفاصيلها غامضة، إعترف النظام بالمنظمة كحزب سياسي. وكان الهدف الرئيسي هو امتصاص حركة الشباب الجانح نحو العمل المسلح في تنظيم **الفقيه البصري**، والحد من انتشار الفكر الثوري الذي كان ينشره الماركسيون في منظمة «**إلى الأمام**» وسط الطلبة والمثقفين.

وفي ظروف التزوير الإنتخابي الذي لا تستطيع فيه الإنسُ والجن مجتمعة أن توصل مرشحا إلى البرلمان، إستطاع **بن سعيدَ** أن يكون برلمانيا ولعدة ولايات متتابعة، وفي منطقة نائية لا صوت فيها يعلو على صوت القائد والشيخ.

إلا أن المخزن لا يغفر بسهولة لمن حمل ضده السلاح دون أن يعمل على تمريغ وجهه في التراب. فأقدم **إدريس البصري** على استدراج **بن سعيد** إلى القصر حيث تسلم حقيبة مالية من يد الحاجب الملكي.

وعن طريق الصدفة التقيت **محمد عبد الرزاق** المسؤول النقابي، وكنت أعرفه منذ سنة 1959 حينما كنت أعمل في جريدة «**الطليعة**» الناطقة باسم الإتحاد المغربي للشغل. ففاجأني بقوله :

– **ياعبد اللّه إن صاحبك بن سعيد أخذ الحقيبة المالية.**

وفي نفس اليوم التقيت **بن سعيد** في بيته لأسلمه مقالا للنشر في جريدة «**أنوال**» وأبلغته ما قاله **عبدالرزاق** المعروف بارتباطه بالقصر والتحامه بوزير الداخلية. فقرأت في عينيه الإنزعاج والغيظ، وتغيرت ملامحه، وسكت ثم قال :

– **إنها أموال الشعب المغربي** !

لم يكن **بن سعيد** ليقبل أن تُداس كرامتُه، فبقدر ما كان طيب المعشر، كان في نفس الوقت **شديد الحساسية لكل ما يمس شخصه.** وأتذكر ونحن في الجزائر كَمْ بكى طويلا بعد أن قسا عليه **الفقيه البصري** بألفاظ ونعوت جارحة.

لقد أشاعت المخابرات مسألة الحقيبة المالية في الأوساط السياسية، ولم يفلت **بن سعيد** من مكر المخزن، فانبرى للدفاع عن سمعته بمواقف متصلبة تسببت له حتى داخل حزبه في متاعب لا حصر لها، وأصبح في نظر أعضاء تنظيمه شخصا مستبدا بالرأي.

وفي سنة 1984 إستقبل **الملك الحسن الثاني** الوفد البرلماني المغربي المسافر إلى **أديس أبابا** عاصمة **إتيوبيا** لإعلان إنسحاب المغرب من منظمة الوحدة الإفريقية بعد اعترافها بـ «**الجمهورية الصحراوية**».

واصطف أعضاء الوفد على العادة المعروفة لتقبيل اليد، ولما جاء دور **بن سعيد** اكتفى بوضع يده على صدر الملك.

وبعد عودة أعضاء الوفد إستقبلهم الملك في القصر بفاس،

فكرر **بن سعيد** نفس الحركة بوضع اليد على صدر الملك. فسأله :

- **من أنت ؟**
- أنا بن سعيد.
- **إنك في دار المخزن فعليك أن تحترم تقاليدها.**

فقام الموظفون المتملقون وعلى رأسهم الوزير عبد الواحد بلقزيز بضجة حول **بن سعيد**، وتعالت صيحات الإستهجان والاستنكار.[18]



بن سعيد آيت إيدر

وواصل **بن سعيد** في السنوات التالية عناده دفاعا عن كرامته، ورفض دستور الملك لسنة 1996. فقام **إدريس البصري** وزير الداخلية بانقلاب داخل المنظمة، ولم يترك مع بن سعيد سوى كمشة من أقرب المقربين إليه، وأسس المنسحبون حزبا جديدا، ونالوا وزارة التعليم في حكومة اليوسفي. ولما أفَل طغيان البصري إلتحقت أغلبيتهم بالموكب الجنائزي للإتحاد الإشتراكي المغدور.

واستطاع **بن سعيد** أن يؤسس حزبا آخر وأن يحفظ ماء الوجه أمام أنصاره الجدد.

18 – جميع التفاصيل المتعلقة بالحقيبة المالية وتقبيل اليد رواها لي بن سعيد في حينها.

الإتحاد الإشتراكي للقوات الشعبية

ذبيح المرتدين والجواسيس

في دجنبر 1972 لم يكن المناضلون الذين اجتمعوا بالرباط لتصحيح مسيرة الإتحاد الوطني يعتقدون أن مبادرتهم ستنتهي بانحراف مفجع. فالحزب تخلى في شتنبر 1974 عن وصف «**الوطني**» وتبنى مكانه كلمة «**الإشتراكي**» وهي في مضمونها أكثر حمولة وذات أبعاد وأهداف إنسانية نبيلة لكنها سرعان ما تحولت إلى غطاء تختفي تحته جحافل الانتهازيين والجواسيس.



عبدالرحيم بوعبيد

ففي غمار معركة حامية خاضها المناضلون الشرفاء من أجل الديمقراطية وضد الإستبداد، كان النظام يدفع أبناء الخونة والجواسيس إلى الانخراط في الحزب إستعدادا لنسفه من الداخل بعد تصفية أطره الصامدة. وانطلقت عملية تخريب **الإتحاد الإشتراكي** بشراء الضمائر في سرية وكتمان، لتتخذ شكلا مكشوفا في وقت كانت فيه أفواج المناضلين تدخل السجون، والمئات مشردون في المنافي، وأعداد أخرى تُقتل خارج القانون في أقبية التعذيب أو يُنفذ فيها حكم الإعدام.

وفي نفس الوقت تتابع توزيع الهبات المالية والإمتيازات بسخاء، وكان المستفيدون يعملون بدورهم على شراء ضمائر ضعاف الإيمان. ثم سمحت وزارة الداخلية للإتحاديين بالفوز في بعض الجماعات

المحلية، وكان باستطاعة آلة التزوير منعهم من ذلك، وتركتهم يتلاعبون في الصفقات التجارية وفي المال العام، وأخذ الحزب السري داخل **الإتحاد الإشتراكي** يتسع ويستقطب المزيد من الطامعين واللاهثين وراء المصالح الشخصية، وتورط أعضاء بارزون في فضائح مالية وشوهوا سمعة حزب المقاومة والتضحية في الأوساط الشعبية.


الأستاذ عبدالرحمان بن عمرو

وكما كان لابد أن يقع فإن المناضلين الشباب تصدوا للإنحراف منذ الثمانينات وطالبوا بإحترام التسيير الديمقراطي داخل الحزب، واصطدموا بجدار الإستبداد، وشاعت مقولة: «**من ليس متفقا معنا فأرض اللّه واسعة**»!

وصعَّد المناضلون حركتهم الإحتجاجية ونظموا مظاهرة سلمية أمام مقر الإتحاد الإشتراكي بالرباط. فتدخلت الشرطة بعنف واعتقلت اثنين وثلاثين منهم وفي مقدمتهم **أحمد بن جلون** شقيق الشهيد **عمر بن جلون**، والمحامي **عبد الرحمان بن عمرو** وصدرت بحقهم يوم 30 مايو 1983 أحكام قاسية بالسجن. واتهم المناضلون قيادة الحزب باستدعاء الشرطة لترتاح من «**الصداع الديمقراطي**».


أحمد بن جلون كافح بالفكر والبندقية

وترجمت جريدة الحزب الانحراف عن الخط النضالي حينما صدرت التعليمات إلى الصحفيين **بعدم توظيف مفاهيم علمية في كتاباتهم مثل الإقطاعية والرجعية والحكم المطلق**، وذلك تجنبا لإغضاب

الملك الذي قال يوما إنه لن يسمح بإستيناف صدور جريدة «**المحرر**» لأن المغرب تحرر.

كان الإستسلام للأمر الواقع بمثابة نهاية الخط السياسي المستقل للحزب، وخضوعه فصاعدا لإملاءات النظام التي ينفذها العملاء بإسم «**التعقل والواقعية**». وعمل بعض أعضاء المكتب السياسي في الظلام لتحقيق مصالح ذاتية بالإعتماد على عملاء السلطة الذين تمكنوا في نهاية المطاف من كسب الأغلبية داخل المجلس الوطني.

وأدت الميوعة في المواقف المبدئية وتهميش المكافحين الصادقين وتهافت الإنتهازيين إلى تراجع الأخلاق النضالية وممارسة الدعارة السياسية التي لعب فيها المرتدون والجواسيس دور القوادين للقابضين على مقاليد الحكم.

فكثيرا ما أنكر مسئولون في المكتب السياسي وجود جواسيس في أجهزة الحزب العليا. ومؤخرا نشر **محمد اليازغي** في مذكراته أن عضو الحزب «**لحليمي كان على إتصال دائم بالجنرال القادري مدير الدراسات والأبحاث لادجيد**»[19]

والشيء الذي لم يذكره **اليازغي** أن هذا الشخص الذي له اتصالات بمدير المخابرات العسكرية، كان مُنَظِّرًا (Doctrinaire) يشارك في وضع التقارير السياسية والمذهبية والإيديولَوجية لحزب القوات الشعبية. فأين غابت يقظة الحزب طيلة عشرين سنة ؟ ولماذا تم السكوت عنه إلى اليوم ؟

لا شك أن الجواب يكمن في الغموض والعلاقات الفئوية والزبونية التي اكتنفت سياسة الحزب. ففي اجتماع للمكتب السياسي طلب **عبد الرحيم بوعبيد** التكتم على قرار سياسي. وفي الاجتماع الموالي عبر عن غضبه لأن السر وصل إلى المسؤولين، وفي الحال انكشف مصدر الوشاية على لسان صاحبها الذي قال :

- **أنا إذا سألني صاحب الجلالة عن شيء فلن أخفيه عنه !**[20]

---

19 – مذكرات محمد اليازغي، جريدة «المساء» في 12 – 9 – 2011.

20 – حديث مع الحبيب الفرقاني عضو المكتب السياسي، الدار البيضاء في 15 – 12 – 2003.


محمد اليازغي

فما هو السبب الذي حال دون اتخاذ قرار حاسم بحق شخص أعلن بشكل صريح إنتماءه إلى جهاز المخزن؟

وهذا يقود إلى ذكر واقعة أخرى تجلت في تعيين الملك الحسن الثاني **محمد الطاهري** وزير في الوقت الذي كان فيه مسؤولا عن تنظيمات **الإتحاد الإشتراكي** في فرنسا. ولم يصدر عن الحزب أي موقف ضد مسؤول مرتد قفز بشكل بهلواني من أقصى اليسار ليقع على كرسي الوزارة في أقصى اليمين.

وقبله عيَّن الملك **عبد القادر الصحراوي** وزيرا وكان مشهورا بتعاليقه النارية في جريدة «**التحرير**» يضاف إليهم **البشير الفكيكي** الذي كان يعتبر نفسه زعيما لليسار داخل الحزب، فأصبح بين عشية وضحاها خادما مطيعا يقوم بالمهام السرية في الجزائر وفرنسا، ويجلس في مكتب وثير بوزارة الداخلية.

والمسكوت عنه أيضا قبول **عبد الرحمان اليوسفي** لشروط الملك الحسن الثاني بحضور عضوين من الحزب المفاوضات السرية وبدون علم المكتب السياسي وهو يعرف حق المعرفة علاقتهما بجهاز المخزن.

والأمثلة المذكورة تبقى مجرد **إشارات** فقط لأن عملاء النظام يُعدون بالعشرات داخل الحزب. **والشبيبة المناضلة اليوم تريد معرفة الحقيقة كاملة عن طريق المصارحة الجدية والممارسة النقدية، وفتح ملفات الأحداث الماضية بهدف تصحيح الأخطاء وإعادة بناء الحزب الجماهيري النظيف.**

عملاء النظام سيطروا على حزب الشهداء

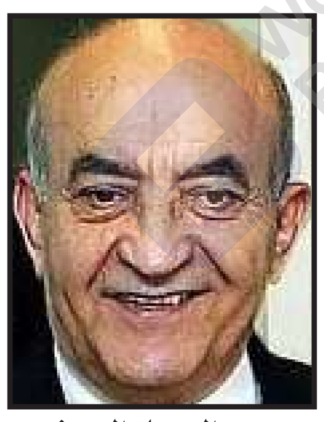
ليس هناك سر في كون الكاتب الأول للحزب شارك عن دراية وسبق إصرار في الإنتخابات المزورة لعام 1997، واتضح تورطه في مخطط التلاعب حينما انتزعت وزارة الداخلية ثلاثة مقاعد من التيار الديني في الدار البيضاء وأعطتها إلى مرشحي الإتحاد. ولما تعرت الفضيحة رفض إثنان المقعدين الممنوحين لهما. وذهب الثالث للتشاور مع اليوسفي، فأجابه :

- ماذا يبقى لنا إذا أصر الجميع على الرفض ؟

وأتذكر أن صديقي الصحفي **باهي محمد** الموريتاني الأصل والمغربي الجنسية، فاتحني في موضوع ترشحه للبرلمان باقتراح من **اليوسفي**. فسألته :



باهي محمد



عبدالرحمان اليوسفي

- هل يسمح لك ضميرك أن تكون برلمانيا مزيَّفاً ؟

فامتنع عن الترشح ليموت بعد حين نظيف اليد ومرتاح الضمير.

وقاد التعطش للوصول إلى كرسي الرآسة **اليوسفي** إلى الغوص **في مسستنقع الرداءة السياسية. ولم أكن أتصور، وأنا الذي عملت معه في صحافة الحزب وارتبطت به مدة أربعين سنة**، أن ينسلخ عن

طبيعته وسجيته ويتصاغر إلى درجة الركوع بشكل مهين أمام محراب الإستبداد.

فإذا كان المتعارف عليه في طبائع الحكم أن السلطة تُغيِّر صاحبها، فإن **اليوسفي** تغير قبل أن يصل إليها.

فأثناء لقاء بين الملك الحسن الثاني سنة 1972 و**عبد اللّه إبراهيم** برفقة مساعده الأستاذ المهدي خليل، عبَّر الملك عن عدم رضاه على تصرف **عبد الرحيم بوعبيد** معه قائلا:

- **تتذكر يا مولاي عبداللّه أنني إقترحت في لقائنا الأخير أن نُشيِّد تمثالا** للمهدي بن بركة، فأجابني عبد الرحيم :

«L'affaire Ben Barka est une page tournée»

«**إن قضية بن بركة صفحة مطوية**»[21]

ولم يتردد **اليوسفي** في تنفيذ المناورة السياسية سنة 1995، ودشن رفقة وزير الداخلية شارع المهدي بن بركة بالرباط رغم معارضة عائلة الشهيد، وصرح إدريس البصري أن التدشين تم بأمر من صاحب الجلالة.

والمؤلم أن **اليوسفي** حاول القيام بمهام أخرى عجزت أجهزة النظام عن تحقيقها، فأرسل إلى مولاي **عبد اللّه إبراهيم** حوالة مالية يتجاوز مبلغها مليارين من السنتيمات تحت غطاء «**التعويضات**» عن المدة التي قضاها رئيسا للحكومة.[22]

فما كان من المناضل **عبد اللّه إبراهيم** إلا أن رفض تسلم تلك الرشوة المكشوفة، وحافظ على طهارة النفس واستقامة السلوك، والإصرار على إحتقار المال وعبيده.

وذات يوم كنت على موعد مع **الفقيه البصري** في بيته، فوجدته كئيبا على غير عادته. فنظر إلي وسألني :

21 – حديث مع الأستاذ المهدي خليل الورزازي بمراكش يوم 3 – 11 – 2010.

22 – حديث مع مولاي عبد اللّه إبراهيم بالدار البيضاء في 5 – 10 – 2003.

- **هل تعرف ماذا فعله اليوسفي ؟** قلت لا. فقال :

- **لقد ذهب عند الملك يطلب لي مساعدة مالية، ولم أطلبها ولم يستشرني فأشاعت وزارة الداخلية أن الملك رفض منحي مساعدة طلبتها منه، وذلك بهدف تشويه سمعتي.**

لقد هرول **اليوسفي** نحو كرسي الرئاسة بدون سلطة فعلية وبلا شروط ولا برنامج، ومع وزراء «اتحاديين» معروفين بعلاقاتهم مع جهاز الدولة. واتسعت دائرة الإنحراف داخل الحزب، وطغى الشك على اليقين وسط المناضلين الذين رأوا كيف احتضن **اليوسفي** حقيبة وزارة العدل، وهي من وزارات السيادة، وكانت هدية مسمومة، قام فيها **وزير العدل الإتحادي** بطي ملفات خطيرة لتبرئة عدد من سارقي المال العام المقربين من مراكز النفوذ.

وفي عهد «**حكومة التناوب**» تلقى بعض الجواسيس مكافآت بتعيينهم موظفين في الوزارات ومؤسسات تابعة للدولة، وأسندت لآخرين مناصب في السلك الدبلوماسي وكان بعضهم ملتصقا بعبد الرحيم بوعبيد وبالفقيه البصري. وسخَّر **اليوسفي** علاقاته مع أحزاب الأممية الإشتراكية والمنظمات الحقوقية الدولية لتبييض صحيفة النظام، وكل تلك الإنحرافات تمت تحت يافطة «**مصلحة الشعب**».

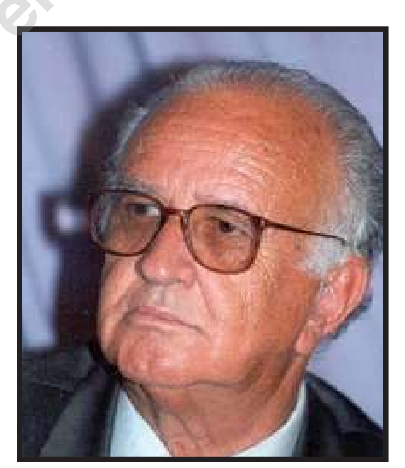
ولإسكات أصوات المناضلين الأوفياء المدافعين عن الخط الثوري الجماهيري، إستبد الكاتب الأول بصحف الحزب وبموارده المالية، وقطع مصدر الرزق عن الذين يخالفونه الرأي، ولوَّث سمعته عندما نظم حفل التكريم لوزير الداخلية السيئ الذكر وسط مظاهرة صاخبة لضحايا التعذيب. وساهم بشكل مباشر في تشكيل وسط مجتمعي بالغ التعفن «**لا يُقَرَّبُ فيه إلا الواشي، ولا يُظَرَّفُ فيه إلا الفاجر، ولا يُضَعَّفُ فيه إلا المُنْصِف**» [23]

وبعد أن أجهَض آمال الجماهير التواقة إلى التحرر الإقتصادي والإجتماعي والإنعتاق من سيطرة الغاشمين، قدم استقالته من الحزب

23 – علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، ج4 ص 23، مطبعة كرم، دمشق.

ليس بدافع الشعور بالذنب، بل لأنه إعتقد أن صفته الحزبية تمثل عائقا بينه وبين الحصول على وظيفة سامية كان يحلم بها بالقرب من صناع القرار.

ونتج عن الإنحراف والتنكر للمبادئ النضالية تمييع العمل السياسي بفتح أبواب الحزب لجميع الإنتهازيين الوافدين من كل جهة، فاختلطت المفاهيم، وانعدمت المقاييس وانتشر التزييف للحقائق، وأصبح الجميع يلهث وراء المصالح الشخصية، وانسحب معظم المناضلين الشرفاء، وانفجرت الصراعات الذاتية في أعلى مستوى القيادة الحزبية، واستعرض أحدهم عضلاته بدون خجل ولا وجَل، وهدد بضرب **الدكتور محمد الحبابي**، ولم يحترم ماضيه النضالي ولا شيخوخته وهو الذي قضى شبابه في الكفاح بجانب المهدي بن بركة وعبد الرحيم بوعبيد.



الدكتور محمد الحبابي

إنها نهاية تراجيدية لرُوَّاد النضال المستهدفين في زمن الإنبطاح لتهديدات أوباش السياسة الغاطسين في مرحاض السقوط الأخلاقي والسفالة التربوية والإنحطاط الفكري.

إن الحسابات الخاطئة تنتهي بالنتائج المغلوطة. فالإنتهازيون الذين أصعدهم محمد **اليازغي** كانوا في مقدمة أولئك الذين انقلبوا عليه وأسقطوه من قيادة الحزب.

واكتملت فصول الانحراف في أكثر أشكاله قُبْحاً

وبشاعة على ضجيج طبول الاحتفال بنجاح الانقلاب الداخلي وبسيطرة الإنتهازيين وعملاء النظام على حزب الشهداء في نوفمبر 2008.

وتظل الأقلية التي ترفع راية الشموخ والصمود مقطوعة الأجنحة، مهمشة ومعزولة ولا قدرة لها على التأثير في سياسة الحزب الذي تعشعش في أطرافه ثعابين المكر والغدر.

إن حزب القوات الشعبية لم يعد حاملا لأية رسالة نضالية أو فكرية ولا لأي مشروع إجتماعي، وهنا يكمن السبب في يأس قاعدته الشعبية وابتعاد جماهيره الواعية.

ويجب الاعتراف،بألم وحسرة، أن الإتحاد الإشتراكي فشل في معركة التغيير بشقيها السياسي والمسلح، إذ لم يسبق في تاريخ حركة التحرر الوطني العربية أن مُنيَّ حزب تقدمي بهزيمة مثل تلك التي تكبدها الإتحاد الإشتراَكي بعد أن قدم قوافل من الشهداء والمُخْتطَفين والمُعذَّبين والمشرَّدين فداء لحرية الشعب وكرامة نسائه ورجاله.

إن أبناء الخونة تمكنوا من إغتصاب حزب الشهداء، وانتقموا لطبقتهم من المقاومين الذين صرعوا آباءهم وأجدادهم أثناء الكفاح ضد الإستعمار، وأهانوا وهمَّشوا المناضلين المكافحين في سبيل الديمقراطية وحقوق الإنسان.

وتبقى معركة الإنقاذ من مهام **الشبيبة الواعية التي** لابد أن تقدم التضحيات اللازمة لتحقيق **إنتفاضة منظمة تنتهي** بإسقاط **عملاء النظام ورموز الردة المذهبية وشيوخ الخيانة الطبقية**، وتعيد لحزب القوات الشعبية ثقة الجماهير في مواصلة الكفاح ضد الإستغلال والإستبداد، وانتزاع حق جميع المواطنين في العيش الكريم.

الخاتمـــة

العقل هو الطريق الصحيح إلى معرفة الله

أرقام مرتفعة	أرقام متدنية
عـــدد المساجـــد : 52.000	عدد المستشفيات : 142
الأئمة والمؤذنون إلخ : 160.000	الأطبـــــاء : 12.000
كـل فقيـه يؤطـر : 187 مواطنا	كل طبيب يعالج : 1.667 مواطنا [1]

تظهر الأرقام أعلاه الوفرة العددية للعاملين في الحقل الديني، والنقص الفادح في عدد المشرفين على صحة المواطنين. فالواجب والمفروض أن تكون الأسبقية لعلاج المواطنين وتشغيلهم وتغذيتهم وإسكانهم وليس بشحن رؤوسهم بالروحيات وبطونهم جائعة وأجسادهم مريضة.

فالعقيدة الدينية راسخة في قلوب المغاربة منذ ألف وثلاثمائة سنة (710م) وإيمانهم محصن من دعوات التبشير التي يقوم بها بعض الرهبان ولا ينبغي، دينيا وإنسانيا وأخلاقيا، أن يبقى ثمانون بالمائة من المواطنين محرومين من حق العلاج والدواء لهم ولأطفالهم، في وقت لا يجد فيه الأطباء المتخرجون عملا، ويتم التعامل مع مطالب الكفاءات العلمية بالهراوة في الشوارع.

إن تعاليم الإسلام تحث على توفير شروط الحياة للمسلم لكي يحافظ على قوة بدنه وعقله وإيمانه. وجاء في الحديث النبوي الشريف **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.»** [2][2]

1 – الأرقام من إحصائية سنة 2009

2 – حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه

وكل محاولة تهدف إلى إقناع الناس بأن ما يعانونه من بؤس وظلم إجتماعي هو قضاء وقدر، لن يكون من شأنها سوى تكريس الصراع المذهبي بين دُعاة الجَبْرية والقَدَرية. فالجَبْريون ينسبون كل الأمور إلى اللّه تعالى، ويعتبرون الحكام المَستبدين منفذين لإرادة اللّه الذي وهبهم الحكم، ويضعون الإنسان بمنزلة جماد لا إرادة له ولا اختيار.

ويرد عليهم القَدَريون بأن كل إنسان خالق لفعله بإرادته، وأن الصراع قائم بين المظلومين والظالمين.

ويلجأ الجَبْريون والقَدَريون لدعم وجهة نظرهم إلى فصل الآيات القرآنية عن سياقها التاريخي وعزلها عن أسباب نزولها وما جاءت به من أجوبة على قضايا كانت مطروحة في زمان ومكان محددين :

الجَبْريـــون	القَدَريـــون
قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا[3]	**كُلُّ نفس بما كسبت رهينة**[4]
كذلك يُضل الله من يشاء ويهدي من يشاء[5]	**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**[6]
قُل لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرا إلا ما شاء الله[7]	**قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عَمِيَ فعليها**[8]

3 – سورة التوبة، الآية 51

4 – المدثر / 38.

5 – المدثر / 31.

6 – الكهف / 29

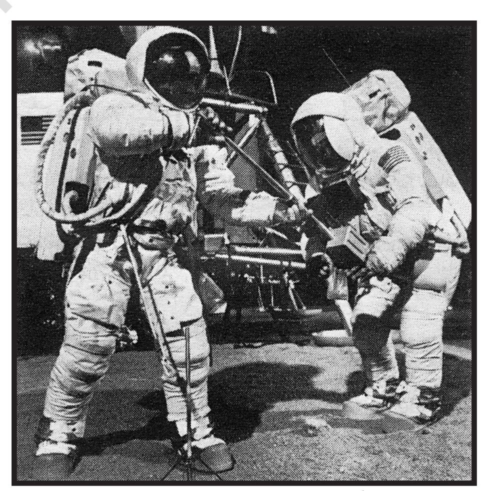
7 – الأعراف / 188

8 – الأنعام / 104

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة منها ما يُفهَم من سياقها الجَبْرية، وأخرى تؤكد اختيار الإنسان لأفعاله. واتخذ تأويل النصوص القرآنية شكل صراعات سياسية واجتماعية ودينية انتهى كثير منها بإقدام الحكام المستبدين على قطع رؤوس عدد من العلماء القائلين بأن الإنسان خالق لأفعاله[9] ومسؤول عنها. وكان في مقدمة الضحايا الأوائل معبد بن عبد اللّٰه الجهني (قتل في 80هـ 699م)، والجعد بن درهم (ق.124هـ 741م) وغيلان الدمشقي (ق. 126هـ 743م) وعمرو بن سعد وغيرهم.[10][10]

وانتهى الصراع بين المذهبين المتنافرين لصالح فقهاء السلطة، فأغلقوا باب الإجتهاد ودفنوا العقل العربي الإسلامي الذي اكتشف العلوم الطبية والفلكية والفلسفية في التّراث اليوناني والفارسي والهندي وطورها وحملها إلى أوربا عن طريق الأندلس.

وفي زمننا هذا ينشر الفقهاء الجامدون الأساطير الغيبية ويطمسون وعي الناس، ويقابلون الإكتشافات العلمية المذهلة التي توصل إليها العقل البشري بالرفض واللعنات.


الأمريكيون على سطح القمر

فحينما شاهد العالم يوم 2 يوليوز 1969 على شاشة التلفاز أول إنسان يمشي على سطح القمر، تعالت أصواتهم بالإستنكار، واعتكف بعضهم في المساجد يقرؤون اللطيف – هذا حدث في عدة بلدان إسلامية – وتعاموا عن الحديث النبوي الشريف «**لو تعلقت هِمَّة بني آدم بالثريا**

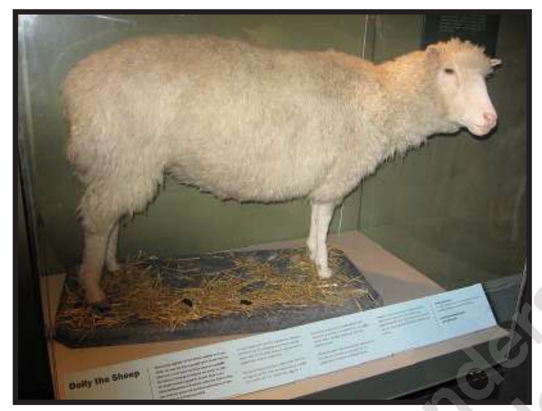
9 – أنظر رأي الخليفة عمر بن الخطاب في القضاء والقدر بالصفحة 194

10 – بن كثير، البداية والنهاية، المجلد 2. ص 1791

لنالها».

وعندما أخذ علماء انجليز خلايا غُدَد من ثدي نعجة واستنسخوا منها نعجة أخرى سنة 1997، صاح الفقهاء المتخلفون عن عصرهم :

- هذا اغتصاب لمهمة اللّه، فانتظروا قيام الساعة !



النعجة المستنسخة «دولي»

إن ثقافتهم بدائية بعيدة عن العلوم متحجرة لا تسعفهم على فهم المستجدات العلمية والمعضلات الدينية والأخلاقية الناتجة عن الإكتشافات الخارقة التي حققها العقل الإنساني في مجالات الطب والبيولوجيا والفيزياءوالهندسة الوراثية وعلوم الفضاء.

وفي الوقت الذي يغزو فيه الأوربيون والأمريكيون واليابانيون والصينيون الفضاء الخارجي ويغيرون الحياة على الأرض، يُصرُّ الفقهاء المعاندون على محاربة العلوم العقلية ويختفون وراء مقولة َ«**الإسلام دين ودنيا**»، والصحيح هو أن الإسلام دين «**فالنبي (ص) إنما بُعثَ ليعلمنا الشرائع، ولم يُبعث لتعريف الطب وغيره من العاديات، وقَد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال : أنتم أعلم بأمور دنياكم.**» (11)

فماذا باستطاعة 82% بالمائة من أئمة المساجد والوُعاظ بدون مستوى تعليمي، أن يقدموه للمغاربة سوى دعوات التخدير والتعصب والانغلاق، وإبعاد الشباب عن الدين ودفعه إلى البحث عن الراحة

11 – 2 عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ص 919

النفسية في مجالات أخرى.[12]

لم يقع لحد الآن الفرز بين الفقهاء الداعين إلى مسايرة قضايا العصر بالإجتهاد في الدين بالعقل وبين حاملي أفكار التقهقر والشعوذة والتضليل الذين يعتبرون كل جديد «**مسًّا بالعقيدة**» ولا يرون السبب في جميع مشاكل البلاد إلا في **جسد المرأة** الذي يجب تغليفه بحجاب سميك لا ينفذ منه الضوء، ولا يريدون استحضار ما قرؤوه في السيرة النبوية حول مشاركة المسلمات في الحروب **دفاعا عن النبي (ص)**، وكيف كن يعالجن الجرحى ويسقين الماء **وهن كاشفات الأذرع والسواعد.**

والغريب أن أحد المتزمتين بالإذاعة كاد أن يدعو إلى وضع «**القفل الحديدي**» على فرج المرأة كما كان يفعل الصليبيون الأوربيون بنسائهم عند ذهابهم إلى محاربة المسلمين في القدس[13]


حزام العفة يباع في الأنترنيت

إن الدين يمثل العنصر الأساسي في هوية المغاربة، حاضر في أدق تفاصيل حياتهم اليومية وتحركاتهم وأحاديثهم وردود أفعالهم، وعلى ذكره يفطرون ويتغذون ويتعشون، ولا ينكر هذا الواقع إلا معاند ومكابر. **لذلك فإن الأغلبية الساحقة من الأميين وشريحة عريضة من المتعلمين الجاهلين بالمعرفة الدينية الصحيحة**

---

12 – الرقم صدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، أنظر الوطن الآن. 2 – 7 – 2009

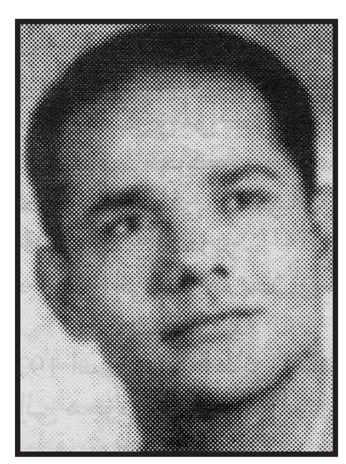
13 – كانوا يسمون القفل الحديدي حزام العفَّة La Ceinture de Chasteté. ويضع الصليبي المفتاح في جيبه ويرَحل إلىَ الحرب مرتاح البال، لكن الحداد صانع القفل كان يبيع مفتاحا آخر للزوجة !

لا يحتاجون إلى من يعطيهم دروسا في التكوين السياسي أو إلى من يقنعهم بالنظريات الإشتراكية والليبرالية، فهم عقائديا يجسدون إحتياطا جاهزا لتلبية أول نداء يصدر بإسم الدين عن أحزاب الإسلام السياسي.

ومن بين الأمثلة الدامغة ما أسفرت عنه مؤخرا نتائج الإنتخابات في بعض البلدان العربية. فالإخوان المسلمون بمصر إلتحقوا بالثورة **متأخرين وكانوا أول الفائزين**، وجاء في الرتبة الثانية السلفيون وكان **بعض شيوخهم حرموا المظاهرات والمسيرات الشعبية وعارضوا الثورة بدعوى عدم جواز الخروج على الحاكم.**

وقد انتبه المفكرون العرب منذ القرن الثامن عشر وبداية القرن العشرين إلى هذه الوضعية وحاولوا الحد من نفوذ الشيوخ والطرقيين وطرحوا مسألة **الإصلاح الديني** للنقاش، وبعد مرور مائة عام فشلت الدعوة إلى الإصلاح وتفشت الأمية والجهل والتخلف، وازداد نفوذ التيارات الدينية بمختلف اتجاهاتها في المجتمعات الإسلامية، وكلها تعتمد على عوامل الأمية والجهل لإبقاء الجمهور خاضعا ومستسلما.

وفي نهاية القرن العشرين أصبح مجرد الحديث عن **الإصلاح الديني** يجر على صاحبه السكاكين بتهمة الإلحاد والكفر. وإلى وقت قريب تم قتل واضطهاد عشرات المثقفين في الجزائر ومصر والسودان ولبنان والعراق، وفي المغرب لا يزال ماثلا في الذاكرة كيف سقط المهندس **عمر بن جلون سنة 1975** أمام منزله بالدار البيضاء بطعنات وجهها إليه شابان أميَّان دفعهما المتاجرون بالإسلام السياسي إلى ارتكاب الجريمة.


عمر بن جلون

وكان عمر من المثقفين الملتزمين بالدفاع عن قضايا الجماهير الشعبية، وناضل ضد النقابيين الإنتهازيين الذين كانوا يكسرون الاضرابات العمالية ويتواطؤون مع أرباب العمل. وفي ذات الآن قام بدور نشيط في المعركة السياسية ضد الحكم الاستبدادي، ونتيجة لمواقفه الصلبة استهدف للاختطاف والتعذيب والسجن.

واتصف طيلة مسيرته النضالية بالاستقامة والصدق، وجعل من حسن السلوك شرطا صارما في التعامل مع المناضلين داخل خلايا الحزب.

هكذا قتلوا مسلما يقول: أشهد أن لا إله إلا الله

«وَمَنْ يَقْتُل مُؤْمِناً مُتَعَمِداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً» (سورة النساء، الآية 93)



الشهيد عمر بن جلون مضرجا في دمائه

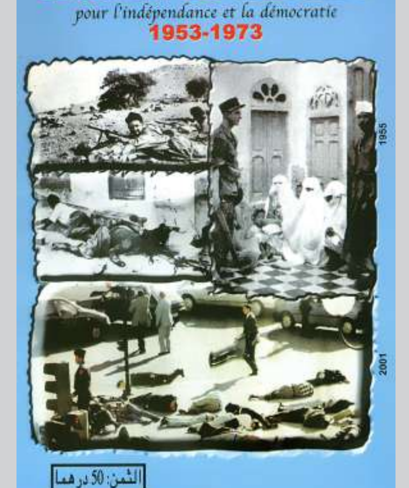
فإذا تمكن المفكرون الأوربيون بداية من القرن الخامس عشر من إعادة قراءة تراث بلدانهم وأخضعوا البحث فيه للعقل، ومسحوا الأساطير الخرافية الواردة في **الإنجيل**، وسقط الآلاف في الحروب الدينية التي انتهت بهزيمة الكنيسة وانتصار العِلم على الجهل، **فإن أية دعوة**

إلى الإصلاح الديني تصدر عن العلماء المستنيرين لن تنتصر بدون تضحيات في وقت لم تتوقف فيه الحروب المذهبية والسياسية بين المسلمين منذ اندلاعها قبل ألف وأربعمائة سنة.

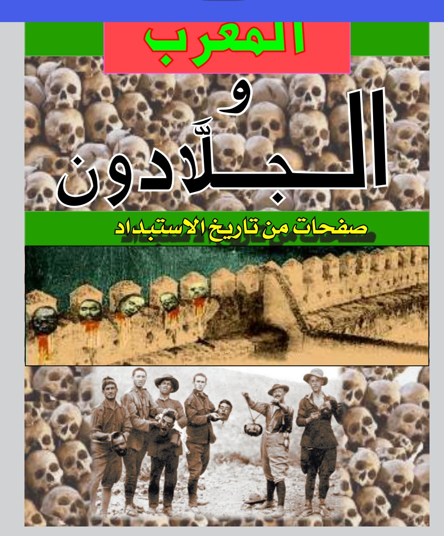
فالمطلوب في الوقت الراهن الشروع في تهيئ الأجواء أمام حاملي الأفكار المستنيرة بقطع النظر عن اتجاهاتهم وانتماءاتهم العقائدية ليتحاوروا ويتفاعلوا ويتفقوا على القضايا الأساسية التي تهم حاضر ومستقبل المغاربة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية.

فبدون تحرير الإنسان من الأمية والجهل والجوع والمرض، لن يتطور وعيه ولن يتحرر فكره من الأساطير اللاعقلانية، ولن يكون له أي دور في بناء المجتمع الحداثي المنشود.

إن العقل هو الطريق الصحيح إلى معرفة اللّٰه وكتابه.







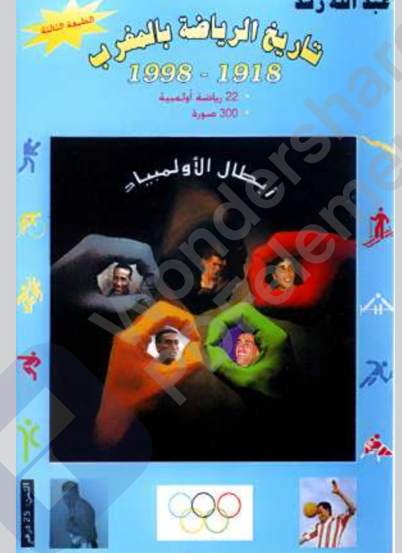
Abdallah Rochd

HISTOIRE DU SPORT AU MAROC 1918 - 1998



Il suffisait qu'une équipe marocaine l'emporte sur un adversaire français pour que la victoire sportive se transforme, dans l'esprit des populations, en victoire politique qui relevait le moral du citoyen, sa fierté nationale s'affermissait, et sa foi en la libération du joug colonial devenait indéracinable.

La démarche militante des sportifs combattants démontre que le sport est une arme à double tranchant. Il peut être utilisé pour l'éducation des jeunes, l'éveil de leur sensibilité, et la libération de leurs esprits pour servir les causes justes, comme il peut être utilisé pour anesthésier les démunis et les distraire du militantisme pour arracher leur droit à une vie digne.



عبدالله رشد

ميلاد الطبقة العاملة المغربية





الإصدارات القادمة

1 - أحزاب الحريم السياسي بالمغرب.

----

2 - المرأة المغربية في أسواق الدعارة العالمية (أوربا، بلدان الخليج، الأردن، إسرائيل).

المراجع العربية

القران الكريم

- صحيح البخاري
- إبن هشام السيرة النبوية
- علي بن ابني طالب، نهج البلاغة، مطبعة كرم، دمشق
- بن كثير إسماعيل الدمشقي، البداية والنهاية، دار بن حزم، بيروت 2005 .
- أبن الأثير عز الدين، الكامل في التاريخ ج 6 ، بيروت .
- المسعودي أبو الحسن، مروج الذهب و معادن الجوهر، ج.2، بيروت 1965.
- أحمد إبن عبد ربه، العقد الفريد ج. 3 بيروت بدون تاريخ .
- أحمد بن يعقوب، تاريخ اليعقوبي، ج 2، بيروت .
- عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت 2006.
- الطبري أبو جعفر محمد، تاريخ الأمم والملوك ج 3 بيروت 1979.
- محمد عمارة، الإسلام والحرب الدينية بيروت 1982.
- المستشار محمد العشماوي ، الإسلام السياسي، الدار البيضاء 1991 .
- هادي العلوي، فصول من تاريخ الإسلام السياسي، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية، قبرص 1999.
- أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء 1956.
- عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلاء الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، الرباط 1931.
- تاريخ الضعيف الرباطي، تحقيق محمد البوزيدي الشيخي، دار الثقافة، الدار البيضاء 1998 .
- أحمد الرهوني، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، مخطوط بالمكتبة العامة بتطوان. الإفراني، ضفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، الخزانة العامة بالرباط رقم 671-1178.
- محمد غريط، فواصل الجمان في أنباء وزراء الزمان فاس 1927 .
- عبد الحي الكتاني، التراتيب الادارية .....المطبعة الاهلية، الرباط 1927، ج 1.
- علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، دار الطباعة المغربية تطوان بدون تاريخ.



■ النقد الذاتي، دار الكشاف، بيروت 1966.
■ عقيدة وجهاد، تقرير أمام المؤتمر العام لحزب الاستقلال، يناير 1960.
■ وضعية المغرب، تقرير عام أمام اللجنة المركزية للحزب في أبريل 1963 الرباط.
- محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، الناشر مؤسسة الوزاني 1986.
■ تصريحات صحفية ج. 2 بيروت 1986
- المهدي بن بركة، الاختيار الثوري، منشورات اليسار الديمقراطي، دار قرطبة، الدار البيضاء 1996.
- محمد البصري الفقيه، كتاب العبرة و الوفاء، حوار مع حسن نجمي، نشر مؤسسة الزرقطوني للثقافة والأبحاث، الدار البيضاء 2002.
- وثائق الحركة الوطنية بشمال المغرب الجزء الأول تطوان 1980، عرض وتعليق بن عزوز حكيم.
- الطيب بنونة، نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة، طنجة 1980.
- الحسن بو عياد، الحركة الوطنية والظهير البربري، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء 1979.
- عبد الله الجراري أعلام الفكر المعاصر، الرباط 1971.
■ صفحة من صفحات الماضي للكتلة وتجليها في المطالبة بالإستقلال سنة 1944، الدار البيضاء 1956.
- عبد العزيز بن عبد الله، تاريخ الحضارة المغربية، الرباط 1962.
- محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث ج.1 الرباط 1973.
- عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي ج. 1 الرباط 1971.
■ مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد 1980، الرباط 1977.
- محمد زنيبر، صفحات من الوطنية المغربية، دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1976.
- عبد الله إبراهيم، سمات الوضع الراهن بالمغرب، الدار البيضاء 1985
■ الإسلام في آفاق ألفين، مطبعة النجاح، الدار البيضاء 1979.
■ نداء الحرية بين المغرب العميق والمغرب الجديد، الدار البيضاء 1995.
- عبد العزيز ابن عبد الله، الجيش المغربي عبر العصور، الرباط 1986.
- امارتيا صن، الهوية و العنف ، وهم المصير الحتمي ، ترجمة سحر توفيق،عالم

المعرفة ، الكويت 2008.

- الوثائق، إصدار مديرية الوثائق الملكية ج 7.
- وثائق لدراسة تاريخ المغرب، مراسلات وزراء مولاي الحسن الأول المجموعة 1، 1 القسم 2، تطوان 1964.
- مصطفى الشابي، النخبة المغربية في القرن التاسع عشر، الرباط 1995.
- الحجوي محمد بن الحسن الثعالبي، دفتر تقاييد لحوادث تاريخية أيام المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ، مخطوط في الخزانة العامة، الرباط رقم ح 128.
- المجلة التاريخية المغاربية، تونس يوليوز 1991 العدد 64-63.
- أرشيف البعثة الكاتوليكية الفرنسيسكانية بطنجة (مائة وثيقة غير منشورة حول طنجة في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين) عبد العزيز التمسماني خلوق، مجلة دار النيابة، العدد 15 – 16 السنة 1987.
- محمد سعيد الصديقي، إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة، الدار البيضاء 1961.
- الحاج العربي الورياشي، الكشف والبيان في سيرة بطل الريف الأول محمد أمزيان، المطبعة المهدية تطوان 1976.
- محمد الحسن الحجوي، إنتحار المغرب الأقصى بيد ثواره، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط.
- قدور الورطاسي، معالم من تاريخ وجدة، الرباط 1972.
- عبد الفتاح هيكل، عصبة مناهضة الأمبريالية والكفاح في سبيل الإستقلال الوطني 1927 – 1937 ودور العرب فيها. مجلة (النهج) عدد33 سوريا 1990.
- محمد عمر القاضي، أسد الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي. مطبعة ديسبريس تطوان 1979.
- ماريا روسا دي مادارياغا، مغاربة في خدمة فرانكو ترجمة كنزة الغالي، الدار البيضاء 2006.
- أحمد بن المواز، حجة المنذرين على تنطع المنكرين، طبعة حجرية بفاس.
- محمد الحجوي، تقرير تاريخي من حالة المغرب بعد الحماية، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط. (ح 254).
- أحمد معنينو، ذكريات ومذكرات طنجة 1991.
- أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930 إلى 1940، مطبعة النجاح الدار البيضاء 1992.
- الحسن ابن محمد الوزان الفاسي، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد

الأخضر، ج. 1 الرباط 1980.
- عبد الله كنون، أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، دار الرائد للطباعة القاهرة 1964.
- الصديق بن العربي، كتاب المغرب، دار الثقافة الدار البيضاء 1984.
- محمد وديع الأسفي، السلفي المناضل الشيخ محمد بن العربي العلوي، دار النشر، الدار البيضاء1987.
- قاسم الزهيري محمد الخامس الملك البطل، مطبعة أكدال، الرباط 1984.
- عبد الهادي بو طالب، ذكريات شهادات ووجوه، الرباط 1992.
- أحمد البوعياشي، حرب التحرير الريفية ومراحل النضال، دار الأمل طنجة 1975.
- محمد المعزوزي، هاشم العابدي، الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى 1935 مطبعة الأنباء الرباط 1987.
- مصطفى بو شعراء الاستيطان والحماية بالمغرب ج .1 1984.
- محمد الحبيب محيي، عبد الله إبراهيم من خلال بعض ما تميز به بين معاصريه من رموز الوطنية والسياسة وأعلام المعرفة والثقافة. يوسف للطباعة مراكش 2008.
- إدريس الكتاني المغرب المسلم ضد اللا دينية، حقائق عن تسرب المبادئ الهدامة إلى حزب الشورى والاستقلال وأثرها في توجيه سياسته. مطبعة الجامعة الدار البيضاء 1958.
- محمد المختار السوسي، المعسول، الدار البيضاء 1961.
  - ■ الإلغيات، الدار البيضاء 1963.
  - ■ من أفواه الرجال، تطوان 1963.
- محمد المنوني، لمحات عن سير الرياضة البدنية في التعليم المغربي القديم، مجلة دعوة الحق العدد 615، السنة 15، أكتوبر 1972.
- محمد بن أحمد الكنسوسي، الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي تقديم وتحقيق أحمد بن يوسف الكنسوسي، مراكش 1994.
- أحمد الناصري، تعظيم المنة بنصرة السنة. مخطوط رقم 5906 بالخزانة الصبيحية
- عبد العزيز بن عبد الله معطيات الحضارة المغربية، الرباط 1963.
- محمد بن عبد الله الموقت، الرحلة المراكشية، أو مراة المساوئ الوقتية، الدار البيضاء دار الرشاد بدون تاريخ.

- أبو عبد الله الأعرج السليماني، اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب الرباط 1971.
- الحسين السايح، الحضارة المغربية عبر التاريخ، الدار البيضاء 1975.
- عبد اللطيف جبرو، المهدي بن بركة بناء الوطن ج . 2 الدار البيضاء 1986.
■ المهدي بن بركة في مواجهة العاصفة ج. 3 دار النشر الدار البيضاء 1991.
- محمد السلاوي أبو عزام، معركة إستقلال المغرب ج.1 الدار البيضاء 1979.
- حمو الإدريسي، الحركة الوطنية بالشمال ودورها في استقلال المغرب و الجزائر، مطابع البوغاز طنجة 1990.
- المريني العياشي، صور من التاريخ البطولي لمنطقة جبالة، ج.1 طنجة 1983.
- محمد العلمي، محمد بن يوسف أو تاريخ استقلال المغرب، الدار البيضاء 1975.
- التهامي الوزاني (الزاوية)، مطبعة الريف تطوان 1942.
- محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، الرباط.
- محمد بن عياد، طريق الحرية في التاريخ الصغير لمدينة سلا، مطبعة شالة الرباط 1987.
- عبد الله التليدي قمع الأغبياء باستحباب شد الرحال لزيارة الأولياء، تطوان.
- محمد شفيق، لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، الرباط 1989.
- عثمان بن عابد بو فتاس، أمانوز لمحات تاريخية واقتصادية واجتماعية، الدار البيضاء 1991.
- محمد الباقر الكتاني، ترجمة الشيخ محمد الكتاني، الرباط 1962.
- فرناندو بلديمارا مارتنيت، خواكين غاتيا، رحالة المغرب، تطوان 1954.
- بيرنهاردت ج – هروود، تاريخ التعذيب، ترجمة ممدوح عدوان دار الجندي دمشق 1998.
- عبد القادر الصحراوي، شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، الدار البيضاء 1965.
- محمد عياط، دراسة المسطرة الجنائية المغربية، الرباط 1991.
- موسى عبود، الوجيز في القانون الدولي الخاص المغربي، الدار البيضاء 1994.
- عبد الحميد بنشنهو، النظام الإداري بالمغرب، الرباط 1963.
- شعر الجهاد في الأدب المغربي من عهد الأمير يوسف بن تاشفين المرابطي حتى عهد السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، إعداد الأستاذ عبد الحق المريني، مطبعة فضالة 1996.
- إبراهيم السولامي، الشعر المغربي الوطني في عهد الحماية، الدار البيضاء

.1974

- أحمد الخلاصة، شاعر الحمراء في تاريخ الأدب المعاصر، مطبعة النجاح، الدار البيضاء 1987.
- عبد الكريم غلاب، شاعر الحمراء دار الثقافة الدار البيضاء 1982.
- أحمد الشرقاوي إقبال، شاعر الحمراء في الغربال، مطبعة الجامعة، الدار البيضاء بدون تاريخ.
- عباس بن عبد الله الجراري، الزجل في المغرب – القصيدة – مطبعة الأمنية الرباط 1970.
- ديوان شيخ أشياخ مراكش الحاج محمد بن عمر الملحوني، جمع و تقديم عبد الرحمان الملحوني ج. 1 المطبعة الوطنية، مراكش 2003.
- عبد القادر السحيمي، نشأة المسرح والرياضة بالمغرب، الرباط 1986.
- عبد الله رشد، تاريخ الرياضة بالمغرب 1918 – 1998، الدار البيضاء 1998.
- مصطفى بغداد، المسرح المغربي قبل الاستقلال، الدار البيضاء 2000.

مجلات

- المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع، الرباط 1978و1998.
- البحث في تاريخ المغرب، حصيلة وتقويم، مجلة كلية الآداب، الرباط 1989.
- مجلة أمل عدد 3 الدار البيضاء 1993.
- مجلة آفاق، عدد 1 الدار البيضاء 1992.
- مجلة المصور، القاهرة 6 يونيو 1958.
- مجلة وجهة نظر عدد 5، الرباط 1999.
- مجلة الثقافة الجديدة، عدد 18، الدار البيضاء 1980.
- مؤتمر المغرب العربي، كراس صادر عن مكتب المغرب العربي، القاهرة 1947.
- مجلة أنفاس 1971 و 1973.

الصحف

الطليعة، التحرير، المحرر، العلم، الرأي العام، السعادة، الوداد، أنوال، الإتحاد الإشتراكي، الميثاق الوطني، النشرة، الصحيفة، المشعل، الصباح، المساء.

المواقع الإلكترونية(الانترنيت)

للبحث عن طريق www.google.com

- Maroc antan
- Mangin@marrakech (salam marrakech).
- wikipedia
- www.khbarbladi.

. موقع (مدرستي)

العناوين

- www.marocantan.com
- mangin2marrakech.canalblog.com
- www.wikipedia.org

مدرستي

- www.madrassaty.com
- www.star28.com

BIBLIOGRAPHIE

- **Mahjoub Tobji**, les officiers de sa Majesté, les dérives des Généraux marocains 1956-2006, fayard, Paris 2006 .
- **Les Affricains,**T V, Jeune –Afrique , Paris 1977.
- Le Dossier d'un exilé (Dossier présenté par **Ali Yata** au ministre de l'intérieur marocain, le 25 juillet 1958)
- Coopératif d'imprimerie du Pré-Jerome, Genève, 195.
- **Edmund Burke**, mouvements de résistance au Maroc , la grande Siba de la Chaouia 1903-1907, Héspéris Tamuda vol .XVII, Rabat 1976 -1977.
- **Simon Henri** , un officier d'Afrique, Verlet Hanus, Paris 1931.
- **La Sainte Bible**, l'ancien et le nouveau Testament, la maison de la Bible , Genève 1943.
- **Jaques Berque** ,sur un coin de Terre marocaine, seigneurs Terriens et paysan .Annuaire historique économie et civilisation , Mars 1973, N ° 45, PP. 227-235.
- **Driss Ben Ali**, Le Maroc précapitaliste, Rabat 1973.
- **J . Ladreit de la Charrière** , l'œuvre française en la chaouia , Revue Renseignement coloniaux, Paris 1910
- **Raymond Boissier**, dans Marrakech la rouge, Paris 1930.
- **Massignon**, Abd –El-Jalil, parrain et filleul 1926-1962 .correspondances, Ed du Cerf, Paris 2007.
- **Gustave Le Bon**, psychologie des Foules, Paris 1895.
- **Paul Marty**, Le Maroc de demain, Paris 1929.
- **Capitaine L . Voinot**, Oujda et l'Amalat (Maroc), publication de la société de géographie et d'Archéologie de la Province d'Oran 1912.
- Documents diplomatiques francais, affaires marocaines, Paris 1905.
- **L . Vagner** , carnet de route d'un légionnaire au Maroc 1907-1908. Casablanca 1938.
- **Georges Oved**, la gauche française et le nationalisme marocain, T.II, Paris 1984
- Bulletin de la chambre de Commerce et d'industrie de Casablanca, N ° 280, janvier 1949.
- **Colonel Paul Azan,** l'expédition de Fez, Paris, 1924.

- **A. Martinot**, les délires de l'impérialisme français et les folies marocaines. E.Figuier, Paris 1925.
- Bulletin du comité de l'Afrique française, Paris 1936.
- **Jean d'esme**, ce Maroc que nous avons fait, Paris 1955.
- **Miguel Martin**, El colonialismo espagnol en Marruecos, Rued-iberico, Paris 1973 .
- **Casado escudero**, Luis, Iguerriben, Madrid 1923.
- **Che Guevara,** la guerre de guerilla, Paris 1961.
- **Ho chi Minh**, oeuvres choisies, T1, Hanoi. 1960.
- **Gabrielli Leon**, Abd-el Krim et les événements du Rif 1924-1926, Casablanca. ed. Atlantides 1953.
- Essai sur le mouvement ouvrier algérien, ed. du parti de l'Avant-garde socialiste, Alger1969.
- **Rudibert   Kunz** / Rolf-Dieter Muller, Giftgas gegen Abd-el –Krim .Deutschland, Spanien und der Gaskieg in Spanisch-Marokko1922-1927.Verlag Romabach , Freiburg1990.
- **Paul Marti** , le Maroc de demain , Paris 1929.
- Les grandes batailles de l'Histoire, la campagne de Tunisie 1943, Paris 1993.
- **Mohamed Ennaji** , éxpension européenne et changement sociale au Maroc (XVI-XIX siècles) eddif, Casablanca 1996.
- **F. Jolie, A.Ayache**, Géographie du Maroc, Paris 1949.
- **Mohamed Ghoti**, Histoire de la médecine au Maroc, le XXe siècle (1896-1994) Casablanca 1995.
- **Marcel Ruffie**, le Protectorat a – t-il fut faillite ? Casablanca 1951.
- **René Hoffherr** et **Roger Moris**, Revenus et niveaux de vie indigène au Maroc, 1934.
- **Basset Henri**, Essai sur la littérature des Berbères, Alger, Jordan 1920.
- **Galand Lionel**, langue et littérature des berbères, Paris 1979.
- **M.A.Galmiche** et **G. Robichez**, introduction à des poèmes berbères. les Temps modernes N ° 50, Paris décembre 1949.
- Notes sur les chants populaires du Rif .Les archives berbères, vol. 1, année 1915, Fasicule 1, Rabat.
- **Ahmed Aydoun**, musique du Maroc. eddif, Casablanca 1992.
- **Fullebert Taillard**, le nationalisme marocain ed. du Cerf, Paris 1947.

- **Albert Ayache**, le Maroc. Bilan d'une colonisation, Paris, 1956.
* Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, ed. sociales. Paris 1964.
- Abdelkrim et la guerre du Rif / actes du colloque international d'études historiques et sociologiques,18-19- Janvier 197, Maspéro, Paris 1976 .
- **Abdelaziz Belal** – l'investissement au Maroc 1912- 1964, Casablanca 1980
- **Attilo Gaudio** – le dossier du sahara occidental, nou.ed. Ladines, Paris 1978.
- **Abdallah Laroui** , les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain ,Paris 1977.
- **Charles-André Julien** ; le Maroc face aux impérialismes 1415.-1956, ed. Jeune Afrique, Paris 1978.
- **Capitaine Cornet** – a la conquête du Maroc Sud avec la colonne Mangin 1912-1913, Paris 1914.
- **Capitaine Ceccaldi** – au pays de la poudre, le fournier, Paris1914
- **Chauffard Georges**, les carnets secrets de la colonisation.T.1 une alliance militaires franco-espagnole sous la quatrième république, Paris 1967
- **Christian Houel**, mes aventures marocaines Casablanca 1954.
- **Edmon Doutté**, mission au Maroc en tribu, Paris 1914.
- **Guy Delanoë**, L'yautey, Juin, Mohamed V, fin d'un protectorat, l'harmattan, Paris 1988.
- La résistance marocaine et le mouvement conscience française, L'harmattan , T.3, Paris 1991.
- **Général des champs**, souvenirs des premiers temps au Maroc français 1912-1915, Paris 1935.
- **Georges Oved**, la gauche française et le nationalisme marocain, t. II, Paris 1984.
- **Georges R. Manue**, sur les marches du Maroc insoumis, Paris 1930.
- **Georges Spillmann**, du protectorat à l'indépendance du Maroc 1912-1955, Plon, Paris 1967.
- **Henry Dugard,** la conquête du Maroc, la colonne du Sous, Paris 1918.
- Histoire du Maroc, ouvrage collectif, Hâtier, Paris 1967.
- **Jean-d'Esmse**, Bournazel, l'homme rouge, Paris 1952.
- **Joaguin Gatell**, Viajes par Marrucos –El –Sur, Wad Nun, Tekna

El Kaid Ismail 1878-1879, sociédad geografica de Madrid.

- **Jean Jaurés**, textes choisies, T 1. Paris 1959.
- **Jérome** et **Jean tharaux**, Fez ou les bourgois de l'islam, Paris 1930.
- **Jean Louis Miege**, le Maroc et l'Europe 1830-1894 T.4 PUF, Paris 1964
- **Jean Vidal**, le Maroc héroique, Paris 1938.
- **Lieutenant Kuntz**, souvenirs de campagne au Maroc, Paris 1913.
- **L'yautey l'Africain**, textes et lettres du Maréchal l'yautéy, présentés par Pierre l'yautey .T.IV , Paris 1957.
- **Marc de Mosiers**, promenade à Fés, Casablanca 1933.
- **Mohamed Kenbib,** les protégés contribution à l'histoire contemporaine du Maroc, Casablanca 1996.
- **Paul Pascon**, le Haouz de Marrakech, Rabat, 1983
- **Pierre Parent**, expulsé du Maroc Imp. Régionale, Toulouse 1955.
- **Pierre Semard**, la guerre du Rif, Paris 1926
- **Robert Barrat**, justice pour le Maroc, seuil, Paris 1953.
- **Robert Montagne**, les berbéres et le Makhzen dans le Sud du Maroc, essai sur la vie politique des berbères sédentaires (Groupe Chleuh) Alcan, Paris 1930.
- **Pierre July**, une république pour un Roi, Fayard, Paris 1974.
- **Robert Rézette**, les partis politiques marocains, colin, Paris 1955.
- **Roger le Tourneau**, Fés avant le protectorat, Casablanca 1949.
- **Ramiro Santamaria** , Ifni – sahara , la guerra ignorada , Madrid 1985.
- **Stéphane Bernard**, le conflit Franco – marocain 1943-1956, Bruxelles 1963.T.3

PUBLICATIONS

Al –assas N 3, Casablanca 1985.
Bulletin économique et social du Maroc N 33, vol. IX 1947, et numéro 48, vol .XIV, 1951 .
Bulletin de la chambre de commerce et de l'industrie de Casablanca, 18-7-1924
Cahier du témoignage chrétien numéro 54, la mort de Mehdi Ben Berka, un dossier à rouvrir, Paris 1973 .
Etudes sur l'histoire du P.C.M (35 années du lutte).
Espoir 29-5-1948.
France observateur, 1954,1955, 1956.
L'Auror 24-25Aout 1972
Le cri du Maroc N 16, 8 Octobre 1923, Casablanca.
Le courrier du Maroc, Fés 12 -3 -1954.
La croix , 30-10-1953, Paris.
Le journal 6-7-2001, Casablanca.
L'opinion du peuple 24-4-1948 Rabat.
Le soir marocain 30-5-1935, Casablanca.
Revue abolitionniste, Janvier 1955.
Revue Esprit, Février 1953-Février 1956, Paris.
Revue juridique, politique et économique du Maroc N 8 -1980.
Le Petit marocain 1952-1956.
La Vigie marocaine 1930-1955
Temps modernes N 66, Paris 1951 N 87, 1953
Journal Listiqlal, Rabat 1951

5 – عبد الله الجراري، صفحة من صفحات الماضي للكتلة وتجليها في المطالبة بالاستقلال
سنة 1944، الدار البيضاء 1956. ص 48.

6 – المزيد من التفاصيل في كتابنا تاريخ الرياضة بالمغرب ويحتوي على 22 رياضة أولمبية و 300
صورة.

7 – ضحك العالم بأسره من تجييش الحكام المستبدين في مصر والجزائر لملايين الأميين في

الشـوارع

تحت شعارات التعصب الوطني البغيض بسبب مباراة لكرة القدم في نوفمبر 2009.

8 – أسماؤهم في كتابنا : تاريخ الرياضة بالمغرب. ن. م.

1)) – حديث مع عبد الله إبراهيم بالدار البيضاء في 14 - 4 - 1986.

2)) – علال الفاسي. الحركات الاستقلالية في المغرب العربي. ص 242.

3)) – محمد بن الحسن الوزاني. مذكرات حياة وجهاد. ج5. ص 236.

4 – جريدة «الـــسواد» 12 - 9 - 1939. ونشـر نصهـا أبـو بكـر القـادري فـي مذكراتـي. م. س. ص

476. وسكت عن الرسالة التي قدمها هو وأصدقاؤه إلى المقيم العام باسم **«الحزب الوطني»**.

5 – قاسم الزهيري. محمد الخامس الملك البطل. مطبعة أكدال. الرباط 1984 ص 43.

6 – عبد الهادي بوطالب. ذكريات شهادات ووجوه. الرباط 1993. ج2. ص 207.

7 – الوزاني. مذكرات حياة وجهاد. ج6. ص 118 و 169.

8 – ن. م. ص 128.

9 – عبد الله الجراري. صفحة من صفحات الماضي للكتلة وتجليها في المطالبة بالاستقلال.

الدار البيضاء. 1956. ص 31.

10 – ن. م. ص 31.

11 – Robert Rézette, les partis politiques marocains, colin, Paris, 1955, P. 144.

12 – الوزاني. مذكرات حياة وجهاد. ج6. ص 106.

13 – Ch. A. Julien, le Maroc face aux imperialismes, op. cit. P. 144.

14 – بوطالب. ذكريات. شهادات. م. س. ج2. ص 139.

15 – عبد الكريم غلاب. تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب. ص 257. الدار البيضاء 1976.

16 – بن الحسن الوزاني. مذكرات حياة.... م. س. ج6. ص 17.

17 – حديث محمد اليزيدي. جريدة العلم. 11 - 1 - 1990.

18 – غلاب. تاريخ الحركة. م. س. ص 58.

19 – الوزاني. مذكرات حياة. م. س. ج6. ص 17.

20 – أحمد معنينو. ذكريات ومذكرات. ج3 ص 149. طنجة 1991.

21 – الوزاني. مذكرات حياة. م. س. ص 141.

22 – غلاب. تاريخ. م. س. ص 316.

23 – Fullebert Taillard, le nationalisme marocain, Ed. du Cerf, Paris, 1947, P. 34.

24 – معنينو. ذكريات. م. س. ج3. ص 119. وكذلك الجراري. أعلام الفكر المعاصر. ج2. ص 461. الرباط 1969.

25 – أنظر أسماءهم في مذكرات حياة وجهاد ج6، ص 145.
26 – غلاب، تاريخ الحركة الوطنية، م. س. ص 329.
27 – Georges Spillman, du Protectorat à l'indépendance, Maroc 1912 - 1955, Plon, Paris 1967, P. 118.

28 – علال الفاسي، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، ص 265.
29 –Robert Rézette, le nationalisme marocains, op. cit. P. 65

30 – حديث مع عبد الله إبراهيم بالدار البيضاء في 14 - 4 - 1986.
31 – حديث عبد الكبير الفاسي في جريدة العلم بتاريخ 10 يناير 1988.
32 – في حديث مع المقاوم امحمد بن عبد الله أن اثنين من رفاقه النساجين (دَرّزَا) قتلوا في مظاهرات
فاس وكانوا من الموقعين على وثيقة الاستقلال. مقابلة بالدار البيضاء بتاريخ 19 - 11 - 1988.
33 – أبو بكر القادري، جريدة العلم 17 - 2 - 1993.
34 – أحمد معنينو، مذكرات وذكريات، ج3. 118.
35 – نص البلاغ في جريدة العلم بتاريخ 10 - 01 - 1988.
36 – Georges Oved, la gauche française et le nationalisme marocain T, II, Paris 1984, P. 208.

37 – Ibid, P. 209.
38 – Ibid, P. 208.
39 – Robert Rézette, les Partis, op. cit. P. 166

40 – Albert Ayache, le Maroc, Bilan d'une colonisation, Paris 1956. P. 347

[1]- علال الفاسي، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، دار الطباعة المغربية تطوان بدون تاريخ ص 253.
[2]- تفاصيل مرحلة الكفاح السياسي والمقاومة المسلحة في كتابنا « كفاح المغاربة في سبيل الإستقلال والديمقراطية 1953 - 1973. الدار البيضاء 2004.» يحتوي الكتاب على 516 صفحة
198 صورة، 20 وثيقة غميسة مع نصوص بالفرنسية.
[3]- جريدة« العلم» الرباط في يوم 4 - 12 - 1957.
[4]- جريدة« الرأي العام» الدار البيضاء، يوم 25 - 12 - 1959.
[5]- جريدة« التحرير» الدار البيضاء في يوم 25 - 11 - 1959.
[6]- الجريدة الرسمية، 23 - 10 - 1959.
[7]- محمد الحبيب محي، عبد الله إبراهيم من خلال بعض ما تميز به بين معاصريه من رموز

الوطنية
والسياسة وأعلام المعرفة والثقافة. يوسف للطباعة مراكش 2008، ص 147.
[1]- علال الفاسي، وضعية المغرب، تقرير مقدم للجنة المركزية لحزب الاستقلال يومي 13 و 14 أبريل
1963 بالرباط، ص 13.

[2]- Cahier du Témoignage chrétien n° 54, comité pour la vérité sur l'affaire Ben Barka, la mort de Mehdi Ben Barka. Un dossier à rouvrir. Paris, 1973, p. 51.

3- سورة المائدة، الآية 83.

[4]- محمد البصري الفقيه، كتاب العبرة والوفاء، منشورات مؤسسة محمد الزرقطوني، الدار البيضاء 2002، ص 123.
[5]- هذه الشهادة نشرتها صحف مغربية في عام 2008.
[6]- Mahjoub Tobji, les officiers de sa Majesté, les dérives des généraux marocains 1956-2006, Fayad, Paris, 2006, P. 158.

[1]- حديث رواه الديلمي في مسند الفردوس.

[2]- جريدة «العلم» 11 - 1 - 1990.
[3]- جريدة «العلم»1 - 9 - 1984.
[4]- أبو عزام محمد السلاوي، معركة استقلال المغرب، ج1، 1979، ص 64.
[5]- سورة الأنبياء، الآية 22.
[6]- مقالة أحمد بلا فريج في كتاب : Les Africains, T.V, P.58. jeune Afrique. Paris 1977.
[7]- جريدة «الحرية» 23 - 8 - 1937.
[8]- وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب، ج1، ص 77، تطوان 1980 عرض وتعليق بن عزوز حكيم.
[9]- Robert Rézette, les Partis politiques marocains, PARIS 1955, p. 356.
[10]- محمد حسن الوزاني، حرب القلم، ج6، ص 189.
[11]- إدريس الكتاني، المغرب المسلم ضد اللادينية، حقائق عن تسرب المبادئ الهدامة إلى حزب الشورى
والإستقلال وأثرها في توجيه سياسته. مطبعة الجامعة، الدار البيضاء 1958 ص 6.
[12]- ن. م. ص 8.
[13]- أحمد معنينو، ذكريات ومذكرات، ج6، ص 107، طنجة 1991.
[41]- حديث مع الفقيه محمد الحمداوي بالدار البيضاء يوم 9 - 5 - 1987.

Journal «Al Bayan», Casablanca, le 14 - 8 - 1997 [5]1-

[6]1- جميع رسائله إلى المسؤولين المغاربة والفرنسيين طبعها في كتيب بعنوان :
Le dossier d'un exilé (Dossier présenté par Ali Yata au ministre de l'Intérieur marocain, le 25 Juillet 1958) Coopérative d'imprimerie du Pré-Jerome, Génève, 1958.
[7]1- Al Bayan, 14 - 8 - 1997.

[8]1- جميع التفاصيل المتعلقة بالحقيبة المالية وتقبيل اليد رواها لي بن سعيد في حينها.

[1]9- مذكرات محمد اليازغي، جريدة «المساء» في 12 - 9 - 2011.
[2]0- حديث مع الحبيب الفرقاني عضو المكتب السياسي، الدار البيضاء في 15 - 12 - 2003.

[2]1- حديث مع الأستاذ المهدي خليل الورزازي بمراكش يوم 3 - 11 - 2010.
[2]2- حديث مع مولاي عبد الله إبراهيم بالدار البيضاء في 5 - 10 - 2003.
[2]3- علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، ج4 ص 23، مطبعة كرم، دمشق.
1- الأرقام من إحصائية سنة 2009.
2- حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه.
3- سورة التوبة، الآية 51.
4- المدثر / 38.
5- المدثر / 31.
6- الكهف / 29.
7- الأعراف / 188.
8- الأنعام / 104.
9- أنظر رأي الخليفة عمر بن الخطاب في القضاء والقدر بالصفحة........
10- بن كثير، البداية والنهاية، المجلد 2، ص 1791.
11- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ص 919.
12- الرقم صدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، أنظر الوطن الآن، 2 - 7 - 2009.
13- كانوا يسمون القفل الحديدي حِزام العِفَّة La Ceinture de Chasteté. ويضع الصليبي المفتاح في
جيبه ويرحل إلى الحرب مرتاح البال، لكن الحداد صانع القفل كان يبيع مفتاحا آخر للزوجة !

(Footnotes)
1 16 – البوعياشي، حرب الريف، م. س. ج2 ص 273.

فهرس

الفصل الرابع:

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع:

الفصل الثامن:

الفصل التاسع:

الفصل العاشر:

الفصل الحادي عشر

الخاتمة

